

ياسر عبد الرحمن

موسوعة

الأخلاق

والزهد

والرفق

منتدى اقرأ الثقافي
www.igra.ahlamontada.com



مؤسسة اقرأ

الجزء الثاني

منتدى اقرأ الثقافي

www.igra.ahlamontada.com

موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق

٢٠٠٠ قصة تربوية من حياة الأنبياء
والصحابه والتابعين والصالحين
الجزء الثاني

طبعة جديدة
منقحة ومحقة

إعداد

ياسر عبد الرحمن

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى للناسر
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الطبعة العاشرة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٤١٨١/٢٠٠٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N
8 - 006 - 441 - 977

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

مؤسسة اقرأ
للسنر والتوزيع والترجمة
١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسقاط
القاهرة ت: ٢٥٣٢٦٦١٠ محمول: ٠١٠٥٢٢٤٢٠٧ - ٠١٢٦٣٤٤٠٤٣
www.lqraakotob.net
E-mail: lqraakotob@yahoo.com

إهداء

إلى كل من علمني حرفاً من القرآن
وأرشدني إلى طريق الإيمان
إلى أمي التي سهرت على راحتي
إلى أبي بالذي تعب في تربيتي
إلى زوجتي التي ساعدتني
إلى ابنتي وأسأل الله أن يبارك فيها
إلى كل من كان له فضل عليّ

ياسر عبد الرحمن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشجاعة

الشجاع هو: الجريء المقدام، والجمع شجعان، وشجع شجاعة: قوي قلبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات^(١).

أنواع الشجاعة:

خالد بن الوليد في مؤتة:

في غزوة مؤتة استشهد القادة الثلاثة الذين عينهم النبي ﷺ، فاتفق المسلمون على أن يتولى خالد بن الوليد، فلما تولى خالد القيادة فكر في حيلة لينجو بالجيش؛ لأنه لا يمكنه التغلب على قوات الروم الكثيرة بهذا العدد القليل من المسلمين، فغير أماكن الجنود، وأمر بعض الكتائب أن تبتعد عن ساحة القتال، ثم يأتون مندفعين أثناء المعركة وهم يكبرون، ويشيرون التراب بخيولهم، وفي الصباح، فوجئ جنود الروم بوجوه جديدة من الجنود المسلمين لم يروها من قبل في الأيام الماضية، ثم جاءت الكتائب الأخرى فظنهم الروم مددا لجيش المسلمين، فدب الرعب في قلوبهم، وفي الليل سحب خالد جيشه من المعركة تدريجياً حتى لا يلاحقهم الروم، وهكذا استطاع أن ينقذ جيش المسلمين.

من الشجاعة عدم الخوف من كثرة الباطل فإنه غناء.

أشجع الناس بعد الرسول ﷺ:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أيها الناس، أخبروني من أشجع الناس؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين.

قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس.

(١) البخاري، كتاب: المحاريين من أهل الكفر والردة، باب: رمي المحصنات، ح(٦٤٦٥).

قالوا: لا نعلم، فمن؟

قال: أبو بكر رضي الله عنه إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا، فقلت: من يكون مع رسول الله لا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرا السيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس^(١).

شجاعة الرسول ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتا قال: فتلقاهم النبي على فرس لأبي طلحة عري وهو متقلد سيفه فقال ﷺ: «لم تراعوا لم تراعوا»^(٢).

شجاعة الصحابة

في غزوة الخندق نادى عمرو بن ود على المسلمين ليخرج إليه من بينهم من يبارزه فقام علي رضي الله عنه فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس» ثم الثانية ثم الثالثة فقال: «يا علي إنه عمرو بن عبد ود» فقال: وإن كان عمرا. فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي: لكنني والله لا أكره أن أهريق دمك فغضب فنزل فسل سيفه كأنه شعلة نار فقال النبي ﷺ: «اللهم أعن عليا عليه»، وكان علي قد دعاه إلى الإسلام، فرفض وبدأت المبارزة وهجم علي عليه كالصقر فقتله ثم كبر، فكبر معه المسلمون فرحا^(٣).

الدفاع عن الدين

إن المواقف الصادقة والأحاديث الصريحة والعمل الجاد ومواجهة المشكلات بجرأة وثبات وصمود أمام التحديات كانت السمة البارزة للأستاذ عمر التلمساني، ففي حديث مفتوح للرئيس أنور السادات بمدينة الإسمايلية حضره الأستاذ عمر التلمساني، بناء على دعوة وجهت إليه، وبث في الإذاعة والتلفزيون على الهواء مباشرة، اتهم السادات التلمساني

(١) مسند البزار، ١/ ١٤٥.

(٢) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: إذا فزعوا بالليل، ح (٢٨٧٥).

(٣) السنن الكبرى، البيهقي، ٩/ ١٣٢.

بالفتنة الطائفية وساق أنواعا من التهم، فما كان من الأستاذ التلمساني إلا أن انبرى واقفا يرد على السادات بقوله: «الشيء الطبيعي بإزاء أي ظلم يقع على من أي جهة أن أشكو صاحبه إليك، بصفتك المرجع الأعلى للشاكين - بعد الله - وهأنذا أتلقى الظلم منك، فلا أملك إلا أن أشكوك إلى الله» وما إن سمع السادات مقولة التلمساني حتى أصابه الذعر والرعب وناشد التلمساني أن يسحب شكواه، فقال التلمساني بقوة وأدب: إني لم أشكك إلى ظالم، وإنما شكوتك إلى رب عادل يعلم ما أقول.

حرق أعصاب الظالم

يقول الأستاذ التلمساني: كنت في سجن مصر، ودخل علينا شخصية كبيرة من الحكومة في الزنزانة، فقامت تلبية (لشخطة العسكري) انتباه، أما الأستاذ الهضبي فلم يتحرك من مكانه، وكأنه لم ير أحدا ولم يسمع صيحة الشاويش، فقال له رجل الحكومة: لو كنت على حق لنصرك الله علينا.

فرد عليه وهو في جلسته الهادئة: إن المسلمين هزموا في موقعة أحد، وهم على الحق. فلم يرد رجل الحكومة وانصرف ساكتا، وبعد خروج هذا الشخص لامني فضيلته على قيامي وعلمي أن الظالم لا يحرق أعصابه إلا عدم اهتمام الناس بمظهره وقوته الجوفاء^(١).

هكذا كانوا

أقبل حذيفة بن محصن على رستم في هيئة تشبه هيئة ربيعي: نسفير السابق، حتى وصل إلى أقرب بساط، قال له أتباع رستم: انزل من على فرسك.

قال: ذلك لو جئتم في حاجة خاصة بي فقولوا للملككم، أله حاجة أم لا؟ فإن قال: لا، فقد كذب ورجعت وتركتكم، فإن قال: نعم لم آتكم إلا على ما أحب.

فقال رستم: دعوه، فدخل حذيفة راكبا فرسه، حتى وقف على رستم وهو على سريره، فقال له رستم: انزل.

قال: لا أفعل وأبي، فلما رآه رستم مصرا على الركوب تركه وشأنه، ثم وجه له سؤالا: ما

(١) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٨٠، ٨١.

بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟

قال: إن أميرنا يجب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء فهذه نوبتي.

قال رستم: ما جاء بكم؟

فقال حذيفة: إن الله عز وجل منّ علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه، وكنا منكربين، ثم أمرنا بدعوة الناس، إلى واحدة من ثلاث، فأياها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزية ونمنعكم إن أجبتكم إلى ذلك، أو المنابذة.

فقال رستم: أو المواعدة إلى يوم ما.

قال حذيفة: نعم، ثلاث من أمس، فلما لم يجد رستم عنده إلا ذلك طلب منه العودة إلى أصحابه، فانصرف عائدا إليهم.

وأقبل رستم على قواده لعلهم يقبلون مصالحة المسلمين، فقال لهم: ويحكم! ألا ترون إلى ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنّا على أرضنا، وحقر ما نعظم وأقام فرسه على فرشنا وربطه به، فهو في يمن الطائر، ذهب بأرضنا ومن فيها إليهم من فضل عقله، وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا، فهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا^(١).

ما حجتك عند الله؟

مر والي البصرة بمالك بن دينار متبخترا بمشيته فصاح به: أقل من مشيتك هذه، فهمّ خدمه به، فقال: دعوه، ما أراك تعرفني.

فقال له مالك: وما أعرف بك مني، أما أولك فنظفة مذرة، وأما آخرك فجيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فنكس الوالي رأسه ومشى^(٢).

استحضر هيبة الله

كان العز بن عبد السلام شجاعا مقداما، فقد ذهب ذات مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشهد الأمراء والخدم والحشم يقبلون الأرض أمام السلطان، وشاهد الجند صفوفًا

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/ ٤٠٢.

(٢) الزهد والرفائق، الخطيب البغدادي، ص ٧٣.

أمامه، ورأى الأبهة والعظمة تحيط به من كل جانب، فتقدم الشيخ إلى السلطان، وناداه باسمه مجرداً، وقال: يا أيوب، ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك مصر، ثم تبيح الخمر؟ واستطرد الشيخ قائلاً: نعم تباح الخمر في الحانات وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، وأخذ الشيخ يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون.

فقال السلطان: يا سيدي، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي.

فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾؛ فأصدر السلطان أمره بإغلاق تلك الحانات، ومنع تلك المفاصد، وشاع الخبر بين جمهور المسلمين وأهل القاهرة، فسأل أحد تلاميذ الشيخ عن السبب الذي جعله ينصح السلطان أمام خدمه وعساكره في مثل هذا اليوم الكريم.

فقال الشيخ: يا بني، رأيت السلطان في تلك العظمة، فأردت أن أذكره لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه.

قال التلميذ: أما خفته؟

قال العز: والله يا بني، استحضرت هيبة الله تعالى فلم أخف منه ^(١).

بين منذر بن سعيد وعبد الرحمن الناصر

أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر عمل في بعض سطوح الزهراء قبة بالذهب والفضة، وجلس فيها، ودخل الأعيان، فجاء منذر بن سعيد فقال له الخليفة كما قال لمن قبله: هل رأيت أو سمعت أن أحدا من الخلفاء قبلي فعل مثل هذا؟

فأقبلت دموع القاضي تتحدر، ثم قال: والله ما ظننت يا أمير المؤمنين أن الشيطان - لعنه الله - يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن يمكنه من قيادك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين.

فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال: انظر ما تقول، وكيف أنزلتني منزلتهم؟

قال: نعم، أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ

بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]

فنكس الناصر رأسه طويلا ودموعه تتساقط، ثم قال: جزاك الله عنا خيرا وعن المسلمين، والذي قلت هو الحق، وأمر بنقض سقف القبة^(١).

أبو العتاهية وهارون الرشيد

وضع هارون الرشيد طعاما وزخرف مجالسه وزينها، وأحضر أبا العتاهية، وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا.

فقال أبو العتاهية:

عش ما بدالك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

يسعى إليك بما اشتيت لدى الرواح وفي البكور

فقال: حسن، ثم ماذا؟

فقال أبو العتاهية مندفعاً:

فإذا النفوس تقعقت في ظل حشجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ما كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد، فزجر أحد الحاضرين أبا العتاهية لأن المقام مقام فرح وسرور، فقال الرشيد: دعه، فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه^(٢).

الترفع عن الذلة

كما حدث في غزوة أحد فعندما وقف أبو سفيان في نهاية المعركة، وقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تحبوه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تحبوه»، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: رسول الله ﷺ: «لا تحبوه» ثم التفت إلى

(١) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ٥/٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٥/٣٥٨.

أصحابه فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان، اعل هبل، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه»، فقالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»، قال أبو سفيان: لنا العزى، ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»، قال أبو سفيان: يوم يوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني، فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاككم في النار، فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدا؟

قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر؛ لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمدا^(١).

كان في سؤال أبي سفيان عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر دلالة واضحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم؛ لأن في علمهم أنهم أهل الإسلام، وبهم قام صرحه، وأركان دولته، وفي موتهم يعتقد المشركون أنه لا يقوم الإسلام بعدهم، وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان أولا تصغيرا له، حتى إذا انتشى وملأه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر وردوا عليه بشجاعة.

شجاعة المعتصم

كان المعتصم بالله شجاعا، كتب إليه ملك الروم يهدده، فأمر أن يقرؤوا له رسالته، فلما قرئت أمر برميها، وقال للكاتب: اكتب: أما بعد فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٢).

لظمة على وجه اليهودي

دخل أبو بكر رضي الله عنه المدارس (مكان يتلو فيه اليهود التوراة) فوجد فيها ناسا قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه خبر من أخبارهم، يقال له: أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك! اتق الله وأسلم فوالله إنك تعلم أن محمدا

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٤/ ٤٣.

(٢) أعلام المسلمين، ص ٥١.

لرسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقر، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله.

فذهب فنحاص إلى رسول الله فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت؟».

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيما، إنه يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه، وتصديقا لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ونزل في أبي بكر الصديق وما بلغه في ذلك من الغضب قوله تعالى: ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] ^(١).

الشيخ الإنباني

يوم تسلط الاستعمار الإنجليزي على مصر، وطأطأ الكثيرون رءوسهم وقف علماء الأزهر يشمخون برءوسهم استعلاء أمام جبروت المستعمر.

وأراد اللورد (كرومر) - جبار مصر وحاكمها آنذاك - أن يستعطف علماء الأزهر، عسى أن يخففوا من معارضتهم للاستعمار، فجمع من حوله بعض المارقين من المتعاونين معه، ومضى بهم يريد زيارة العالم المؤمن الشيخ الإنباني، شيخ الجامع الأزهر يوم ذاك، وعندما

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٧٦/٢.

دخل كرومر على الشيخ، وجده جالسا فانتظر اللورد كرومر قليلا، عسى أن يقف العالم المؤمن لاستقباله، لكنه لم يفعل فتقدم كرومر من الشيخ ماذا يده للسلام عليه، وهو يحسب أن الشيخ سيضطر للوقوف له لرد السلام عليه، لكن الشيخ المؤمن بقى جالسا، ومد يده باستخفاف يرد على الجبار الإنجليزي تحيته، فثارت ثائرة كرومر وكاد يأمر بالفتك بالعالم المؤمن الذي تحدى سلطانه وجبروته، لكنه سرعان ما أدرك أن أي إساءة للشيخ - وهو رمز الأزهر كله - ستفتح عليه أبوابا جديدة من المتاعب لا قبل له بها، فتصنع الهدوء وانحنى أمام العالم المؤمن يسأله بمودة مصطنعة: أأست تقف للخديوي إذا دخل عليك، أيها الشيخ الجليل؟

فأجابه الشيخ: بلى، إني أرد تحيته بمثلها أو بأحسن منها.

فيقول كرومر بخبث: فلماذا لم تقم لي أيها الشيخ؟

فيأتيه جواب الشيخ شواظا من نار، يجسد كل ما يمثله الأزهر وشيخه وعلماؤه من رمز رافض للاستعمار البريطاني وأعوانه: أيها اللورد، إن الخديوي مسلم منا، لذلك أرد عليه تحيته، أما أنت فلست منا، إنك عدونا، فكيف أقوم لك؟^(١)

شجاعة غلام:

بينما الحجاج جالس وعنده وجوه أهل العراق، أتى بصبي، فلما أدخل عليه لم يعبأ بالحجاج ولم يكثر به وإنما صار ينظر إلى البناء وما فيه من العجائب، ويلتفت يمينا وشمالا، ثم اندفع يقول: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۖ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].

وكان الحجاج متكئا فاستوى في مقعده، وقال: يا غلام، إني أرى لك عقلا وذهنا، حفظت

القرآن؟

قال الغلام: أو خفت عليه من الضياع حتى أحفظه وقد حفظه الله تعالى؟

قال: أجمعت القرآن؟

قال الغلام: أو كان مفرقا حتى أجمعه؟

(١) مائة موقف من حياة العظماء، ص ٨٦.

قال: أفأحكمت القرآن؟

قال: أليس الله أنزله محكما؟

قال الحجاج: أفاستظهرت القرآن؟

قال: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري.

فقال الحجاج وقد ثار غضبا: ويلك! قاتلك الله، ماذا أقول؟

قال الغلام: الويل لك ولقومك، قل: أوعيت القرآن في صدرك؟

فقال الحجاج: فاقراً شيئاً.

فاستفتح الغلام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا.

فقال الحجاج ويحك! إنهم يدخلون، فرد عليه الغلام قائلاً: كانوا يدخلون أما اليوم فقد صاروا يخرجون.

فقال الحجاج ولم؟

قال الغلام: لسوء فعلك بهم.

قال الحجاج: ويلك يا غلام! وهل تعرف من تخاطب؟

قال الغلام: نعم، شيطان ثقيف: الحجاج.

قال الحجاج: ويلك! من رباك؟

قال الغلام: الذي زرعني.

قال الحجاج: فمن أمك؟

قال الغلام: إتي ولدتي.

قال الحجاج: فأين ولدت؟

قال الغلام: في بعض الفلوات.

قال الحجاج: فأين نشأت؟

قال الغلام: في بعض البراري.

قال الحجاج: أمجنون أنت فأعالك؟

قال الغلام: لو كنت مجنوناً لما وصلت إليك ووقفت بين يديك، كأنني ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك.

قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين؟

قال الغلام: رحم الله أبا الحسن عليه السلام، وأسكنه جنان خلوده.

قال الحجاج: ليس هذا عنيت، إنما أعني عبد الملك بن مروان.

قال الغلام: الفاسق الفاجر.

قال الحجاج: ويحك! بم استحق اللعنة أمير المؤمنين؟

قال الغلام: أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض.

قال الحجاج: وما هي؟

قال الغلام: استعماله إياك على رعيته، تستبيح أموالهم، وتستحل دماءهم.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: ما تشيرون في هذا الغلام؟

قالوا: اسفك دمه، فقد خلع الطاعة، وفارق الجماعة.

فقال الغلام: يا حجاج! جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك، حيث قالوا لفرعون

عن موسى عليه السلام وأخيه: ﴿أرجه وأخاه﴾ وهؤلاء يأمرُونَ بقتلي، إذن والله تقوم عليك الحجة

بين يدي الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين.

فقال له الحجاج: هذب ألفاظك، وقصر لسانك، فإني أخاف عليك بادرة الأمر، وقد

أمرت لك بأربعة آلاف درهم.

فقال الغلام: لا حاجة لي بها، بيض الله وجهك، وأعلى كعبك.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: هل علمتم ما أراد بقوله: «بيض الله وجهك وأعلى

كعبك؟»

قالوا: الأمير أعلم.

قال: أراد بقوله: «بيض الله وجهك» العمى والبرص، وبقوله: «أعلى كعبك» التعليق والصلب.

ثم التفت إلى الغلام وقال له: ما تقول فيما قلت؟

قال الغلام: قاتلك الله، ما أفهمك!

فاستشاط الحجاج غضبا، وأمر بضرب عنقه، وكان الرقاشي حاضرا، فقال: أصلح الله الأمير، هبه لي.

قال الحجاج: هو لك، لا بارك الله لك فيه.

فقال الغلام: والله لا أرى أيكما أحق من صاحبه؟ الواهب أجلا قد حضر، أم المستوهب أجلا لم يحضر؟

فقال الرقاشي: استنقذتك من القتل وتكافئني بهذا الكلام؟

فقال الغلام: هنيئا لي الشهادة إن أدركتني السعادة، والله إن القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أرجع إلى أهلي صفر اليدين.

فأمر له الحجاج بجائزة وقال: يا غلام قد أمرنا لك بمائة ألف درهم، وعفونا عنك، لحداثة سنك وصفاء ذهنك، وحسن توكلك على الله، وإياك والجرأة على أرباب الأمر، فتقع مع من لا يعفو عنك.

فقال الغلام: العفو بيد الله لا بيدك، والشكر له لا لك، ولا جمع الله بيني وبينك... ثم همَّ بالخروج فابتدره الغلمان.

فقال الحجاج: دعوه، فوالله ما رأيت أشجع منه قلبا، ولا أفصح منه لسانا، ولعمري ما وجدت مثله قط، وعسى هو أن يجد مثلي، فإن عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصره.

الاعتدال

دعا رسول الله ﷺ أمته إلى الاعتدال في أمور الدين والدنيا، كما حث على عدم الغلو، فقال ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»^(١). الدلجة: السير أول الليل.

فسددوا: أي توسطوا في العمل، وقاربوا: أي دون إفراط ولا تفريط، فالإفراط هو مجاوزة الحد والغلو فيه، والتفريط هو التقصير في الشيء وتضييعه.

ومن دعاء الرسول ﷺ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟».

قلت: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «فلا تفعل، وصم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا»^(٣).

الاعتدال في العبادة

فالإسلام لا يدعو إلى الرهينة والانقطاع للعبادة، وإنما يدعو إلى الوسطية بين طلب الدنيا وطلب الآخرة، فهو القائل: «وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا»

[القصص: ٧٧].

وهو القائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

(١) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، ح (٣٩)، عن أبي هريرة ؓ.

(٢) مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ح (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة ؓ.

(٣) البخاري، كتاب: النكاح، باب: لزوجك عليك حقا، ح (٤٩٠٣).

وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين وهو المغالاة والتعسير على النفس والتشديد عليها، مما يؤدي إلى الملل، وترك الواجبات، وترك ما أحل الله تعالى لعباده، وإلزام الإنسان نفسه بما لا يلزمه به الشرع، وقال الرسول ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً^(١)، والمتنطعون: أي المتشددون في غير موضع التشدد.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبهم وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢).

ومن أمثلة الاعتدال في العبادة:

عدم الإطالة بالناس في صلاة الجماعة، لما في ذلك من مشقة على المصلين؛ لأن فيهم الضعيف والشيخ وذا الحاجة، أما إذا صلى منفرداً فليطل كما شاء.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها.

قال: فما رأيت النبي قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، ثم قال: «أيها الناس إن منكم منفرين، فأياكم ما صلى بالناس فليتجاوز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة»^(٣).

ويقول جابر بن سمرة رضي الله عنه: كنت أصلي مع النبي ﷺ الصلوات، فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً (والقصداً ما بين الطول والقصر)^(٤).

(١) مسلم، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، ح (٢٦٧٠)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ح (٤٧٧٦).

(٣) البخاري، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، ح (٦٧٠).

(٤) مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، ح (٨٦٦).

كما أمر النبي ﷺ بالاعتدال في قيام الليل، وكانت من سنته أن يصلي أقل من ثلثي الليل، أو نصفه أو ثلثه، فعن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة فقال: «من هذه؟» فقلت: امرأة لا تنام (تصلي) قال: «عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»^(١).

كما نهى ﷺ عن الوصال في الصوم، رحمة بأمته، ولأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولأن الإسلام في حاجة إلى رجال أقوياء أشداء يستطيعون رد أعدائه ونشر الإسلام في بقاع الأرض، فعندما سمع النبي ﷺ أن بعض أصحابه يصلون الصيام باليومين والثلاثة قال ﷺ: «ياكم والوصال، إياكم والوصال!» قيل: إنك تواصل قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»^(٢).

كما يجب التوسط في كل مجالات الإنفاق الدنيوية، فلا يكون بخيلاً يبغضه من حوله، ولا يكون مسرفاً يضيع من حوله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقواماً أي: وسطاً.

(١) مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته...، ح (٧٨٥).
(٢) البخاري، كتاب: الصوم، باب: التنكيل لمن أكثر الوصال، ح (١٨٦٥)، عن أبي هريرة ؓ.

النصيحة

النصيحة لغة: من «نصح الشيء نصحا ونصوحا ونصاحة».

ويقال: نصحت توبته: خلصت من شوائب العزم على الرجوع، ونصح قلبه: خلا من الغش، ونصح لفلان الود أو المشورة: أخلص، ونصح فلانا ونصح له: أرشده إلى ما فيه صلاحه فهو ناصح، والناصح: الخالص من كل شيء.

ويقال: امرؤ ناصح الجيب: لا غش عنده، والنصح: إخلاص المشورة، والنصيحة: قول فيه دعوة إلى صلاح ونهي عن فساد.

معنى النصيحة

النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا أصفيته، يقال: نصح الشيء إذا خلص، ونصح له القول إذا أخلصه له، أو مشتقة من النصح وهي الخياطة بالمنصحة وهي الإبرة، والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم بالمنصحة، ومنه التوبة النصوح: كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخرطه.

ويقول الإمام أبو عمر بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً^(١).

النصيحة ليست كلمة عابرة يلقى بها إلى الآخر، ظاناً بذلك أنه قد فعل ما يأمره به دينه، بل النصيحة أدب إسلامي له أهميته الكبرى.

أهمية النصيحة

١- وظيفة الرسل والأنبياء: قال تعالى على لسان نوح: ﴿وَأَنْصَحُكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢] وعلى لسان هود: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٨٦] وعلى لسان صالح: ﴿وَنَصَحْتُكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] وعلى لسان

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص ٨٠.

شعيب: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

٢- نوع من الجهاد: قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٩١].

أي لا حرج ولا سبيل على هؤلاء الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون في سبيل الله من أجل الجهاد مع النبي ولا يجد النبي ﷺ ما يحملهم عليه من دابة - لا حرج عليهم في حالة واحدة هي أن ينصحوا الله ولرسول ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

٣- من أحب الأعمال إلى الله: سئل ابن المبارك: أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله^(٢).

ويقول الحسن البصري: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: والذي نفسي بيده، إن شئتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عباد الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة^(٣).

طلب النصيحة

كان الوزير نظام الملك يكثر من إدخال أحد الفقهاء عليه، فسئل في ذلك، فقال: هذا الفقيه يدخل عليّ فلا يطربني، ولا يغربي، بل يذكرني بذنوبي وتقصيري فيخرج من عندي، وقد غسلت نفسي من الكبر، ثم هو لا يقبل مني عطاء ولو اجتهدت في إقناعه، أما غيره فأشعر حين يخرجون من عندي أن نفسي تغر ويعتريها غفلات^(٤).

أين من ينصحك؟

طلب عمر بن عبد العزيز من موله مزاحم قال له: إن الولا جعلوا العيون على العوام،

(١) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، ح (٥٥)، عن نعيم الداري ؓ.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٨٣.

(٣) السابق، ص ٨٢.

(٤) حطم صنمك، مجدي الهلالي، ص ١٥٦.

وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو فعلا لا تحبه، فعظني عنده، وانهي عنه^(١)، وطلب - رحمه الله - الطلب نفسه من عمرو بن مهاجر وقال له: يا عمرو إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يديك في تلابيبي، ثم هزني، ثم قل لي: ماذا تصنع؟^(٢)

وجوب النصيحة

قال الرسول ﷺ: «... وإذا استنصحتك فانصح لك»^(٣).

ويقول مصطفى مشهور: «نحن بشر، وكلنا فيه نقص وعيوب، وواجب المسلمين أن يبصر بعضهم بعضا بما فيهم من نقص أو عيوب، فالمؤمن مرآة أخيه، ومن صفات المؤمنين أنهم يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، فالواجب ألا تحول مواقع المسئولية مهما تدرجت دون تبادل هذه النصائح.

ويقول عبد الله ناصح علوان: ولا يمكن أن تكون - يعني الأخوة - كذلك حتى يكون الأخ مرآة أخيه المؤمن، فإن رأى أحدهما من الآخر خيرا شجعه عليه وطلب منه المزيد، وإن رأى منه نقصا أو خللا نصحه سرا وطلب منه أن يتوب إلى الله ويرجع إلى الهدى ودين الحق، وفي ذلك تعاون كبير على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وسعي حثيث لتكون الشخصية المتأخية على أسس الإسلام وميزان الشريعة وإلى هذه النصيحة الخالصة لله بايع النبي أصحابه عليها ليكونوا في المجتمع دعاة حق، وهداة خير، ورجال دعوة حيثما حلوا، وأبنا ارتحلوا»^(٤).

الفرق بين الغيبة والنصيحة

يقول ابن القيم: والفرق بين النصيحة والغيبة أن النصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع أو فتن أو غاش أو مفسد، فتذكر ما فيه إذا استشارك في صحبته ومعاملته والتعلق به أحد، كما قال النبي لفاطمة بنت قيس وقد استشارته في نكاح معاوية وأبي جهم، فقال: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له»^(٥).

(١) عيون الأنباء، ابن قتيبة الدينوري، ص ١٤٨.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٢٩٣/٥.

(٣) مسلم، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، ح (٢١٦٢)، عن أبي هريرة ؓ.

(٤) الأخوة الإسلامية، ص ١٨، ١٩.

(٥) مسلم، كتاب: الطلاق، باب: المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، ح (١٤٨٠)، عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

فإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين، فهي قربة إلى الله من جملة الحسنات، وإذا وقعت على وجه ذم أخيك وتمزيق عرضه والتفكه بلحمه، والغض منه لتضع من منزلته في قلوب الناس فهي الداء العضال ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب^(١).

نصيحة في السجن

يقول الشيخ عبد البديع صقر: لقيني الأستاذ الهضيبي في السجن الحربي ذات مرة أمام دورة المياه، فقال لي: في كم تحتم القرآن؟ قلت: كل ١٥ يوما، قال: وما يمنعك أن تحتم كل ثلاثة أيام؟ اقرأ جزأين بعد كل صلاة وأنت على وضوء، هذه فرصة لن تتكرر^(٢).

نصيحة مؤثرة

يقول أحد الشباب: خرجت ذات يوم بسيارتي لقضاء بعض الأعمال، وفي أحد الطرق الفرعية الهادئة قابلني شاب يركب سيارة صغيرة، لم يرني؛ لأنه كان مشغولا بملاحقة بعض الفتيات في ذلك الطريق الخالي من المارة.

كنت مسرعا فتجاوزته، فلما سرت غير بعيد قلت في نفسي: أأعود فأصح ذلك الشاب؟ أم أمضي في طريقي وأدعه يفعل ما يشاء؟ وبعد صراع داخلي دام عدة ثوان فقط اخترت الأمر الأول. عدت ثانية، فإذا به قد أوقف سيارته وهو ينظر إليهن ينتظر منهن نظرة أو التفاتة، فدخلن في أحد البيوت.

أوقفت سيارتي بجوار سيارته، نزلت من سيارتي واتجهت إليه، سلمت عليه أولا، ثم نصحته فكان مما قلته له: تخيل أن هؤلاء الفتيات أخواتك أو بناتك أو قريباتك فهل ترضى لأحد من الناس أو يؤذيهن؟ كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشيء من الخوف، فقد كان شابا ضخما ممتلئ الجسم، كان يستمع إلي وهو مطرق الرأس، لا ينبس ببنت شفة.

وفجأة التفت إلي، فإذا دمعة قد سالت على خده، فاستبشرت خيرا، وكان ذلك دافعا لي لمواصلة النصيحة، لقد زال الخوف مني تماما، وشدت عليه في الحديث حتى رأيت أني قد أبلغت في النصيحة. ثم ودعته، لكنه استوقفني، وطلب مني أن أكتب له رقم هاتفي وعنواني،

(١) الروح، ابن قيم الجوزية، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين ص ١١١.

وأخبرني أنه يعيش فراغا نفسيا قاتلا، فكتبت له ما أراد.

وبعد أيام جاني في البيت، لقد تغير وجهه وتبدلت ملامحه، فقد أطلق لحيته وشع نور الإيمان في وجهه. جلست معه، فجعل يحدثني عن تلك الأيام التي قضاها في التسكع في الشوارع والطرقات وإيذاء المسلمين والمسلمات، فأخذت أسليه، وأخبرته بأن الله سبحانه واسع المغفرة، وتلوت عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فانفرت أساري وجهه، واستبشر خيرا، ثم ودعني وطلب مني أن أرد الزيارة، فهو في حاجة إلى من يعينه على السير في الطريق المستقيم، فوعدته بالزيارة.

مضت الأيام، وشغلت ببعض مشاغل الحياة الكثيرة، وجعلت أسوف في زيارته. وبعد عدة أيام، وجدت فرصة وذهبت إليه، طرقت الباب فإذا بشيخ كبير يفتح الباب، وقد ظهرت عليه آثار الحزن والأسى، إنه والده.

سألته عن صاحبي، أطرق برأسه إلى الأرض، وصمت برهة ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له، ثم استطرد قائلا: حقا إن الأعمال بالخواتيم. ثم أخذ يحدثني عن حاله وكيف أنه كان مفرطا في جنب الله بعيدا عن طاعة الله، فمن الله عليه بالهداية قبل موته بأيام، لقد تداركه الله برحمته قبل فوات الأوان.

فلما فرغ من حديثه عزيته ومضيت، وقد عاهدت الله أن أبذل النصيحة لكل مسلم^(١).

آداب الناصح

١ - عدم كتمان النصيحة: قال الرسول ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست»، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه^(٢).

٢ - أن يكون قدوة: كتب رجل إلى صديق له: أما بعد فعظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك، واستح من الله بقدر قربه منك، وخفه بقدر قدرته عليك، والسلام.

(١) توبة رجال مشاهير، ص ٥ - ١٠.

(٢) سبق تخريجه.

٣- أن تكون النصيحة سرا: قال الشافعي:

تغمدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه
وكان الرسول ﷺ إذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، ما بال أحدكم يفعل كذا»^(١)، وقيل: النصح ثقيل فلا تجعله جبلا، ولا ترسله جدلا.
فالنفس البشرية لا تقبل أن يطلع الناس على عيبها، فلو نصحت أخاك سرا كان ذلك أرجى لقبوله النصيحة، أما إذا نصحته علنا أمام الناس، فقد يظن أنك تشهر به، وتظهر الفضل والعلم عليه، وقد يمنعه ذلك من تقبل النصيحة، بل قد يرفضها في الحال إنكارا لفعلك مع اقتناعه بالنصيحة.

يقول البنا: «إن النصيحة إذا ساءت انقلبت إلى فضيحة، ومن واجبنا أن نجعل النصيحة خالصة لوجه الله ومهذبة، وكان رسول الله إذا أتى أحد في مجلسه شيئا منافيا يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا ويفعلون كذا».

آداب المنصوح

١- تقبل النصيحة بصدور رحب: دون ضجر أو تكبر، وقد قيل: تقبل النصيحة على أي وجه، وقدمها على أحسن وجه.

٢- عدم الإصرار على الباطل: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

٣- شكر الناصح: يجب على المنصوح أن يقدم الشكر لمن نصحه، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

يقول عمر بن الخطاب ؓ: أحب الناس إلي من أهدى إلي عيبا^(٢).

(١) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في حسن العشرة، ح(٤٧٨٨)، قال الألباني: صحيح.

(٢) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المبرد، ٥٩٣/٢.

بر الوالدين

ذكر الوالدان في القرآن في ١٤ موضعا، وذكر البر في ٨ مواضع والأبرار في ٦ مواضع منها: ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. ووصف الله نفسه بالبر في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] جعل الإحسان للوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها: أنها سبب وجود الولد، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين، وإن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من حيث إنها لا يطلبان بذلك ثوابا، وإنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وكذلك الوالدان.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ثلاث آيات مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قريبتها؛ قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، والثانية قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المزمل: ٢٠] فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه، والثالثة قوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وهذه الآية جامعة ومشملة على جميع الحالات التي يكون عليها الآباء والأبناء.

ووصف الله تعالى يحيى بن زكريا قبل ولادته بقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤] وذكر عيسى عليه السلام الصفات الكبرى التي أنعم الله عليه فذكر منها بره بوالدته: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

الأدب مع الوالدين

بر الوالدين واجب ولو كان الأبوان كافرين أو فاسقين، غير أنه لا يطيعهما في معصية

الله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]

نصح إبراهيم أباه بأسلوب عذب رقيق تبدأ كل جملة فيها بكلمة يا أبت: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ أَهْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ مَا سَأْتَفِرُّ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤١: ٤٧].

طاعة لأمي

عن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة في عهد عثمان بن عفان ؓ ألف درهم.
قال: فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة فعقرها (قطعها) فأخرج جوارها (قلب النخلة) فأطعمه أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟
قال: إن أمي سألتني، ولا تسألني شيئا أقدر عليه إلا أعطيتها^(١).

أحمد بن حنبل

لما بلغ الخامسة عشرة من عمره، جاء إلى بغداد عالم كبير، وأقام في الضفة المقابلة لدار أحمد بن حنبل، وفاض نهر دجلة، وارتفع الموج حتى أدرك قصر الرشيد، فتركه إلى قصر بعيد، ولكن طلاب العلم هرعوا إلى الضفة الأخرى في الزورق، وأبى أحمد بن حنبل حين دعاه زملاؤه إلى العبور قائلا: أمي لا تدعني أركب الماء في هذا الفيضان، وترك العبور وعاد إلى أمه نطمئن عليه^(٢).

وكم كان أحمد باراً لأمه! لقد أبى الزواج ليتفرغ لخدمة أمه، فما تزوج إلا بعد أن ماتت وكان قد بلغ أكثر من ثلاثين عاما، لكيلا يدخل على الدار سيدة، أبى أن تنازع أمه السيادة على الدار.

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٥٢٢.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٧/ ٣٥٧.

لقد أدرك منذ نشأ أن أمه في سبيل توفير حياة كريمة له رفضت الخطاب من أجله، فحرص أن يعوضها، وبذل كل جهده في الدروس حتى حصل علوما ومعارف كثيرة في سن صغيرة معتمدا على نفسه.

رأى أمه تبيع حليها، لتعينه على طلب العلم فأقسم بينه وبين نفسه أن يعمل على مساعدتها، وكان حريصا على أن يوجد له عملا يساعد به على الإنفاق، وقد وفق كثيرا في ذلك. هل فكرت يوما في رد الجميل لأمك؟

موعظة

أيها المضيق لبر الوالدين، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشياطين، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك، حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج، وأرضعتك من لبنها، وأثرتك بالغذاء على نفسها، فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، لو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، ومع هذا كم عاملتها بسوء الخلق مرارا، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبت وهي جائعة، وقدمت عليها أهلك وأولادك، قد هجرتها وما لها سواك، هذا مولاك قد نهاك على التأفف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف، ستعاقب في الدنيا بعقاب البنين، وفي الآخرة بالبعد من رب العالمين^(١).

البر

من أسماء الله الحسنى البر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] ومعناه: البار المحسن غزير الإحسان لعباده، فهو سبحانه واسع يمنّ بعطائه على عباده دنيا ودينا.

إلهي، أنت البر الرحيم، وصل برك إلى العاصي والمستقيم، وتوالى عطاؤك للأقوياء والضعفاء، وتجليت لعيون الروح فشاهدت أنوارك في الأرض وفي السماء، اجعل لنا حظا وافرا من نور اسمك البر، ويسر لنا بفضلك كل أمر، وأعنا على تقديم البر للوالدين والأقارب، وإفاضة الإحسان إلى الجيران والأجانب، وامنحنا قوة إلهية نقوم بها ببر سيدنا

(١) الكبائر، الذهبي، ص ٣١، بتصرف.

محمد خير من هلل وكبر^(١).

مفاهيم تتصل ببر الوالدين

حق الأم في البر أكثر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»^(٢).

قال القرطبي: فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب وذلك لصعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاعة.

وجاء عن مالك أن رجلاً قال له: إن أبي في السودان، وقد كتب لي أن أقدم عليه، وأمي تمنعني من ذلك، فقال له: أطع أباك ولا تعص أمك^(٣).

وقال المحاسبى في كتاب الرعاية: لا خلاف بين العلماء أن للأم ثلاثة أرباع البر وللأب الربع^(٤).

من صور البر

أبصر أبو هريرة رضي الله عنه رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟

فقال: أبي، فقال أبو هريرة: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله^(٥).

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: لا تقوم إلى خدمتهما وأنت كسلان، ولا ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر إليهما شزراً، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر أو باطن، وأن ترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا^(٦).

(١) النور الأسمرى في شرح أسماء الله الحسنى، البر.

(٢) البخاري، كتاب: البر والصلة، باب: من أحق الناس بحسن صحابته، ح (٥٦٢٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٣٩/١٠.

(٤) السابق.

(٥) الأدب المفرد، البخاري، ٣٠/١، قال الألباني: صحيح.

(٦) تفسير الكشاف، الزمخشري، ٦١٨/٢.

ومن البر: إكرامهما، وعدم رفع الصوت عليهما وعدم مقاطعتهما أثناء الكلام، وعدم الخروج من البيت إلا بإذنهما، وتقبيل أيديهما، ومخاطبتهما بلطف، والنهوض لهما إذا دخلا عليه، وعدم إزعاجهما إذا كانا نائمين، وعدم تفضيل الزوجة والولد عليهما، وعدم مد اليد إلى الطعام قبلهما، وعدم النوم وهما جالسان إلا إذا أذنا بذلك، وعدم مد الرجلين أمامهما، وعدم المشي أمامهما، وإكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما، وعدم مصاحبة إنسان غير بار بوالديه، والدعاء لهما.

عن أبي غسان قال: خرجت أمشي مع أبي بظهر الحرة فلقيني أبو هريرة فقال: من هذا؟ قلت: أبي.

قال: لا تمس بين يدي أبيك ولكن امش خلفه، أو إلى جانبه، ولا تدع أحدا يحول بينك وبينه، ولا تمس فوق سطح أبيك، ولا تأكل عرقا قد نظر أبوك إليه لعله قد اشتهاه^(١).

رجل يخاف من عقوق الوالدين

قال رجل لعلي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: لقد علمناك من أبر الناس بأملك فلماذا لا تأكل معها في صفحة واحدة؟

فقال له: لأنني أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عققته^(٢).

ورأي عمر بن عبد العزيز أحد أبنائه في يوم عيد، وعليه ثوب خلق -أي قديم بال- فدمعت عيناه، فرآه ولده فقال له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

قال: يا بني أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلق.

فقال له ابنه: يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عقى أمه وأباه، وإنني لأرجو أن يكون الله تعالى راضيا عني برضاك^(٣).

موقف إسماعيل مع أبيه

سيدنا إسماعيل لم يقل لأبيه: وما ذنبي؟ وهل تطاوعك نفسك أن تذبحني بيدك؟ أو ما

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ٦٣/٧.

(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢٦٨/٣.

(٣) بدائل الحج والعمرة، ص ٥٨، ٥٩.

جوابك لأمي؟ إنه غلام حلیم كما وصفه الله عز وجل: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَحِدِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٤].

البر مفتاح الفرج

قال رسول الله ﷺ: «انطلق ثلاثة رهط من كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فتحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فناء بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدرح على يدي أنتظر سيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال لني ﷺ وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأدرعتها عن نفسها فامتعت مني حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجرا فأعطيتهم أجرا غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجرى، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من لابل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذ كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»^(١).

صور من العقوق

من العقوق أن يعتبر الولد نفسه مساويا لأبيه، وأن يتعاضم عن تقبيل يدي والديه، ومن

(١) البخاري، كتاب: الإجارة، باب: من استأجر أجيرا فترك أجره...، ح(٢١٥٢)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها.

العقوق أن يستحي أن يُعرف بأبيه، لاسيما إذا كان الولد في مركز مرموق، ومن العقوق ألا يقوم بحق النفقة على أبويه الفقيرين، ومن العقوق أن يرفع الولد صوته على أبيه.

جريج العابد

لا يخفى على أحد أن دعاء الوالدين مستجاب ولو كانا كافرين، وكانت أم جريج تنادي على ابنها جريج فلم يجيبها فدعت عليه قائلة: اللهم أر جريجا الفاسقات، وكانت بنو إسرائيل إذا ذكر جريج بينهم يثنون عليه، لكثرة عبادته، فسمعت امرأة فاسقة ما يقولون فقالت: إن شئتم لأفتننه، قالوا: قد شئنا، فجاءت إليه لتفتنه فلم يلتفت إليها، فخرجت من عنده غاضبة، وذهبت إلى راع ففعلت معه الفاحشة، فحملت وولدت غلاما، فقال الناس لها: ممن هذا الغلام؟ قالت: من جريج، فأثوه فاستنزلوه فشتموه وضربوه، وهدموا صومعته فقال: ما شأنكم؟ قالوا: إنك فعلت الفاحشة بهذه المرأة فولدت غلاما، قال: وأين هو؟ قالوا: ها هو ذا، فقام وصلى، ثم انصرف إلى الغلام فضربه على بطنه، فقال له: يا غلام من أبوك؟ قال: أنا ابن الراعي، فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه، وقالوا أنبني صومعتك من ذهب، قال: لا حاجة لي في ذلك، ابنوها من طين كما كانت^(١).

افعل ما شئت كما تدين تدان

يروى أن ولدا عاقا أتى إليه أبوه يطلب منه معروفا فتطاول عليه هذا الولد بالسب والضرب حتى أمسك بقدميه وهو ملقى على ظهره، وظل يزحف به الأرض حتى وصل به إلى عتبة باب الدار ليرمي به خارج الدار فوجد أحد الجيران فلم يكمل وعاد إلى الداخل، وبعد هذه الإهانة خرج الأب وهو يبكي، وتمر الأيام ويكبر الابن ويكبر أبناؤه ويأتي ابن له يعاتبه في أمر من الأمور، وإذا بهذا الابن يتطاول عليه بالسب والضرب ثم يمسك بقدميه وهو مستلق على ظهره ليسحبه خارج البيت حتى وصل إلى عتبة الباب وهنا قال الأب لابنه: كفى هذا يا بني، لقد وصلت بأبي إلى هذا الحد ولو زدت أنت عن هذا فمعناه أن غضب الله عليّ شديد.

(١) انظر: البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾، ح (٣٢٥٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قصة شاب

يقول الشاب: ذهبت إلى الخارج، وتعلمت وحصلت على شهادات عالية ثم رجعت إلى بلدي وتزوجت من فتاة غنية كانت سببا في تعاستي لولا عناية الله.

ويقول: مات والدي وأنا صغير فأشرفت أمي على رعايتي، عملت خادمة في البيوت حتى تستطيع أن تصرف علي، فقد كنت وحيدةا، أدخلتني المدرسة وتعلمت حتى أنهيت الدراسة الجامعية.. كنت بارا بها وجاءت بعثتي إلى الخارج فودعني أمي والدموع تملأ عينها وهي تقول لي: انتبه يا ولدي على نفسك ولا تقطع عني من أخبارك، أرسل إلي رسائل حتى أطمئن على صحتك.

أكملت تعليمي بعد مضي وقت طويل ورجعت شخصا آخر قد أثرت فيه الحضارة الغربية، رأيت في الدين تخلفا ورجعية، وأصبحت لا أؤمن إلا بالحياة المادية.

وتحصلت على وظيفة عالية وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلت عليها، وكانت والدتي قد اختارت لي فتاة متدينة محافظة، ولكنني أبيت، وتزوجت تلك الفتاة الغنية الجميلة؛ لأنني كنت أحلم بالحياة معها، وخلال ستة أشهر من زواجي كانت زوجتي تكيد لأمي حتى كرهت والدتي، وفي يوم من الأيام دخلت البيت وإذا بزوجتي تبكي، فسألتها عن السبب فقالت: شوف.. يا أنا يا أمك في هذا البيت، لا أستطيع أن أصبر عليها أكثر من ذلك.

جن جنوني وطردت أمي من البيت في لحظة غضب، فخرجت وهي تبكي، وتقول: أسعدك الله يا ولدي!! وبعد ذلك بساعات خرجت أبحث عنها ولكن بلا فائدة، رجعت إلى البيت واستطاعت زوجتي بمكرها وجهلي أن تنسيني تلك الأم الفاضلة الغالية.

انقطعت أخبار أمي عني فترة من الزمن أصبت خلالها بمرض خبيث دخلت على أثره المستشفى، وعلمت أمي بالخبر فجاءت تزورني، وكانت زوجتي عندي، وقبل أن تدخل علي طردتها زوجتي وقالت لها: ابنك ليس هنا، ماذا تريد مني، اذهبي عنا. رجعت أمي من حيث أتت.

وخرجت من المستشفى بعد وقت طويل انتكست فيه حالتي النفسية وفقدت الوظيفة والبيت وتراكمت علي الديون وكل ذلك بسبب زوجتي.. فقد كانت ترهقني بطلباتها

الكثيرة، وفي آخر المطاف ردت زوجتي الجميلة وقالت: ما دمت قد فقدت وظيفتك ومالك ولم يعد لك مكان في المجتمع فإني أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك، طلقني.

كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعت على رأسي، وطلقتها بالفعل، فاستيقظت من السبات الذي كنت فيه.

خرجت أهيم على وجهي أبحث عن أمي، وفي النهاية وجدتها ولكن أين وجدتها؟ كانت تقبع في أحد الأربطة تأكل من صدقات المحسنين، دخلت عليها وجدتها قد أثر عليها البكاء فبدت شاحبة وما إن رأيتها حتى ألقيت بنفسي عند رجلها وبكيت بكاء مرا، فما كان منها إلا أن شاركتني البكاء.

بقينا على هذه الحالة حوالي ساعة كاملة بعدها أخذتها إلى البيت، وآليت على نفسي أن أكون طائعا لها، وقبل ذلك أكون متبعا لأوامر الله ومجتنباً لنواهيه.

وها أنا الآن أعيش أحلى أيامي وأجملها مع حبيبة العمر: أمي حفظها الله، وأسأل الله أن يديم علينا السر والعافية^(١).

الجزء

غذوتك مولودا وعلتك يافعا	تعلم بما أسدى إليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشجر لم أبت	لبسواك إلا ساهرا أتململ
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها مدى ما كنت فيك أو مل
جعلت جزائي غلظة وفضاظة	كأنك أنت المنعم المفضل

شر ما يصيب المجتمع هو التفكك وضعف الروابط بين أبنائه، وذلك بغلبة الأنانية على أنفسهم، فيذكر المرء نفسه، وينسى أخاه، ويقول كل واحد: نفسي نفسي، ولا يبالي أن يجعل من الناس قرايين تقدم لإله أطماعه وشهواته.

شر ما يصيب المجتمع أن يقول كل فرد فيه: لي، ولا يقول: علي، أن تتضخم الأناني نفسه على حساب غيره.

(١) العائدون إلى الله، ص ٢٤، ٢٥.

فينظر إلى نفسه نظرة استعلاء واستكبار، وإلى الناس نظرة الازدراء والاحتقار^(١).

تذكر أمك الحنون

عندما كنت في سن سنة هي أطعمتك وحمك، أنت كافأتها بالبكاء طوال الليل.

عندما كنت في سن سنتين، هي دفعتك إلى المشي، أنت كافأتها بالهرب منها عندما تناديك.

عندما كنت في سن ٣ سنوات قامت بإعداد وجباتك الغذائية بكل رضا أنت كافأتها بإلقاء الطعام من فمك على الأرض.

عندما كنت في سن ٤ سنوات قامت بإهدائك مجموعة من الطباشير، أنت كافأتها بتلوين طاولة غرفة الطعام.

عندما كنت في سن ٦ سنوات، قامت بتوجيهك إلى المدرسة أنت كافأتها بالصراخ: لن أذهب.

عندما كنت في سن ٨ سنوات قامت بإعطائك آيس كريم، أنت كافأتها بإلقائه على ملابسك.

عندما كنت في سن ١٠ سنوات اشترت لك كرة، وأنت كافأتها برميها على منزل الجار المقابل وكسرت نافذته.

عندما كنت في سن ٢٤ سنة قامت بإعطائك أثاث شقتك الأولى أنت كافأتها بإخبار أصدقائك بأنه أثاث بشع.

عندما كنت في سن ٢٦ سنة قامت بمساعدتك في مصاريف زواجك، وبكت الدموع، وأخبرت عن مدى حبها لك، أنت كافأتها بالرحيل والسكن إلى أبعد منطقة في البلاد.

عندما كنت في سن ٣٠ سنة قامت بمناداة طفلك وتوجيهه ببعض النصائح، أنت كافأتها بقولك: الأمور تغيرت الآن.

عندما كنت في سن ٤٠ سنة قامت بالاتصال بك لتذكرك بمرض أحد أقاربك، أنت

كافأتها بقولك: بجد.. الآن مشغول جدا.

عندما كنت في سن ٥٠ سنة أصابها مرض، واحتاجت وجودك للاعتناء بها، أنت كافأتها بالشكوى المستمرة من أعبائك وأعباء أسرتك.

وبعد ذلك وفي يوم من الأيام، ماتت بهدوء، والشيء الوحيد الذي لم تقم به من قبل، قد أتى وقته يدوي مثل الرعد، بدأت تذرف الدموع لأن الحياة بدونها بلا معنى، بدأ ضميرك يشعر بالندم لأنك لم تعطيها حقها^(١).

قال الحسن البصري: ما يعدل بر الوالدين شيء من التطوع لا حج ولا جهاد^(٢).

وبكى إياس بن معاوية - رحمه الله - حين ماتت أمه فقيل له في ذلك فقال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما^(٣).

**احرص أخي الحبيب ألا تنام ليلة من الليالي وأحد والديك
غضبان عليك وبالأخص أمك.**

وكان من بر طلق بن حبيب أحد التابعين: أنه يقبل رأس أمه وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالا لها^(٤).

إياك أن تعق والديك، فإن عققتهم فبادر بالتوبة والاستغفار كما بادر ابن عون - رحمه الله - حين عق والدته فكفر عن ذلك العقوق بعق رقبتين حيث قال: نادتنني أمي يوما فأجبتها، فعلا صوتي على صوتها فأعتقت رقبتين.

أفعال تتنافى مع بر الوالدين

١ - كقول الابن لوالديه: أف أو (أوه) بمدّها أو إهانتها بالشتم أو رفع الصوت عليها أو التلظظ بالألفاظ السيئة أو التذمر منها أو رفض أوامرهما.

(١) مجلة الزهور، العدد ٢٢، ص ٦١.

(٢) الوقت عمار أو دمار، ص ٦١.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٦٩/٩.

(٤) الوقت عمار أو دمار، ص ٦٣.

- ٢- كأن يحرك الابن يده قاصدا إهانتها أو بمعنى اسكتوا فيضع إصبعه على فمه مثلا، أو يضربها بيده أو قدمه أو يجلس أمام والديه ويمد قدمه جهة وجهها.. وهكذا.
- ٣- كأن ينظر الابن إلى والديه نظرة احتقار أو إهانة أو ينظر إليهما بطرف عينه، أو لا ينظر إليهما أثناء حديثهما إليه، أو ينظر إليهما بتكبر وغيرها من النظرات.
- ٤- كأن يطلب الابن من والديه الفقيرين أكثر من طاقتها ويلزمهما بتسليمه المصروف المالي وهما لا يملكان فلا ينفق عليهما، أو أن يطلب الأبوان منه المال فيرفض إعطاءهما.
- ٥- من العقوق بعد الوفاة: عدم الاستغفار والدعاء لهما بالرحمة والعفو ودخول الجنة، وعدم الصدقة للوالدين، وعدم صلة أقاربهما وأصدقائهما، وذكرهما بما يسوؤهما^(١).

الشورى

الشورى: هي التعاون على تبادل الرأي ومداولته في أمر من أمور المؤمنين على أسس وقواعد.

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨] فقد ذكر المولى عز وجل الشورى بين فرضين عظيمين هما الصلاة والزكاة، وهذا دليل على أهمية الشورى في الإسلام.

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن»^(١).

والشورى مصطلح إسلامي له معناه المستقل في الإسلام كمصطلحات الصلاة والزكاة.. وأشكاله متنوعة ومتطورة.

وأهل الشورى يتقربون إلى الله بهذا العمل ويلتقون جميعا للوصول إلى الحق.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

حتى في الأمور الخاصة

كان الصحابة يستشيرون النبي ﷺ في كثير من أمورهم الخاصة، كما رأينا حين استشارته فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها- في أمر زواجها، وقد أبدى الرغبة فيها رجلان: معاوية وأبو جهم، فقال لها: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له»^(٢) واقترح عليها أن تزوج أسامة بن زيد ؓ.

(١) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في المشورة، ح (٥١٢٨)، قال الألباني: صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

لا بد أن يستشير المسلم إخوانه عند الزواج بامرأة، وكذلك المرأة، فلا خاب من استخار ولا ندم من استشار.

تشكيل الحكومة الإسلامية بالانتخاب

بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية طلب رسول الله ﷺ انتخاب اثني عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم، يكفلون المسؤولية عليهم في تنفيذ بنود هذه البيعة. فقال للقوم: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومكم بما فيهم» فتم انتخابهم في الحال، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ولما تم انتخاب هؤلاء النقباء أخذ عليهم النبي ﷺ ميثاقاً آخر بصفتهم رؤساء مسئولين، قال لهم: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي» - يعني المسلمين - قالوا: نعم^(١).

مجلس عسكري استشاري

عقد الرسول ﷺ مجلساً عسكرياً استشارياً بعد أن استشار الجند فخافوا، قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٦٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

أما قادة الجيش فقام أبو بكر وأحسن وقام عمر وأحسن، فقام المقداد بن عمرو وقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون.

فدعا له النبي ﷺ وهؤلاء القادة الثلاثة من المهاجرين - وهم أقلية في الجيش - وأراد أن يعرف رأي قادة الأنصار لأنهم أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيكون على كواهلهم، مع أن نصوص العقبة لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم، فنظر إليهم قائلاً: «أشيروا علي أيها الناس»، ففطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ ؓ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال ﷺ: «أجل»، قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/ ٢٩٥.

أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وإنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فقال رسول الله ﷺ: «سيروا وأبشروا؛ فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم»^(١).

وقد أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت نص ملزم فيه من كتاب أو سنة، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله، أما ما ثبت فيه نص من كتاب أو حديث من السنة أبرم به الرسول ﷺ حكمه، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضى عليه بأي سلطان.

الحباب خبير عسكري

تحرك الرسول ﷺ بجيشه فنزل أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر رضي الله عنه كخبير عسكري، وقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمئزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»، فنهض رسول الله ﷺ بالجيش حتى أتى أقرب ماء من العدو^(٢).

والرسول ﷺ يعلم أمته مبدأ الشورى وقبول الاقتراحات من الرعية، ولم يتكبر عليهم مع أنه الرسول الذي يوحى إليه.

في سقيفة بني ساعدة

عقب وفاته ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ كلام، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٦٢/٢.

(٢) السابق، ١٦٧/٢، ١٦٨.

بكر: لا، إنا الأمراء، وأنتم الوزراء، نحن أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، وأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فرضي الله عن عمر، فإنه عندما ارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللغط وخشي عمر الاختلاف، ومن أخطر الأمور التي خشيها عمر أن يبدأ بالبيعة لأحد من الأنصار فتحدث فتنة عظيمة؛ لأنه ليس من اليسير أن يبايع أحد بعد البدء بالبيعة لأحد الأنصار، فأسرع عمر بعد الشورى إخماداً للفتن، وقال للأنصار: يا معشر الأنصار، أليست تعلمون أن رسول الله أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأياكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر، ثم بادر ﷺ وقال لأبي بكر: ابسط يدك نبايعك^(١).

وكانت الشورى في اختيار خليفة المسلمين سبباً في توحيد الكلمة، ووحدة الأمة، فليجتمع الحكام وليتشاوروا فيما بينهم لإنشاء سوق عربية مشتركة لمواجهة التكتلات العالمية، وإظهار وحدة العرب والمسلمين.

الرسول ﷺ يستشير

استشار الرسول ﷺ أصحابه في قضية الأسرى، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية وعسى أن يهديهم الله، فقال رسول الله: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل بن أبي طالب وتمكن حمزة من فلان أخيه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قال عمر، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر، وهما يبيكان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله: «للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، فقد عرض علي عذابهم أدنى من

(١) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً...»، ح (٣٤٦٧)، عن عائشة رضي الله عنها.

هذه الشجرة - شجرة قريبة - قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِإِبْنِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧] ^(١)، والكتاب الذي سبق من الله هو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [عمد: ٤] ففيه الإذن بأخذ الفدية من الأسرى ولذلك لم يعذبوا، وإنما نزل العتاب؛ لأنهم أسروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض، ثم إنهم قبلوا الفداء من أولئك المجرمين، الذين لم يكونوا أسرى حرب فقط، بل كانوا مجرمي حرب لا يتركهم قانون الحرب الحديث إلا ويحاكمهم، ولا يكون الحكم في الغالب إلا بالإعدام أو بالحبس حتى الموت، واستقر الأمر على رأي الصديق فأخذ منهم الفداء، وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فإذا تعلموا فهو فداؤه.

ما أجمل أن تجلس مع أولادك وتستشيرهم في أمور البيت
حتى يشاركوك في همومكم واستمع إلى مقترحاتهم، وشجعهم
على التعبير عن آرائهم وإن كانت تخالفك..

رؤيا الرسول ﷺ

رأى رسول الله ﷺ رؤيا يوم أحد قالها لأصحابه: «إني رأيت والله خيرا، رأيت بقرا يذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلما، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة»، وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتأول الثلثة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وتأول الدرع بالمدينة، ثم قدم رأيه إلى أصحابه ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصنوا بها، فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون في الطرقات، والنساء من فوق البيوت. ووافقه على هذا كبار السن وفرح عبد الله بن أبي بن سلول بهذا الرأي، وأشارت جماعة من أفاضل الصحابة الذين لم يخرجوا في بدر - أشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج قائلين: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه إلينا وقرب المسير، أخرج إلى أعدائنا، لا يرون أنا جَبَنًا عنهم. ومنهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فقال: والذي أنزل عليك الكتاب لا

(١) مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ح (١٧٦٣)، عن عمر بن الخطاب ؓ.

أطعم طعاما حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة، ورفض رسول الله ﷺ رأيه أمام رأي الأغلبية، ثم صلى النبي ﷺ الجمعة بالناس وحثهم على الجهاد، ثم صلى العصر ثم دخل بيته فتقلد سيفه، فقال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير للشباب: لقد استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردوا الأمر إليه، فندموا على ما صنعوا فلما خرج قالوا له: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل، فقال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته - وهي الدرع - أن يضعها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»، وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب ثم سار إلى العدو مع ألف مقاتل^(١). وتمرّد عبد الله بن أبي - وكان على مقربة من العدو فقد كان يراهم ويرونه - فانسحب بثلاث الجيش ثلاثمائة مقاتل قائلا: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ متظاهرا بالاحتجاج على ترك الرسول ﷺ لرأيه وإطاعة غيره، وكان هدفه هو إحداث بلبلة واضطراب في جيش المسلمين وإضعاف معنويات من بقي مع الرسول ﷺ، وكاد ينجح؛ فقد همت طائفتان - بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج - أن تفشلا ولكن تولاها الله فثبتها بعد أن هما بالانسحاب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] وحاول عبد الله بن حرام - والد جابر بن عبد الله - تذكير هؤلاء المنافقين بواجبهم في هذا الطرف الدقيق، فتبعهم وهو يوبخهم ويحضرهم على الرجوع، ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقتلون لم نرجع، فرجع عنهم عبد الله بن حرام قائلا: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه^(٢). قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

يقول سيد قطب: لقد كان في استطاعة رسول الله ﷺ أن يجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة، التي تعرضت لها، وهي بعد ناشئة ومحاطة بالأعداء من كل جانب، والعدو رابض في داخل أسوارها ذاتها، نقول كان في استطاعة رسول الله ﷺ أن يجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة التي تعرضت لها، لو أنه قضى برأيه في خطة المعركة مستندا إلى رؤياه الصادقة، وفيها ما يشير إلى أن المدينة درع حصينة، ولم يستشر أصحابه، أو لم يأخذ بالرأي

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٩/٤.

(٢) السابق، ١٠/٤.

الذي انجلت المشورة عن رجحانه في تقدير الجماعة، أو لو أنه رجع عن الرأي عندما سحت له فرصة الرجوع، وقد خرج من بيته، فرأى أصحاب هذا الرأي نادمين أن يكونوا قد استكروه على غير ما يريد، ولكنه -وهو يقدر النتائج كلها- أنفذ الشورى، وأنفذ ما استقرت عليه، وذلك كي تجابه الجماعة المسلمة نتائج التبعة الجماعية، وتعلم كيف تتحمل تبعة الرأي، وتبعة العمل؛ لأن هذا في تقديره ﷺ وفي تقدير المنهج الإسلامي الذي ينفذه أهم من اتقاء الخسائر الجسيمة، ومن تجنب الجماعة تلك التجربة المريرة، فتجنب الجماعة التجربة معناه حرمانها الخبرة، وحرمانها المعرفة، وحرمانها التربية^(١).

بيت المقدس

بعد الانتصار الذي أيد الله به المسلمين على أعدائهم الروم في أجنادين، حاصر جيش المسلمين الروم في بيت المقدس وضيقوا عليهم حتى وافقوا على الصلح فأرسل أبو عبيدة بن الجراح ؓ قائد الجيش الإسلامي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ يخبره بأن يحضر، فلما وصل الخبر إلى أمير المؤمنين اجتمع مع الصحابة، واستشارهم في أمر الخروج إلى بيت المقدس، فأشاروا عليه بالخروج، فأخذ عمر برأيهم وتوجه إلى الشام فاستقبله أمراء المسلمين. اجلس مع المسئولين في العمل، وعليك بالشورى، ولا تكن مستبداً.

مفاوضات

في غزوة الخندق أراد النبي ﷺ أن يصالح عينة بن حصن والحارث بن عوف رئيس غطفان على ثلث ثمار المدينة، حتى ينصرف بقومه، ويستعد المسلمون لإلحاق الهزيمة الساحقة بقريش، فاستشار ﷺ السعديين (سعد بن عباد وسعد بن معاذ) رضي الله عنهما، فقالا: يا رسول الله، أمرا تحبه فتصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما»، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو يبيعا، أفحين أكرمنا الله

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٥٣٢.

بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا^(١).

إذا قابلتك محنة فاستشر أهل الخير.

استشارة أم سلمة

لما فرغ رسول الله ﷺ من المعاهدة، قال: «قوموا فانحروا» فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة -رضي الله عنها- فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك. فقام فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه ودعا حالقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يخلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما^(٢).

أخي الزوج، لا تتكبر على زوجتك واستشرها في أمورك الخاصة، واستمع إلى آرائها ومقترحاتها ولا تسمع لمن يقول «شاوروهن وخالفوهن» فهو قول غير صحيح.

جمعية عمومية

جعل عمر بن الخطاب ؓ موسم الحج جمعية عمومية ليلتقي فيه بزوار بيت الله الحرام والعمال وأصحاب المظالم، فكان موسما عاما للمراجعة، ولا يكتفي عمر بأهل الخبرة، بل إذا أعياه الأمر دعا الأحداث فاستشارهم لحدة عقولهم، وإنه لإلهام في فن الاستشارة.

الشورى البناءة

قالت بلقيس: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ» قَالُوا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤ / ١٨١.

(٢) البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح (٢٥٨١)، عن المسور بن مخرمة ؓ.

نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمِ يَرْجَعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٤﴾ [النمل: ٣٢: ٣٥] وبمثل هذه المشاورة البناءة تمكنت ملكة سبأ أن تجنب قومها الدخول في حرب خاسرة بل دخلت في دين سليمان.

الإسلام لا يحب أن يؤم رجل الناس في صلاة الجماعة وهم له كارهون، فكيف يقبل أن يقود رجل أمة كلها في شئونها العامة، وهي له كارهة.

عدم الاستقلال بالرأي

أحجم الناس عن الخروج إلى دولة الفرس، لما في نفوسهم من عظمتها وشوكتها القديمة، ولكن المنثى بن حارثة الشيباني وقف في المدينة المنورة وقال: أيها الناس، لا يعظم عليكم هذا الوجه؛ فإننا قد فتحنا ريف فارس، وغلبناهم، ولننا منهم، واجترأنا عليهم، ولنا إن شاء الله ما بعدها.

وكان أول من استجاب للخروج أبو عبيد بن مسعود الثقفي، فأمره عمر بن الخطاب على الجيش فسار بالمسلمين إلى أرض العراق، بعد ما أوصاه عمر أن يسمع من أصحاب رسول الله ويشركهم في الأمر، وألا يتسرع.

بعث رستم بهمن جاذويه إلى أبي عبيد، وقال له: إما أن تعبر النهر -نهر الفرات- إلينا ونندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبر إليكم، فنهى الناس أبا عبيد عن العبور فترك الرأي والمشورة، وقال أبو عبيد: لا يكونوا أجراً على الموت منا، فعبروا إليهم فاقتلوا، وكان مع الفرس فيلة، فلما رأتها خيل المسلمين لم تتقدم نحوها وتراجعت، ففرقت الفيلة خيل المسلمين، فاشتد الأمر بالمسلمين، فترجل أبو عبيد والناس، ثم مشوا إلى الفرس حتى صافحوهم بالسيوف، ولكن الفيلة ما حملت على جماعة إلا دفعتهم، فقال أبو عبيد: قطعوا الفيلة، ووثب هو على فيل أبيض فوقه عليه، وفعل المسلمون مثل ذلك فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه.

وأهوى فيل على أبي عبيد فضربه بالسيف فقطع خرطوم، ولكن الفيل ضرب أبا عبيد، فوقع أبو عبيد ووطئه الفيل وقام عليه، فلما بصر به الناس تحت الفيل، خشعت أنفسهم،

وتتابع على أخذ اللواء سبعة أنفس من ثقيف فقاتلوا حتى الشهادة، فأخذ اللواء المثني بن حارثة الشيباني ولكن بعد أن ذهب ربح المسلمين، وانكشف أمرهم وبعد بدء تراجعهم على الجسر إلى ضفة الفرات الغربية.

ولما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه، وما يصنع الناس بأدرهم إلى الجسر فقطعه كي لا يتراجع أحد، وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم. وحصر الفرس المسلمين إلى الجسر وقد انقطع، فتوالب المسلمون إلى الفرات، ولكن المثني وفرسانا من المسلمين حمى من بقي منهم.

ولما بلغت الهزيمة عمر قال: اللهم إن كل مسلم في حل مني، أنا فئة كل مسلم^(١). واقتصر المسلمون من الفرس فيما بعد في معركة البويب، وكان النصر، ولكن بعد أن تعلموا أن الاستقلال بالرأي من أسباب الهزيمة.

جمع القرآن الكريم

كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضي الله عنه بمشاورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن حيث جمع من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال، وأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر (كثر) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا تهملك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن^(٢).

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٣٦٦/٢.

(٢) البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة براءة، ح (٤٤٠٢)، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وهكذا كان الصحابة يجتهدون في جو من الهدوء والشورى يسوده الود والاحترام، هدفهم الوصول إلى ما يحقق المصلحة العامة لجماعة المسلمين، وأنهم كانوا ينقادون إلى الرأي الصحيح، وتنشرح قلوبهم له بعد الإقناع والافتناع، فإذا تشاوروا واقتنعوا دافعوا عنه كما لو كان رأيهم منذ البداية.

شورى أبي بكر

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها أو نزرعها، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون فيما قالوا، إن كانت أرضاً سبخة لا ينتفع بها؟

قالوا: نرى أن تقطعها إياها، لعل الله ينفع بها بعد اليوم، فأقطعها إياها، وكتب لهما بذلك كتاباً، وأشهد عمر - وليس في القوم - فانطلقا إلى عمر يشهدانه، فوجداه يهناً بعيراً له (يطليه بالهناء أي القطران) فقالا: إن أبا بكر أشهدك على ما في الكتاب فنقرأ عليك أو تقرأ؟

فقال: أنا على الحال الذي تريان، فإن شئتما فاقرأ وإن شئتما فانظرا حتى أفرغ، فأقرأ عليكما، قالوا: بل نقرأ، فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه فمحاه، فتذمرا، وقالوا مقالة سيئة فقال: إن رسول الله كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله قد أعز الإسلام، فاذهبا فأجهدا جهدكما، لا رعى الله عليكما إن رعيتهما. فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمran فقالا: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟

فقال: لا بل هو لو شاء، فجاء عمر وهو مغضب، فوقف على أبي بكر فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين أرض هي لك خاصة أم للمسلمين عامة؟

قال: بل للمسلمين عامة. قال: فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا علي بذلك. قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك، فكل المسلمين أوسعهم مشورة ورضاً. فقال أبو بكر: قد كنت قلت لك: إنك على هذا أقوى مني، ولكن غلبتني^(١).

(١) التاريخ الكبير، البخاري، ٨١/١.

هذه الواقعة دليل لا يقبل الشك أن حكم الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين كان يقوم على الشورى، فهي تظهر لنا خليفة رسول الله حريصا على استشارة المسلمين في الصغيرة والكبيرة، وما كان ليبرم أمرا دون مشورة إخوانه.

استخلاف الصديق للفاروق

لما اشتد المرض بأبي بكر جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميتا لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمرؤا عليكم من أحببتهم، فإنكم إن أمرتم في حياتي كان أجدر ألا تختلفوا بعدي، وتشاور الصحابة -رضي الله عنهم- وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلونني حتى أنظر الله، لدينه، ولعباده، فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: هو -والله- أفضل، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال: أنت أخبر به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر: يرحمك الله، ثم دعا أسيد بن حضير فقال له مثل ذلك، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك؛ يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.. وكذلك استشار سعيد بن زيد وعددا من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريرا كانوا برأي واحد في عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته فقال لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبا الله تخوفوني؟! خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك. وبين لهم سبب غلظة عمر وشدته، فقال: ذلك لأنه يراني رقيقا ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما عليه. ثم كتب عهدا مكتوبا يقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار عن طريق أمراء الأجناد^(١).

إنها صورة للشورى الحقيقية المنضبطة مع أوامر الله، مع الحلال والحرام، لا الشورى المزيفة التي تجري تحت قباب مجالس لم تجن من ورائها الشعوب إلا الماراة والاستبداد والظلم والضياع.

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ٦٧٥/٥.

اختيار الولاية

كان اختيار الولاية يتم بعد مشاورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكبار الصحابة، فقد قال لأصحابه يوماً: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير، فأشاروا إلى الربيع بن زياد، وقد استشار عمر بن الخطاب فيمن يولي على أهل الكوفة فقال لهم: من يعذرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفاً استضعفوه، وإن استعملت عليهم قوياً فجروه، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي، وآخر قوي مشدد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبه قال: يا أمير المؤمنين إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدد فشده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك، فقال عمر: صدقت يا مغيرة، ثم ولاه الكوفة، وقال له: انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين^(١).

شورى خامس الخلفاء الراشدين

جاء أن عمر بن عبد العزيز جمع قراء الشام والفقهاء وقال: إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في يد أهل بيتي، فما ترون فيها؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن ذلك أمر كان في غير ولايتك، وإن وزر هذه المظالم على من غضبها. فلم يرتح إلى ما قالوه، فالتفت إليه أحدهم ممن كان يرى غير رأيهم، وقال: ابعث يا أمير المؤمنين إلى عبد الملك، فإنه ليس دون من دعوت علماً، فلما دخل عليه عبد الملك قال له عمر: ما ترى في هذه الأموال التي أخذها بنو عمنا من الناس ظلماً؟ وقد حضر أصحابها وجعلوا يطلبونها، وقد عرفنا حقهم فيها؟

فقال: أرى أن تردّها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل، كنت شريكاً للذين أخذوها ظلماً. فانبسطت أسارير عمر، وارتاحت نفسه، وزال عنه ما أهمه، بفضل الشورى^(٢).

(١) الولاية على البلدان، ١/ ١٢٨.

(٢) صور من حياة التابعين، ص ٨٦.

التعاون

لا يمكن لأي إنسان مهما آتاه الله من أسباب، أن يعيش على الأرض منفردًا فهذا ضد طبيعته وإمكاناته وما جبل عليه ابن آدم، فالفرد يحتاج للناس والناس تحتاج إليه، حتى تسير الحياة للجميع بأفضل صورة وهذا هو «التعاون».

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتعاون شرط أن يكون على البر والتقوى، ونهاهم أن يكون تعاونهم على الإثم والعدوان.

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعانة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم^(١).

قال ابن جرير: الإثم: ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان: مجاوزة ما حد الله في دينكم ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم، وقد قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قيل: يا رسول الله هذا نصرته مظلومًا، فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «تجيزه وتمنعه من الظلم، فذاك نصره»^(٢).

وقال ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(٣).

وقال النبي ﷺ أيضًا: «الدال على الخير كفاعله»^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢/٢.

(٢) البخاري، كتاب: الإكراه، يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، ح(٦٥٥٢)، عن أنس بن مالك.

(٣) أحمد، من أحاديث رجال أصحاب النبي ﷺ، ح(٢٣١٤٧)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) الترمذي، كتاب: العلم، باب: الدال على الخير كفاعله، ح(٢٦٧٠)، قال الترمذي: غريب، قال الألباني: حسن صحيح.

وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١).

وللتعاون على البر والتقوى وفعل الخيرات صور كثيرة نذكر منها:

١- التعاون مع إخوانك

أحس شيخ كبير بقرب أجله، فجمع أولاده الثلاثة ليوصيهم بوصية تنفعهم في حياتهم، فأعطاهم حزمة كبيرة من الخطب، وطلب من كل منهم أن يكسرها بمفرده، فحاول كل واحد أن يكسرها، لكنه لم يستطع لشدة قوتها وصلابتها.

أخذ الأب الحزمة، وفكها إلى أعواد، وأعطى كل واحد منهم عوداً، فكسره بسهولة فقال الأب لأبنائه: إنكم يا أبنائي مثل هذه الحزمة إذا اتحدتم وكنتم يداً واحدة فلن يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يغلبكم، وإن تفرقتم فسوف يصيبكم لضعفكم، ويتمكن عدوكم منكم، فعليكم يا أولادي بالتعاون في قضاء أموركم فإن في التعاون قوة.

الوزير النبي:

طلب سيدنا موسى ﷺ من ربه أن يكون أخوه مساعداً له يتعاون معه على تبليغ رسالته فقال: ﴿وَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿اَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

وهكذا لا يستطيع الداعية أن يؤثر في الناس بمفرده لا بد أن يتعاون مع إخوانه في دعوة الآخرين بشتى الطرق.

حضر الخندق

كان الرسول ﷺ يشترك مع الصحابة في حفر الخندق، يقول البراء بن عازب ؓ: رأيتُه ينقل تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعتُه يرتجز

(١) مسلم، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (٢٦٧٤)، عن أبي هريرة ؓ.

بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل التراب، ويقول ﷺ:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
قال: ثم يمد بها صوته بآخرها^(١).

لم يتكبر الرسول ﷺ على أصحابه بل تعاون معهم في أشد اللحظات وأصعب الأمور،
وما أعظمه من قائد!

تعاون في بناء المسجد الأول

كانت أول خطوة خطاها رسول الله ﷺ بعد الهجرة هي إقامة المسجد النبوي، ففي
المكان الذي بركت فيه ناقته أمر ببناء هذا المسجد، واشتره من غلامين يتيمين كانا يملكانه،
وساهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

هل تشارك إخوانك في أمورهم الخاصة والعامة؟

مساعدة المستول

دعا عمر بن الخطاب سعيد بن عامر إلى مساعدته وقال: يا سعيد إنا مولوك على أهل حمص،
فقال: يا عمر نشدتك الله ألا تفتني، فغضب عمر وقال: ويحكم وضعتم هذا الأمر في عنقي ثم
تخلّيتم عني!! والله لا أدعك، ثم ولاه على حمص وقال: ألا نفرض لك رزقاً؟ قال: وما أفعل به يا
أمير المؤمنين؟! فإن عطائي من بيت المال يزيد عن حاجتي، ثم مضى إلى حمص^(٢).

إذا كنت جندياً فاحرص على مساعدة مسئولك في إنجاز مهمته بما يرضي الله.

لا تمنع أخاك

روى مالك في الموطأ عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه: أن الضحّاك بن خليفة ساق

(١) السيرة الحلبية، برهان الدين الحلبي، ٢/ ٦٣٣.

(٢) صور من حياة الصحابة، ص ٢١.

خليجاً له من العريض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة، فأبى محمد، فقال له الضحاك: لم تمنعني وهو لك منفعة تشرب به أولاً وآخرًا ولا يضرك؟ فأبى محمد، فكلّم فيه الضحاك عمر بن الخطاب، فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة، فأمره أن يخلي سبيله، فقال محمد: لا، فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقي به أولاً وآخرًا وهو لا يضرك؟ فقال محمد: لا والله، فقال عمر: والله ليمرن به ولو على بطنك، فأمره عمر بن الخطاب أن يمر به، ففعل الضحاك^(١)، وكان هذا قياساً من عمر على حديث أبي هريرة الذي قال فيه: إن النبي قال: «لا يمنع أحدكم جاره خشبة يغرزها في جداره» ثم قال أبو هريرة: مالي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم^(٢).

تعاون الصغار

يقول الإمام الشهيد البنا في مذكراته: ونحن طلاب في المدرسة الإعدادية كنا نصلي الظهر في المسجد المجاور للمدرسة، وذات يوم مر إمام المسجد فرأى كثيرًا من التلاميذ، زاد على ثلاثة صفوف أو أربعة فخشي الإسراف في الماء، والبلى للحصير، فانتظر حتى أتم المصلون صلاتهم، ثم فرقهم بالقوة مهددًا ومنذرًا ومتوعّدًا، فمَنَعَهُمْ مِنْ فِرِّ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ ثَبْتٍ، وَأَوْحَتْ إِلَى خَوَاطِرِ التَّلْمِذَةِ أَنْ أَقْتَصَّ مِنْهُ وَلَا يَدُ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ خُطَابًا لَيْسَ فِيهَا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وبعث الخطاب بالبريد، ثم عرف الشيخ من جاءته هذه الضربة، فقابل الوالد شاكيًا، فأوصاه بالتلاميذ خيرًا، وكانت له معنا مواقف طيبة بعد ذلك، واشترط علينا أن نملأ صهريج المسجد بالماء قبل انصرافنا، وأن نعاونه في جمع تبرعات للحصر، فأعطيناه ما شرط^(٣).

هل تتعاون مع إمام المسجد لمصلحة المسلمين؟

٢- تعاون بين الزوجين

على الزوجة أن تعاون زوجها كما فعلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما زوجة الزبير

(١) الموطأ، رواية يحيى الليثي، ٢/ ٧٤٦.

(٢) السابق، ٢/ ٧٤٥.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية، ص ٥٦، ٥٧.

بن العوام قالت أسماء - رضي الله عنها: كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس وكنت أسوسه، وأقوم عليه، وكانت رضي الله عنها تعلفه، وتسقي الماء، وتخز الدلو، وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثي فرسخ^(١).

فعلى الزوجة أن تتحمل زوجها، وتقف بجانبه في أوقات الشدة.

٢- تعاون الملائكة في بدر

في غزوة بدر يقول ابن عباس - رضي الله عنهما:

بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت، وذلك مدد من السماء الثالثة»^(٢)، وجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلىح (الذي انحسر الشعر عن جانب رأسه) من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق، وما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال ﷺ: «اسكت فقد أيدك الله بملك كريم»^(٣).

٤- قضاء حوائج الناس

قالت السيدة خديجة - رضي الله عنها - عندما عاد إليها من غار حراء بعد أن نزل عليه الأمين جبريل بالوحي: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل (الثقل)، وتكسب المعدوم (الفقير)، وتعين على نوائب الحق^(٤).

مساعدة الناس تكون سببًا في النجاة من المحن، فلا تبخل على إخوانك بالمساعدة فيما وهبك الله، واحتسب أجرك عند الله.

مشروع زواج

كان أحد الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده ليلبي أمره إذا نزلت

(١) مسلم، كتاب: السلام، باب: جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق، ح (٢١٨٢).

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحى الشامي، ٣٩/٤.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير، ٤٢٣/٢.

(٤) البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة العلق، ح (٤٦٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

بالرسول حاجة فقال له رسول الله: «يا ربيعة ألا تتزوج؟» قال: قلت: لا والله يا رسول الله، ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلني عنك شيء، قال: فأعرض عني، قال: ثم راجعت نفسي فقلت: والله يا رسول الله أنت أعلم بما يصلحني في الدنيا والآخرة، قال: وأنا أقول في نفسي ليت قال لي الثالثة لأقولن نعم، قال: فقال لي الثالثة: «يا ربيعة ألا تتزوج؟» قال فقلت: بلى يا رسول الله، مري بما شئت أو بما أحببت، قال: «انطلق إلى آل فلان -حي من الأنصار- فيهم تراخي عن رسول الله ﷺ فقل لهم: إن رسول الله ﷺ يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوجوا ربيعة فلانة امرأة منهم»، قال: فأتيتهم فقلت لهم ذلك فقالوا: مرحبا برسول الله ﷺ وبرسول رسول الله ﷺ، والله لا يرجع رسول رسول الله ﷺ إلا بحاجته، قال: فأكرمني وزوجوني وأطفوني ولم يسألوني البينة فرجعت حزينا فقال رسول الله ﷺ: ما بالك؟ فقلت: يا رسول الله أتيت قوما كراما فزوجوني وأكرمني ولم يسألوني البينة، فمن أين لي الصداق؟ فقال رسول الله ﷺ لبريدة الأسلمي: «يا بريدة أجمعوا له وزن نواة من ذهب» قال: فجمعوا لي وزن من ذهب قال: فقال النبي ﷺ: «اذهب بهذه إليهم وقل هذا صداقها» فذهبت به إليهم فقلت: هذا صداقها، قال: فقالوا كثير طيب فقبلوا ورضوا به قال فقلت: من أين أولم؟ قال فقال يا بريدة: اجمعوا له في شاة قال فجمعوا لي في كبش فطيم سمين قال: وقال النبي ﷺ: «اذهب إلى عائشة فقل انظري المكتل الذي فيه الطعام فابعثي به» قال فأتيت عائشة رضي الله عنها فقلت لها ذلك، فقالت: ها هو ذاك المكتل فيه سبعة أصع من شعير ووالله أن أصبح لنا طعام غيره، قال فأخذته فجئت به إلى النبي ﷺ فقال: «اذهب بها إليهم فقل ليصلح هذا عندكم خبز» قال: فذهبت به وبالكبش قال فقبلوا الطعام وقال: اكفونا أنتم الكبش قال: وجاء ناس من أسلم فذبحوا وسلخوا وطبخوا قال فأصبح عندنا خبز ولحم فأولمت ودعوت رسول الله ﷺ^(١).

هل فكرت في يوم من الأيام في مساعدة إنسان فقير على الزواج
ولو بجزء يسير من وقتك أو من مالك أو من جهدك؟

(١) الحاكم في المستدرک، کتاب: فضائل القرآن، ح(٢٧١٨)، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

التعاون في أمور الزواج

قال أبو وداعة: كنت ألازم مسجد رسول الله ﷺ طلباً للعلم، وكنت أداوم على حلق سعيد بن المسيب وأزاحم الناس عليها بالمناكب، فتغييت عن حلقة الشيخ أياماً، فتفقدني، وظن أن بي مرضاً، أو عرض لي عارض، فسأل عني من حوله، فلم يجد عند أحد منهم خبراً فلما عدت إليه بعد أيام حياتي، ورحب بي وقال: أين كنت يا أبا وداعة؟ فقلت: توفيت زوجتي، فاشتغلت بأمرها، فقال: هلا أخبرتنا يا أبا وداعة فأواسيك، ونشهد جنازتها معك، ونعينك على ما أنت فيه، فقلت: جزاك الله خيراً، وهممت أن أقوم، فاستبقاني حتى انصرف جميع من كان في المجلس، ثم قال لي: أما فكرت في استحداث زوج لك يا أبا وداعة؟ فقلت له يرحمك الله، ومن يزوجني ابنته وأنا شاب نشأ يتيمًا، وعاش فقيرًا، أنا لا أملك غير درهمين، أو ثلاثة دراهم، فقال: أنا أزوجك ابنتي، فانعقد لساني وقلت: أنت؟! أترزوجني ابنتك بعد أن عرفت من أمري ما عرفت؟! فقال: نعم، فنحن إذا جاءنا من نرضى دينه وخلقه زوجناه، وأنت عندي مرضي الدين والخلق، ثم التفت إلى من كان قريباً منا، وناداهم، فلما أقبلوا عليه وصاروا عنده، حمد الله عز وجل وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد وعقد لي على ابنته، فقمت وأنا لا أدري ما أقول من الدهشة والفرح، ثم قصدت بيتي، وكنت يومئذ صائماً، فنسيت صومي وجعلت أقول: ويحك يا أبا وداعة، ما الذي صنعت بنفسك؟! ممن تستدين؟! وممن تطلب المال؟! وظللت على حالي هذه حتى أذن للمغرب، فأديت المكتوبة، وجلست إلى فطوري، وكان خبزاً وزيتاً، فما أن تناولت منه لقمة أو لقمتين حتى سمعت الباب يقرع، فقلت: من الطارق؟ فقال: سعيد، فوالله لقد مر بخاطري كل إنسان اسمه سعيد أعرفه إلا سعيد بن المسيب؛ ذلك لأنه لم ير منذ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، ففتحت الباب، فإذا بي أمام سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له في أمر زواجي من ابنته شيء، وقلت له: يا أبا محمد؟! هلا أرسلت إلينا فاتيك، فقال: بل أنت أحق بأن آتي إليك اليوم، فقلت: تفضل علي، فقال: كلا، وإنما جئت لأمر، فقلت: وما هو يرحمك الله؟ فقال: إن ابنتي أصبحت زوج لك بشرع الله منذ الضحى، وأنا أعلم أنه ليس معك أحد يؤنس وحشتك، فكرهت أن تبيت أنت في مكان وزوجتك في مكان آخر، فجئتك بها، فقلت: ويحي جئتني بها؟! فقال: نعم، فنظرت، فإذا هي قائمة بطولها، فالتفت إليها وقال: ادخلي إلى بيت زوجك يا ابنتي على اسم الله

وبركته، فلما أرادت أن تخطو، تعثرت بثوبها من الحياء حتى كادت تسقط على الأرض، أما أنا فقد وقفت أمامها ذاهلاً لا أدري ما أقول، ثم إني بادرت فسبقتها إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت، فنحيتها من ضوء السراج حتى لا تراها، ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران، فأقبلوا علي وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: عقد لي سعيد بن المسيب على ابنته اليوم في المسجد، وقد جاءني بها الآن على غفلة، فتعالوا آنسوها حتى أدعو أُمي، فهي بعيدة الدار فقالت عجوز منهن: ويحك أتدري ما تقول؟! أزوجك سعيد بن المسيب ابنته، وحملها لك إلى البيت بنفسه؟! وهو الذي ضن بها على الوليد بن عبد الملك، فقلت: نعم، وها هي ذي عندي في بيتي، فهلموا إليها، وانظروها، فتوجه الجيران إلى البيت، وهم لا يكادون يصدقوني، ورحبوا بها، وأنسوا وحشتها، كما وجه إلينا سعيد بن المسيب مبلغاً وفيراً من المال لنستعين به على حياتنا^(١).

وهكذا تعاونوا فيما بينهم لتيسير أمور الزواج

فعلى أولياء الأمور التيسير على الشباب

في أمور الزواج، فالسعادة ليست في كثرة المهور

والتفاخر بها، وإنما في طاعة الله عز وجل.

ذو القرنين

كان يأجوج ومأجوج أناساً لهم أشكال مخيفة، يفسدون في الأرض لا يصلحون، وكان في زمانهم ملك يسمى ذو القرنين، آتاه الله ملكاً عظيماً ومنحه القوة والسلطان، وفي يوم من الأيام، وصل ذو القرنين بجيشه إلى المكان الذي يعيش فيه هؤلاء القوم، وكان يسكن في المكان نفسه قوم ضعاف، فلما رأوا ذا القرنين، استنجدوا به حتى يحميهم من يأجوج ومأجوج، واقترحوا عليه أن يصنع لهم سداً يمنع عنهم شرهم، فوافق ذو القرنين على بناء السد، وطلب منهم أن يعاونوه ويساعدوه، حتى يتمكن من إنجاز هذا العمل الضخم، وتعاون القوم في صنع السد، وكان سداً قوياً متيناً من سبيكة الحديد والنحاس، وعاش القوم بها في أمان وسلام.

(١) صور من حياة التابعين، ص ٢٠٣-٢٠٥.

٥- تعاون الأبناء مع الآباء

أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يبني الكعبة، ليحج إليها الناس ويزوروها من كل مكان وفي كل زمان، فأخبر إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل عليه السلام بذلك، فوافق على الفور، وتعاون مع أبيه في هذا العمل العظيم، فذهب إلى المكان المخصص لبناء البيت، وكان يجمع الحجارة، وكان أبوه يقوم بعملية البناء، حتى ارتفع البناء، وكان إبراهيم وولده يدعوان ربهما أن يتقبل منهما هذا العمل الصالح بقولهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] فتقبل الله منهما دعاءهما.

٦- التعاون من أجل مصلحة الوطن

- عقد الشهيد حسن البنا مؤتمراً وطنياً كبيراً بمدينة طنطا واصطحب معه أحد الأقباط المتخصصين ليتحدث عن قضية قناة السويس واسمه «نصيف ميخائيل» ليؤكد معنى التضامن بين المسلمين والمسيحيين.

- وكان الأستاذ «لويس فانوس» وهو من زعماء الأقباط المرموقين يواظب على حضور حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا بالمركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية يوم الثلاثاء من كل أسبوع، ويجلس بين إخوانه المسلمين بكل حب وإخاء، وكان صديقاً حميماً للأستاذ البنا، وفي إحدى المرات رشح الشيخ حسن البنا نفسه في البرلمان المصري وكان وكيله في إحدى اللجان قبطياً.

- وكانت اللجنة السياسية المركزية من تسعة أعضاء برئاسة وكيل الجماعة وعضوية مكرتير الجماعة وعضو من مكتب الإرشاد، وثلاثة أعضاء أقباط هم «وهيب بك دوس» والأستاذ «لويس فانوس» عضو مجلس النواب، والصحفي الكبير «كريم ثابت»، وأرسل حسن البنا إلى توفيق دوس باشا تهنئة بمناسبة انتخابه عضواً بمجلس الشيوخ رد عليها دوس بتهنئة بمناسبة صدور جريدة الإخوان المسلمين وأشاد بنزعة الإخوان المسلمين القومية.

- وحينها هاجم «سلامة موسى» الإخوان بأنهم يثيرون الفتنة الطائفية في إحدى مقابلات الصحف، رد عليه المسيحي «توفيق غالي» بكل قوة قائلاً: إن الإخوان المسلمين أشرف الجماعات مقصداً وأمثلهم خلقاً.

- ويوم قُتل حسن البنا أيام الملك فاروق منعت الحكومة السعودية برئاسة إبراهيم عبد الهادي جثمانه من أن يشيع في جنازة، لم يمش وراء نعشه إلا اثنان هم والده، ومكرم عبيد باشا السياسي المسيحي الذي كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويستشهد دائماً بآياته في خطبه البليغة^(١).

تعاون مرفوض:

قال أبو عبد الله: لا أعرف كيف أروي هذه القصة التي عشتها منذ فترة والتي غيرت مجرى حياتي كلها، والحقيقة أنني لم أقرر أن أكشف عنها إلا من خلال إحساسي بالمسئولية تجاه الله، ولتحذير بعض الشباب الذي يعصي ربه وبعض الفتيات اللاتي يسعين وراء وهم زائف اسمه الحب.

كنا ثلاثة من الأصدقاء يجمع بيننا الطيش والعجب، كلا بل أربعة، فقد كان الشيطان رابعنا.

فكنا نذهب لاصطياد الفتيات الساذجات بالكلام المعسول ونستدرجنهن إلى المزارع البعيدة، وهناك يفاجأن بأننا قد تحولنا إلى ذئاب لا ترحم توسلاتهن بعد أن ماتت قلوبنا ومات فينا الإحساس، هكذا كانت أيامنا وليالينا في المزارع، في المخيمات والسيارات على الشاطئ، إلى أن جاء اليوم الذي لا أنساه.

ذهبنا كالمعتاد للمزرعة كان كل شيء جاهزاً، الفريسة لكل واحد منا، الشراب الملعون.. شيء واحد نسيناه هو الطعام وبعد قليل ذهب أحدهما لشراء طعام العشاء بسيارته كانت الساعة السادسة تقريباً عندما انطلق ومرت الساعات دون أن يعود، وفي العاشرة شعرت بالقلق عليه فانطلقت بسيارتي أبحث عنه وفي الطريق؛ وعلى البعد رأيت سيارة ينبعث منها دخان كثيف، وعندما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقي والنار تلتهمها وهي مقلوبة على أحد جانبيها، أسرع كالمجنون أحاول إخراجه من السيارة المشتعلة وذهلت عندما وجدت نصف جسده وقد تفحم تماماً لكنه كان ما يزال على قيد الحياة فنقلته إلى الأرض.

(١) وعرفت الإخوان، ص ٢٤.

وبعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذي النار النار فقررت أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلى المستشفى لكنه قال لي بصوت باك: لا فائدة لن أصل.

فخفقتني الدموع وأنا أرى صديقي يموت أمامي وفوجئت به يصرخ: ماذا أقول له؟ ماذا أقول له؟ نظرت إليه بدهشة وسألته: من هو؟ قال بصوت كأنه قادم من بئر عميق: الله.

أحسست بالرعب يحتاج جسدي ومشاعري وفجأة أطلق صديقي صرخة مدوية ولفظ آخر أنفاسه ومضت الأيام، لكن صورة صديقي الراحل لا تزال تتردد في ذهني وهو يصرخ والنار تلتهمه.. ماذا أقول له؟ ماذا أقول له؟

ووجدت نفسي أتساءل: وأنا ماذا سأقول له؟ فاضت عيناوي واعترتني رعشة غريبة وفي نفس اللحظة سمعت المؤذن لصلاة الفجر ينادي: الله أكبر، الله أكبر، حي على الصلاة، أحسست أنه نداء خاص بي يدعوني إلى طريق النور والهداية، فاغتسلت وتوضأت وطهرت جسدي من الرذيلة التي غرقت فيها لسنوات وأديت الصلاة ومن يومها لم يفتني فرض.

وأحمد الله الذي لا يحمد سواه، لقد أصبحت إنساناً آخر وسبحان مغير الأحوال وبإذن الله أستعد للذهاب لأداء العمرة وإن شاء الله الحج، فمن يدري فالأعمار بيد الله.

ثبتنا الله على الحق ولن نقول لكل شاب إلا الحذر الحذر من صحبة من يعينوك على تعدي حدود الله، وفيها قرأت عبرة وعظة فهل من معتبر؟^(١)

سبب إسلامه :

أستاذ الصحافة المسلم «مارك شيلفر» أستاذ علم الصحافة بجامعة نيويورك من أسرة مسيحية كاثوليكية، سافر إلى المغرب يقول: «تعثرت قدمي في حفرة ذات يوم حينما خرجت لأول مرة إلى مكان شعبي بمدينة الرباط، وعلى الفور وجدت عددًا من المغاربة يسارعون إليّ لمساعدتي على النهوض، ويسألونني في لهفة عما إذا كنت قد أصبت بسوء!!».

(١) مائة قصة وقصة، الهندي، ص ٨٤، ٨٥.

ثم أردف هذا الموقف بما حدث أثناء فترة مرضه قائلاً: «ومرضت ذات مرة فوجدت عشرات من جيراني ومعارفي يأتون لزيارتي، ويحاول كل منهم أن يصنع لي شيئاً، فدهشت لهذا السلوك الإنساني الذي لم أجد له نظيراً في بلدي أمريكا، حيث الكل لا يهتم إلا بنفسه، وطابع الحياة المادية البحتة هناك يصبغهم جميعاً بالأنانية».

وبينما أنا أقلب ترجمة معاني القرآن الكريم إذا بي أطلع تفسير الآيتين الكريمتين: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ [الأنعام: ١٠٣-١٠٤].

عندئذ لم أتمالك نفسي، ووجدت الدموع تنهمر من عيني، ومن ثم أيقنت أن هذه إشارة صريحة من الله عز وجل ترشدني إلى الإسراع في اعتناق الدين الإسلامي، واللاحاق بركب الموحدين، وعلى الفور، حزمت حقائبي، وسافرت إلى أمريكا حيث أشهرت إسلامي أنا وزوجتي وولدي بالمسجد الكبير في نيويورك^(١).

صلة الرحم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الاسراء: ٢٦].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يسط له في رزقه وينسأ له في أثره (أجله: أي يظل ذكره حتى بعد وفاته) فليصل رحمه»^(١) والمقصود بالزيادة في الرزق أي زيادة البركة والزيادة في العمر بالتوفيق إلى الطاعة أو بقاء ذكره الجميل بعد وفاته.

وعن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

طريق الجنة

عن أبي أيوب أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو زمامها ثم قال: يا رسول الله -أو يا محمد- أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: فكف النبي ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لقد وفق» أو «لقد هدي، قال: كيف قلت؟ قال: فأعادها، فقال النبي: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة»^(٣).

من ثمارها

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعمر بالقوم الديار

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ح (٥٦٤٠).

(٢) البخاري، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ح (٥٦٧٢).

(٣) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة...، ح (١٣).

ويشمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم».

قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «بصلتهم أرحامهم»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»^(٢).

وصية

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر؛ هي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما»^(٣).

والرحم كون هاجر أم إسماعيل منهم، والذمة المراد منها المصاهرة، لأن مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ منهم.

تيسر الحساب وتدخل صاحبها الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته»، قالوا: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة»^(٤).

ليس الواصل بالمكافئ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي، فقال: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل (الرماد) ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك»^(٦).

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ٨٥ / ١٢.

(٢) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح (٢٥٥٥).

(٣) مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر، ح (٢٥٤٣).

(٤) السنن الكبرى، البيهقي، ٢٣٥ / ١٠.

(٥) البخاري، كتاب: الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ، ح (٥٦٤٥).

(٦) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح (٢٥٥٨).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله عز وجل: أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»^(١).

احذر قطيعة الرحم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك (المستجير بك) من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك» ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾^(٢).

وعن أبي محمد جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٣) يعني قاطع رحم؛ أي لا يدخلها أبداً إن أنكر وجود صلة الرحم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أفعال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»^(٤).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم»^(٥).

مثل شائع خاطئ

الأقارب عقارب، هذا مثل أحق مضلّ يحض على قطيعة الرحم التي أمر الله أن توصل، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

(١) الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: قطيعة الرحم، ح (١٩٠٧)، عن أبي سلمة رضي الله عنه، قال الترمذي: صحيح، ووافقه الألباني.

(٢) البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة محمد ﷺ، ح (٤٥٥٢).

(٣) البخاري، كتاب: الأدب، باب: إثم القاطع، ح (٥٦٣٨).

(٤) أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح (١٠٢٧٧)، تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن.

(٥) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في النهي عن البغي، ح (٤٩٠٢)، قال الألباني: صحيح.

العدل

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

القسط هو العدل، تقول: أقسط الرجل فهو مقسط، إذا عدل.

أما إذا قلت: قسط الرجل فهو قاسط أي ظالم وجائر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

قال الفراء: هم الجائرون الكفار، فالمقسط عكس القاسط^(١).

فالعدل ليس صفة كمالية أو ترفا حضاريا، وإنما هو فريضة ربانية ومطلب بشري.

لذلك جاءت الرسالات كلها تأمر الناس بالقسط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومن الحكم المشهورة: العدل ليس في نص القانون، وإنما هو في ضمير القاضي.

من أنواع العدل

العدل الاجتماعي: وهو العدل في توزيع الثروة، وإتاحة الفرص المتكافئة لأبناء الأمة الواحدة، وإعطاء العاملين ثمرة أعمالهم وجهودهم دون أن يسرقها القادرون أصحاب السلطة، فمن لم يطعم المسكين كان من أهل الجحيم ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ * ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمُسْكِينِ﴾ [المدر: ٤٣، ٤٤] ولا يكفي أن تطعم المسكين، بل يجب أن تدعو إلى إطعامه ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ * ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَمِيمَ وَلَا يَجُزُّ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ [الماعون: ١: ٣].

والمجتمع الجاهلي مذموم لضياح الفئات الضعيفة فيه وانشغال الأقوياء بأكل المال: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا نَكْرُمُونَ الْيَمِيمَ﴾ * ﴿وَلَّا نَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ * ﴿وَنَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ * ﴿وَنُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧: ٢٠]. على الدولة أن تتخذ الوسائل لمساعدة الفقراء ولو كانوا من غير المسلمين..

(١) تاج العروس، الزبيدي، ٢٨/٢٠.

عدل عمر مع أهل الذمة

مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك. ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه^(١)، ويقول عمر: لو مات جمل ضياعا على شط الفرات، لخشيت أن يسألني الله عنه^(٢).

والإسلام يأمر بالعدل مع النفس بأن يوازن بين حق نفسه، وحق ربه، وحق غيره، قال رسول الله لعبد الله بن عمرو حين جار على حق نفسه بمداومة صيام النهار وقيام الليل: «.. إن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا»^(٣).

يأمر الإسلام بالعدل في القول فلا يخرج الغضب عن قول الحق ولا يدخله الرضا في قول الباطل قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢].

العدل في الشهادة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨].

العدل في الحكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

يقول سيد قطب: وتدبير الله لهذا الكون ولحياة الناس متلبس دائما بالقسط وهو العدل، فلا يتحقق العدل المطلق في حياة الناس، ولا تستقيم أمورهم استقامة أمور الكون، التي يؤدي كل كائن معها دوره في تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر، لا يتحقق هذا إلا بتحكيم منهج الله الذي اختاره لحياة الناس، وبينه في كتابه، وإلا فلا قسط ولا عدل، ولا استقامة ولا تناسق، ولا تلاؤم بين دورة الكون ودورة الإنسان، وهو الظلم إذن والتصادم والتشتت والضياع.

وها نحن نرى على مدار التاريخ أن الفترات التي حكم فيها كتاب الله وحدها هي التي ذاق فيها الناس طعم القسط، واستقامت حياتهم استقامة دورة الفلك بقدر ما تطبق طبيعة

(١) سبق تخريجه.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣/ ٣٠٥.

(٣) البخاري، كتاب: الصوم، باب: حق الجسم في الصوم، ح (١٨٧٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما..

البشر المتميزة بالجنوح إلى الطاعة والجنوح إلى المعصية، والتأرجح بين هذا وذاك، والقرب من الطاعة كلما قام منهج الله، وحكم في حياة الناس كتاب الله، وأنه حيثما حكم في حياة الناس منهج آخر من صنع البشر، لازمه جهل البشر وقصور البشر، كما لازمه الظلم والتناقض في صورة من الصور.

ظلم الفرد للجماعة أو ظلم الجماعة للفرد، أو ظلم طبقة لطبقة أو ظلم أمة لأمة، أو ظلم جيل لجيل، وعدل الله وحده هو المبرأ من الميل لأي من هؤلاء، وهو إله جميع العباد، وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء^(١).

عدل الرسول

في غزوة بدر قال رسول الله ﷺ: «استو يا سواد» - بعد أن ضربه ضربة خفيفة برمح كان معه - فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني، فكشف رسول الله عن بطنه، فقال: «استقد»، قال: فاعتنقه فقبل بطنه فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدي بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير^(٢).

ويضرب الرسول ﷺ من نفسه نموذجاً في القصاص.

عدل الصحابة

معاذ بن جبل ؓ لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، حتى مات النبي ﷺ وأبو بكر، ثم قدم على عمر، فردّه على ما كان عليه، فبعث إليه معاذ بثلاث صدقة الناس، فأنكر ذلك عمر، وقال له: لم أبعثك جايياً، أخذاً جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس، فتردها على فقرائهم، فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه مني. فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة (نصفها) فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها، فراجع عمر، فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً^(٣).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٣٧٩.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/ ١٧٤.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي، ٦/ ٥٤٧.

لقد انتصر الإسلام على الفقر في ظل العدل الإسلامي في توزيع الزكاة على الفقراء، فإذا أردنا القضاء على الفقر فعلينا بتطبيق شرع الله في الأرض.

العبد الصالح

في يوم من الأيام كان فيروز الديلمي داخلا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فزاحمه فتى من قريش يريد أن يدخل قبله، فرفع فيروز يده، وضربه على أنفه، فدخل الفتى على عمر، والدم يسيل من أنفه، وحكى له ما حدث.

فقال عمر لفيروز: ما هذا يا فيروز؟ فأخبره فيروز بما حدث، فأمر عمر بالقصاص.

فجلس فيروز على ركبته فقام الغلام ليقصص منه، فطلب إليه عمر أن يتمهل، وقال له: سمعت رسول الله ذا غداة، يقول: «قُتل الليلة الأسود العنسي الكذاب؛ قتله العبد الصالح فيروز الديلمي». فلما سمع الفتى أن الرسول قال عن فيروز أنه عبد صالح، عفا عنه، فأعطاه فيروز سيفه وفرسه و ثلاثين ألفاً، فقال عمر للقرشي: يا أخا قريش، عفوت مأجورا وأخذت مالا^(١).

إنه العدل العمري الذي تعلمه من الرسول ﷺ.

ضربة وحجة

ذات يوم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سوق المدينة يتفقد أحوال الرعية، وفي يده درته، فرأى سلمة بن الأكوع يسير في وسط الطريق، فضربه عمر ضربة خفيفة بالدرّة فأصاب طرف ثوبه وأمره أن يسير في جانب الطريق، فلما كان العام التالي قابله عمر في نفس الموضع، فقال له: يا سلمة أتريد الحج؟

فقال سلمة: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ عمر بيده، وانطلق به إلى منزله، فأعطاه ستمائة درهم، وقال له: استعن بها على حجك، واعلم أنها بالخفقة (الضربة الخفيفة) التي خفقتك بها العام الماضي.

قال سلمة: يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها.

قال عمر: وأنا ما نسيته^(١).

عمر يتذكر موقفه يوم القيامة وحساب الله فيسارع إلى العدل وإرضاء الآخرين، انظر ماذا ستفعل إذا كنت مسئولاً عن الرعية؟

موقف رافع

حمى عمر أرضاً قرب المدينة لترعى فيها دواب المسلمين - ومعنى حمايتها أي جعلها ملكاً عاماً بين الجميع - ولكنه لم يكتف بذلك، فجعل هذا الحمى لمصلحة الطبقة الفقيرة، وذوي الدخل المحدود قبل كل شيء، ليكون هذا المرعى المجاني مصدراً لزيادة ثروتهم الحياتية، وزيادة دخلهم منها، ليستغنوا بذلك عن طلب المعونة من الدولة، وهذا الهدف واضح في وصية عمر للذي ولاءه على هذا الحمى للإشراف عليه، فقد قال له: اضمم جناحك عن الناس، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، وأدخل رب الصريمة والغنيمة (الصريمة: الإبل القليلة، الغنيمة: الغنم القليلة) ودعني من نعم ابن عفان، ونعم ابن عوف (أي إبل الأثرياء وغنمهم) فإنها إن أهلك ما شيتها رجعا إلى نخل وزرع (أي لهم ثروات ومصادر أخرى للدخل) وإن هذا المسكين (أي رب الصريمة والغنيمة) إن هلك ما شيته جاءني ببنيه، يصرخ: يا أمير المؤمنين، أفتاركهم أنا لا أبأ لك؟ فالكلأ أيسر علي من الذهب والورق (النقود الفضية)^(٢).

فتجب عناية الدولة الإسلامية بذوي المال القليل والدخل الضئيل، وإتاحة الفرصة ليكسبوا ولو كان ذلك بالتضييق على ذوي الثروات الكبيرة وحرمانهم مما يتيح للفئات الضعيفة من وسائل الكسب، وكل إنسان في كنف الدولة الإسلامية من حقه إن هلك مصدر دخله وضاع مورد رزقه أن يصرخ في وجه الحاكم المسئول مطالباً بحقه وحق بنيه في خزانة الدولة والسياسة الراشدة هي التي تعمل على توفير مصادر الدخل للفقراء لتستغني بجهدهم عن طلب المعونة، وتكليفها عبء الإنفاق عليهم من خزائنها.

هل تحرص على العدل بين الموظفين في العمل، وبين أولادك في المنزل؟

(١) حياة الصحابة، الكاندهلوي، ٢/ ٢٣٩.

(٢) الموطأ، رواية يحيى الليثي، ٢/ ١٠٠٣.

عدل يفوق الخيـان

في أثناء الفتوح الإسلامية حاصر جيش المسلمين مدينة سمرقند وكانت مدينة حصينة ومنيعه، يصعب على أي جيش أن يدخلها مهما كان قوياً بسبب حصونها وقلاعها، ولما طال الحصار فكر قائد جيش المسلمين قتيبة بن مسلم في خطة ليدخل المدينة، وبدأت الخطة بأن دخل عدد من جنود المسلمين الشجعان في هيئة تجار يبيعون سلعاً وبضائع، وبعد أن صاروا داخل المدينة هاجموا الحصون والقلاع واستولوا عليها، ثم فتحوا الأبواب، فدخل بقية جيش المسلمين، واستسلم عندئذ أهل سمرقند وسقطت المدينة في أيدي المسلمين.

واجتمع أهل سمرقند عند كبير الكهنة، وسألوه النصيحة، فقال لهم: «سأطالب بمحاكمة قائد جيش المسلمين».

قال أحدهم: «ومن سيوافقنا على محاكمة قائد جيش المسلمين وهم المتصرون؟!».

فاجاب كبير الكهنة: «خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز فهو رجل عادل».

وأرسل كبير الكهنة أحد أعوانه إلى الشام، وقابل الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأحسن استقباله، واستمع إليه جيداً، وقال له: «اطمئن واهدأ بالآ، فالإسلام لا يعرف غير العدل» وأعطاه خطاباً إلى الوالي حاكم المسلمين في سمرقند، وذهب كبير الكهنة بالخطاب إلى حاكم سمرقند المسلم فقرأه فوجد الخليفة يأمره بأن يختار أحد القضاة المسلمين ليحكم في الشكوى التي قدمها كهنة سمرقند واختار الوالي قاضياً يثق فيه، وحدد موعداً للمحاكمة.

استمع القاضي إلى كبير الكهنة الذي تكلم عن أهل سمرقند وقال: «نحن نعرف أن دينكم قد حدد ثلاثة أمور لنشر دعوته أولها: الدعوة إلى الدخول في الإسلام، فمن لم يقبل فعليه دفع الجزية مقابل توفير الأمن والدفاع عنه وهذا هو الثاني، فإن رفض الدخول في الإسلام، ورفض دفع الجزية يأتي دور الحرب والقتال، ولكن جيشكم لم يفعل هذا ودخل مدينتنا بالخديعة».

فسأل القاضي قائد المسلمين: «هل هذا ما حدث؟».

أجاب القائد المسلم: «أصلح الله القاضي! إن الحرب خدعة وهذا البلد أنقذه الله على أيدي جنودنا وهداه إلى طريق الحق والنور».

فقال القاضي: «وهل خيرتم أهله بين واحدة من ثلاث: إما الإسلام، وإما الجزية، وإلا فالحرب؟».

قال القائد: «لا أيها القاضي».

عندئذ أصدر القاضي المسلم أعجب حكم في التاريخ قال: «قد حكمت على جيش المسلمين بأن يخرج من سمرقند ويسلم البلاد إلى أهلها، ثم يعرض عليهم الدخول في الإسلام، فإن لم يقبلوا فالجزية، وإلا فيعلق عليهم الحرب والقتال».

وتم تنفيذ الحكم، وانسحب جيش المسلمين من سمرقند، وعادت المدينة إلى أهلها، ودهش الجميع أمام هذا الحكم الذي يدل على عدالة الإسلام، وكانت النتيجة أن دخل أهل سمرقند في الإسلام، وعاد جنود المسلمين إليها، ليسوا جنودًا محاربين بل إخوة متحابين يعانق كل واحد منهم أخاه من أهل سمرقند، ويهتته بالدخول في الإسلام تحت راية الحب والسلام!!

عدل المسلمين

اختلف علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم مع رجل يهودي فذهبا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليحكم بينهما، فقال عمر بن الخطاب عليه السلام للإمام علي: اجلس يا أبا الحسن إلى جوار خصمك. فجلس علي وقد بدت على وجهه علامات التأثر والألم، وبعد أن حكم أمير المؤمنين عمر بينهما بالحق وانصرف اليهودي راضيًا التفت إلى علي وقال له: هل أسأت إليك بطلبي الجلوس إلى جوار خصمك؟

قال علي: لا والله، وإنما أسأت لأنك قلت لي: يا أبا الحسن وفي هذا إكبار لي أمام خصمي، فخشيت أن يشعر هذا اليهودي بأنه لا يوجد عدل بين المسلمين.

المساواة من العدل

لما تولى أبو بكر عليه السلام الخلافة خطب فيهم قائلاً: «أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأطيعوني، وإن أسأت فقوموني، القوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتى أخذ له الحق، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت

الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»^(١) إنه يوضح منهج العدل من أول يوم في خلافته.
قال عمرو بن الخطاب يوماً: ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة على معصية؟
يعني أنكفي شهادته في إقامة الحد عليها؟ فقال له علي بن أبي طالب: يأتي بأربعة شهداء أو
يجلد حد القذف شأنه في ذلك شأن المسلمين^(٢).

إنها المساواة بين الجميع فلا فرق بين الحاكم والمحكوم،
والرئيس والمرءوس إلا بالتقوى.

عبادة بن الصامت

لقد كان عبادة بن الصامت من الصحابة الأجلاء، أسود اللون، وكان رئيس الوفد الذي
أرسله عمرو بن العاص لمفاوضة المقوقس عظيم القبط، فضاق به المقوقس لسواده وبسط
جسمه، وطلب من الوفد أن يتكلم غيره فردوا عليه: إن هذا أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا
وخيرنا، وقد أمره الأمير علينا فلا نخالف أمره. فعجب المقوقس، كيف يكون الأسود
أفضلهم؟ فردوا عليه بأن الألوان ليست ما يقاس به الرجل^(٣).

إن الإسلام لا يعرف في تقييم البشر
إلا الخلق والمواهب الفاضلة.

عمر والعدل

كان جبلة بن الأيهم آخر أمراء بني غسان، من قبل هرقل، وإن الغساسنة يعيشون تحت
إمرة دولة الروم، وكان الروم يخرسونهم دائماً على غزو الجزيرة العربية، خاصة بعد نزول
الإسلام، ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية، وتوالت انتصارات المسلمين على الروم، أخذت
القبائل العربية في الشام تعلن إسلامها فبدأ للأمير الغساني أن يدخل الإسلام هو أيضاً،
فأسلم وأسلم ذويه معه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة، ففرح عمر
بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة وأقام بها زمناً والفاروق يرحاه ويرحب به، ثم بدا له أن

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ٦٠١/٥.

(٢)

(٣) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، ١١١/١.

يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطىء إزاره رجل من بني فزارة فحله، فغضب الأمير الغساني لذلك، وهو حديث عهد بالإسلام، فلطمه لطمه قاسية هشت أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ما حل به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعو إليه، ثم سألته فأقر بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تظلم أخاك هذا فتهشم أنفه؟ فأجاب بأنه قد ترفق كثيرا بهذا البدوي (وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذت الذي فيه عيناه) فقال له عمر: لقد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وإما أن أقتص منك، وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري، وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟ فقال عمر: إن الإسلام قد سوى بينكما، فقال الأمير الغساني، لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

فقال الفاروق: دع عنك هذا فإنك إن لم ترض الرجل اقتصصت منك. فقال جبلة: إذن أتنصر.

فقال عمر: إذا تنصرت ضربت عنقك؛ لأنك أسلمت فإن ارتددت قتلتك.

وهنا أدرك جبلة أن الجدال لا فائدة منه، وأن المراوغة مع الفاروق لن تجدي، فطلب من الفاروق أن يمهله ليفكر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفق في قراره، فقد آثر أن يغادر مكة هو وقومه في جنح الظلام، وفر إلى القسطنطينية فوصل إليها متنصرا، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشد الندم^(١).

وفي هذه القصة نرى حرص الإسلام على مبدأ المساواة؛ فالإسلام قد سوى بين الملك والسوقة، ولا بد لهذه المساواة أن تكون واقعا حيا ليس مجرد كلمات توضع على الورق.

رد المظالم

تولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الخلافة فأمر مناديا ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها إلى أمير المؤمنين.

وذاث يوم كان عنده العباس بن الوليد بن عبد الملك، فدخل عليه رجل نصراني من أهل

(١) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، ص ٢٧.

حمص، أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك بكتاب الله عز وجل.
قال عمر: وما ذاك؟ فأخبره الرجل أن العباس بن الوليد بن عبد الملك أخذ أرضه
واغتصبها.

فقال عمر للعباس: ما تقول؟ فأخبره العباس أن أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك كان
قد أعطاهما له، وكتب له بها عقدا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال الذمي: يا أمير المؤمنين،
أسألك كتاب الله عز وجل، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد
الملك، فاردد يا عباس أرضه، فردها العباس عليه^(١)

اشترى مظلمته

لما رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبار رعيته،
فمر بعجوز في خباء لها فقال: ما فعل عمر؟

قالت: أقبل من الشام سالما.

فقال: ما تقولين فيه؟

قالت: يا هذا، لا جزاه الله عني خيرا.

قال: ولم؟

قالت: لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين دينارا ولا درهما.

فقال: وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟

فقالت: سبحان الله، والله ما ظننت أحدا يولى على الناس ولا يدري ما بين مشرقها

ومغربها.

فبكى عمر وقال: واعمر! كل الناس أفاقه منك حتى العجائز يا عمر، ثم قال لها: يا أمة

الله بكم تبيعين ظلامتك من عمر فإني أرحمه من النار؟

فقالت: لا تهزأ بنا، يرحمك الله.

فقال عمر: لست أهزأ بك، ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا.

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: واسوءتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه.

فقال لها عمر: لا بأس عليك، يرحمك الله، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا بخمسة وعشرين دينارًا، فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه، شهد على ذلك علي وابن مسعود». ثم دفعها إلى ولده وقال له: إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي^(١).

رجل يضرب الأمير

عن عمر بن شيبة قال: قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لرجل من تجيب: يا منافق. فقال التجيبي: يا أمير المؤمنين، إن عَمْرًا نفقني، ولا والله ما نافقت منذ أسلمت، فكتب عمر -رضوان الله عليه- إلى عمرو، وكان إذا غضب كتب: إلى العاصي بن العاصي: أما بعد، فإن فلانا التجيبي ذكر أنك نفقته، وقد أمرته إن أقام عنك شاهدين، أن يضربك أربعين -أو قال سبعين- فقام فقال: أنشد الله رجلا سمع عَمْرًا نفقني إلا قام فشهد، فقام عامة من في المسجد، فقال له حتمة: أتريد أن تضرب الأمير؟ وعرض عليه الأرض «دية الجرح» فقال: لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت، فقال له حتمة: أتريد أن تضربه؟ قال: ما أرى لعمر هاهنا طاعة، فلما ولى قال عمرو: ردوه، فأمكنه من السوط، وجلس بين يديه، فقال: أتقدر أن تمتنع عني بسلطانك؟ قال: لا، فامض لما أمرت به، قال: فإني قد عفوت عنك^(٢).

قميص عمر

جاءت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقمشة من اليمن، فأعطى كل رجل من المسلمين قطعة تكفي ثوبا واحدا، ثم أخذ نصيبه ونصيب ولده عبد الله وخاطه ولبسه. فلما صعد عمر المنبر ليخطب في الناس، وقال: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا، قام إليه

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة، المحب الطبري، ص ١٨٤.

(٢) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المبرد، ٤٦٧/٢.

رجل من المسلمين، وقال: لا سمعاً ولا طاعة، فقال عمر: ولم ذلك؟ قال: لأنك استأثرت علينا، قال عمر: بأي شيء؟ قال الرجل: لقد أعطيت كلاً منا قطعة من القماش، تكفي ثوباً واحداً، وأنت رجل طويل، وهذه القطعة لا تكفيك ثوباً، ونراك قد خيطه قميصاً تاماً، فلا بد أنك أخذت أكثر مما أعطيتنا، فالتفت أمير المؤمنين إلى ابنه عبد الله، وقال: يا عبد الله أجبه عن كلامه، فقال عبد الله: لقد أعطيته من كسائي ما أتم به قميصه، قال الرجل: أما الآن فالسمع والطاعة^(١).

الأمير لا يستأثر على الرعية بأموال لا تحل له من المال العام.

مجلس القضاء

كان بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما خصومة، فذهبا إلى زيد بن ثابت ليحكم بينهما، فرحب بهما زيد، وأدخلهما ووسع لعمري ليجلسا في مكان متميز، وقال: اجلسا ههنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: هذا أول جور (ظلم) جرت في حكمك، ولكن اجلس مع خصمي.

وجلس الخصمان معاً أمام زيد، فادعى أبي شيثاً وأنكر عمر، وفي مثل هذه الحال، على المدعي أن يأتي ببينة، وعلى من أنكر أن يقسم، عندئذ قال زيد لأبي: أعف أمير المؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألهما لأحد غيره، ولكن عمر رفض وحلف اليمين، ثم قام غاضباً لأن القاضي يفرق بينه وبين خصمه، وأقسم ألا يتولى زيد القضاء، حتى يكون عمر ورجل من عموم المسلمين عنده سواء، لا فرق بينهما^(٢).

إذا أخطأ الأمير مع بعض الرعية، فلا بد أن يقدم إلى التحقيق والقضاء، بلا تفريق بينهما، حتى ينتشر العدل، ويشعر الجميع بالأمان.

الرسالة

دخل أعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه غاضباً، وألقى في حجره لفافة من الشعر، فقال عمر: ما هذا؟ قال الأعرابي: جئت أشكو إليك فقد ظلمني الوالي أبو موسى الأشعري، قال عمر: وماذا

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقي، ص ٥.

(٢) السنن الكبرى، البيهقي، ١٠/١٣٦.

فعل؟ قال الأعرابي: لم يعطني حقي كاملاً، فرددته إليه، فغضب، وجلدني عشرين سوطاً، وقص شعري، وهو في هذه اللقافة التي ألقيتها إليك.

فتألم عمر وأرسل إلى أبي موسى الأشعري يأمره أن يجلس أمام جماعة من المسلمين ليجلده الأعرابي عشرين سوطاً، ثم يخلق له شعر رأسه.

فلما قرأ أبو موسى رسالة عمر قام إلى الأعرابي وقال له: تقدم ونفذ ما أمر به عمر، ثم أعطاه سوطاً ليجلده، وقدم إليه رأسه ليحلقه، فتأثر الأعرابي، وعفا عنه، وقال: لن يظلم أحد وعمر أمير المؤمنين.

لا يظلم أحد أبداً في ظل تطبيق شريعة الله، فلنحرص على تطبيقها في أنفسنا تطبيقاً على أرضنا.

دعوة المظلوم مستجابة

ادعت أروى بن أويس على سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته (شكته) إلى مروان بن الحكم، وقالت: إنه أخذ حقي، فقال دعوها وإياها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوقه في سبع أرضين يوم القيامة» اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها.

قال فرأيتها عمياء تلتمس الجدر تقول أصابتني دعوة سعيد بن زيد فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها فماتت استجابة لدعوة سعيد^(١).

فتذكر -أخي المسلم- أن دعوة المظلوم مستجابة، فلا تظلمن أحداً مهما كنت مستولاً.

القاضي شريح وابنه

يحكى أن ابناً لشريح القاضي قال لأبيه: إن بيني وبين قوم خصومة فانظر في الأمر، فإن كان الحق لي خاصمتهم، وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم، ثم قص قصته عليه فقال شريح: انطلق إليهم فخاصمهم فخاصمهم ابنه أمام أبيه القاضي، ففضى شريح على ابنه! فقال ابنه له لما رجعت إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك بطلب النصيح لم أملك.. فضحتني!

(١) مسلم، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، ح(١٦١٠).

فقال شريح: يا بني، والله لأنت أحب إليّ من ملء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعز علي منك، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم على مال فتذهب ببعض حقهم! ^(١)

بين شريح وعلي بن أبي طالب

لما توجه عليّ عليه السلام إلى صفين، افتقد درعاً له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي.

فقال: نصير إلى القاضي. فتقدم عليّ، فجلس إلى جنب شريح، وقال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس، ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصغروهم من حيث أصغروهم الله».

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين.

فقال: نعم. هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب.

فقال شريح: أيش تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي.

فقال شريح: ألك بيعة، يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي.

فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب.

فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن و حسين سيدا أهل الجنة» فحكم القاضي بالدرع إلى اليهودي.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني على قاضيه، وقاضيه قضى عليه! أشهد أن هذا هو الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك ^(٢).

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١٣٤/٦.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٤٠/٤.

الراعي والرعية رحمة وعدل

كان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطيه أحدٌ من الناس -إذا خرج- كتاباً إلا حمّله. فخرج بريد من مصر، فدفعت إليه فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح كتاباً تذكر فيه أن لها حائطاً قصيراً، وأنه يقتحم عليها منه، فيسرق دجاجها، فكتب إليها عمر:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح. بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك، وأنه يُدخل عليك فيه، فيُسرَق دجاجك، فقد كتبت لك كتاباً إلى أيوب بن شُرْحِيل -وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها- أمره أن يبني لك ذلك حتى يُحصنه لك مما تخافين إن شاء الله، والسلام.

وكتب إلى أيوب بن شُرْحِيل: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شُرْحِيل، أما بعد: فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت إليّ ذكر قصر حائطها، وأنه يسرق دجاجها، وتسأل تحصينها لها. فإذا جاءك كتابي هذا؛ فاركب أنت بنفسك إليه حتى تُحصنه لها.

لما جاء الكتاب إلى أيوب؛ ركب بيده حتى أتى الجزيرة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها، وإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها، وحصنها لها^(١).

عدل وثبات

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة: انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر، فادفعها إلى القائد.

فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر، فلست أخرجها من يده إلا ببينة.

فكتب إليه المنصور: والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد.

فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجنها من يد التاجر إلا بحق.

فلما جاءه الكتاب، قال: ملأته، والله، عدلاً، وصار قضايتي تردني إلى الحق^(٢).

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، عبد الله بن الحكم، ص ٦٢.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٢ / ٣٢٥.

الولاء والبراء

كل مرة ذكر فيها حزب الله في القرآن إنما ذكرت بجانب الولاء مقيدة فيه، مما يدل على أن الولاء هو الميزان الذي يوزن إيمان الإنسان به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فهاتان الآيتان بينتا أنه لا يكون الإنسان من حزب الله إلا إذا حرر ولاءه ومودته، فلم يعطهما لعدو الله مهما كان نوعه، بل يعطيها الله ورسوله والمؤمنين، وهذه هي الصفة الأولى للمؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

والولاء في اللغة: الموالة؛ أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحاييه، وإلى فلان فلانا إذا أحبه.

واصطلاحاً: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً.

البراء لغة: برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١] أي إعذار وإنذار.

واصطلاحاً: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

حكم الإسلام

إن الله يأبى علينا أن نعطي ولاءنا إلا بجامع الإيمان والإسلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ

حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿٤﴾ [المتحنة: ٤].

كل أنواع الموالاة على أي أصرة من الأواصر غير الإسلام باطلة ومخرجة لصاحبها عن الإسلام.

إن الله حرم على المسلم أن يعطي ولاءه على أي أساس غير أساس العقيدة السليمة الصحيحة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢] أي أن هذا غير ممكن؛ لأن عباد الله لا يوالون أحدا من دون الله فكيف يوالون أعداء الله، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ بَرًّا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦] والوليعة في اللغة البطانة والخاصة.

إن الله عز وجل حرم على المؤمن أن يعطي ولاءه للكافرين ولا المنافقين، ومتى أعطى المؤمن ولاءه للكافرين فقد صار منهم، وهذه نصوص قطعية لا تحتمل جدلا، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِمَّنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [وإذا ناديتُم إلى الصلاة اتخذوها هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ] [المائدة: ٥٧، ٥٨]. ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

يقول سيد قطب: إن التصور الإسلامي يقطع الوشائج والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعمل، ولا يعترف بقربى ولا رحم إذا انبثت وشيعة العقيدة، والعمل ويسقط جميع الروابط والاعتبارات ما لم تتصل بعروة العقيدة والعمل، وهو يفصل بين جيل من الأمة الواحدة وجيل إذا خالف أحد الجيلين الآخر في عقيدته، بل يفصل بين الوالد

والولد، والزوج والزوجة، إذا انقطع بينهما حبل العقيدة، فعرب الشرك شيء وعرب الإسلام شيء آخر، ولا صلة بينهما ولا قرى ولا وشيجة، والذين آمنوا من أهل الكتاب شيء، والذين انحرفوا عن دين إبراهيم وموسى وعيسى شيء آخر، ولا صلة بينهما ولا قرى ولا وشيجة، إن الأسرة ليست آباء وأبناء وأحفاداً، إنما هي هؤلاء حين تجمعهم عقيدة واحدة، وإن الأمة ليست مجموعة أجيال متتابعة من جنس معين، إنما هي مجموعات من المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم وألوانهم، وهذا هو التصور الإيماني، الذي ينبثق من خلال هذا البيان الرباني، وكتاب الله الكريم^(١).

مظاهر الولاء للكفار

١- من أول مظاهر الولاء النصر - طاعة الله في الكافرين - وربط المصير بالمصير وتأخذها من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١].

٢- من مظاهر الولاء إعطاء الكافرين أسرار المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ﴾ [المتحنة: ١] قال ابن كثير: كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة؛ وذلك أن حاطباً كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم. فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد أمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهز لغزوهم وقال: «اللهم عمّ عليهم خبرنا»، فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله استجابة لدعائه، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها^(٢).

فإخبار الكافرين بأسرار المؤمنين لدفع خطط المؤمنين، أو لتوقي الكافرين من المؤمنين

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ١١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٨٢.

ولاء يخرج من الإيمان، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾

[النساء: ٤٦].

٣- ومن مظاهر الولاء المحبة والمودة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال ابن مسعود: لو عبد الله بين الحجر والمقام سبعين عاما لم يحشره الله إلا مع من أحب.
فكونك تجد إنسانا عواطفه مع الكافرين والمنافقين يميل إليهم ويحبهم، ويتمنى انتصارهم،
فذلك ولاء من أعظم الولاء، فمن مال بقلبه إلى قوم يعملون بالمعاصي، ورضي أعمالهم كان
منهم وعليه مثل وزرهم، وإن كان بعيدا عنهم، جاء في الحديث: «إذا عملت الخطيئة في
الأرض كان من شهدها فكرها (أنكرها) كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان
كمن شهدها»^(١).

٤- من مظاهر الولاء مجالسة الكافرين والمنافقين اختيارا وسماع كلامهم القبيح مع
الاستمرار في الجلسة دون الرد أو الغضب أو الخروج قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي
حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]
هكذا (إنكم إذا مثلتم) فمن كثر سواد قوم فهو منهم.

٥- من مظاهر الولاء الطاعة، فمن أطعته فقد توليته، ومن كلام إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ
إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥].

وولاية الشيطان طاعته والاستجابة له: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقد بين الله عز وجل أصناف الكافرين والمنافقين حتى لا نكون
منهم، وجعل طاعتهم ردة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ
الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦].

(١) أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، ح (٤٣٤٥)، قال الألباني: حسن.

وقد فصل القرآن في أصناف من لا تجوز طاعته تفصيلا كثيرا حتى لا نهلك.

فقال تعالى: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. ﴿وَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعُوا أَذَاهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]. ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْمُكَذِّبِينَ وَادُّوا لَوْ تَذَهَبُ قَيْدُهُنَّ﴾ وَلَا تُطِيعُوا كُلَّ حَلَائِفٍ مَّهِينٍ ﴿هَمَّا زِمَّاءَ بَنِي مِمْ﴾ مَنَّا عِلٌّ لِلْحَرِ مَعْتِدِ أَيْمٍ ﴿عُتْلُ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ٨: ١٥]. ﴿وَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] أي وكان أمره تقدما على الحق ونبذنا له وراء ظهره.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ [آل عمران: ١٤٩، ١٥٠].

٦- من مظاهر الولاء التشبه، قال الرسول ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

فمن تشبه برسول الله ﷺ وصحبه فقد والاهم وهو منهم، ومن تشبه بالكافرين فهو منهم، وفرض الله علينا أن نعطي ولاءنا للمؤمنين: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

إنه ما لم نعط المؤمنين ولاءنا نأثم، وإعطاؤنا الولاء لغيرهم ضلال، وليس عندنا في الإسلام حياد مقبول عند الله، فمن لم يكن مع المسلمين فليس منهم، ولكن لا يعتبرونه ضدهم حتى يقاتل أو يظهر العداء، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠] ولكن إذا لم نعتبرهم ضدنا فذلك لا نعتبرهم منا، وليس هذا بنافعهم شيئا عند الله يوم القيامة ما لم يسلموا فيكونوا منا.

٧- الرضا بكفر الكافرين أو الشك في كفرهم، ويتضح هذا الأمر في كونه ولاء للكفار

(١) أبو داود، كتاب اللباس، باب: في لبس الشهرة، ح(٣٥١٢)، قال الألباني: حسن صحيح.

أنه يسعدهم ويسرهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيٍ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

٨- التحاكم إليهم دون كتاب الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] وإن من الإيوان ببعض ما هم عليه: فصل الدين عن الدولة والقول بأنه لا توجد علاقة للإسلام بالسياسة.

٩- الركون إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

١٠- مداهنتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] والمداهنة والمجاملة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعية للانزهاج الداخلي في نفوسهم، حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة والقدوة، وصدق الرسول حيث قال: «لتبعن سنن من كان قبلكم شرباً بتر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»^(١).

١١- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

لا يألونكم خبالاً: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد^(٢).

من قصص الولاء والبراء

عثمان بن مظعون

قال ابن إسحاق: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أحباب رسول الله من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال: والله إن غدوى ورواحي آمنة بجوار رجل من

(١) البخاري، كتاب: الأنبياء: باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ح (٣٢٦٩).

(٢) الولاء والبراء، القحطاني، ص ١٨٦ - ١٨٩، بتصرف.

أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله لا يصيبيني، لنقص كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له: يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فرد عليّ جوارِي علانية كما أجرتك علانية.

قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جوارِي، قال: صدق، قد وجدته وفيما كريم الجوار، ولكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

قال عثمان: صدقت.

قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل.

قال عثمان: كذبت؛ نعيم الجنة لا يزول.

قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه من سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى كثر أمرهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منعة.

قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا^(١).

براءة إبراهيم من الكافرين

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ

مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اغْتَرَزْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * [مريم: ٤١: ٤٩].

يقول سيد قطب: إن ساحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنها يختلطان على بعض المسلمين، الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته، بوصفه حركة منهجية واقعية، تتجه إلى إنشاء واقع في الأرض، وفق التصور الإسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصورات التي تعرفها البشرية، وتصطدم من ثم بالتصورات والأوضاع المخالفة كما تصطدم بشهوات الناس وانحرافهم وفسوقهم عن منهج الله، وتدخل في معركة لا حيلة فيها، ولا بد منها، لإنشاء ذلك الواقع الجديد الذي تريده، وتحرك إليه حركة إيجابية فاعلة منشطة.

وهؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها، ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى الساحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم ينقمون من المسلم إسلامه، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم، وأنهم مصررون على الحرب للإسلام وللجماعة المسلمة، وأنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تحفي صدورهم أكبر إلى آخر هذه التقارير الحاسمة.

• إن المسلم مطالب بالساحة مع أهل الكتاب ولكنه منهى عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم، وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل

الكتاب، ومهما أبدى لهم من السباحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه، ولن يفهمهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له، وسداجة أية سداجة وغفلة أية غفلة، أن نظن أن لنا وإياهم طريقا واحدا نسلكه للتمكين للدين، أما الكفار والملحدون، فهم مع الكفار والملحدين، إذا كانت المعركة مع المسلمين^(١).

سيدنا نوح

دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يؤمن معه إلا القليل، ولقد أبى ابنه أن يستجيب لدعوته، وكان من الغارقين.

لقد استعلى نبي الله على العاطفة ورضي بحكم الله فلا لجاجة ولا التواء، ولا معذرة ولا تأويل، بل تسليم مطلق واتباع لما يحب الله ويرضى، وإعراض عما يكره ويبغض، وولاء لمن يحب الله، وبراء وعداء لمن حاد الله ولو كان أقرب قريب، ولم يكن شأن نبي الله نوح هذا مقصورا على هذا الابن الكافر، بل أيضا مع زوجته، ويا له من امتحان عظيم مع الزوجة والابن قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

على أن مما يجب التنويه عنه هنا أن هذه الخيانة في الدين وليست في الفاحشة، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء عليهم السلام.

الفتية اصحاب الكهف

فتية تركوا الأهل والولد والوطن والعشيرة حين علموا أنه لا طاقة لهم بمواجهة ومجابهة قومهم فنجوا بأنفسهم إلى ذلك الكهف الذي تجلت فيه معجزة يسوقها الله لنا عبرة وعظة في حفظه لعباده الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِنَّمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذْ اغْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٣: ١٦].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٩٠٩/٢، ٩١٠.

وطئ أبو بكر ﷺ في مكة يوما بعد ما أسلم، وضرب ضربا شديدا، ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه، ثم نزل على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ فعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري إن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنتك ذهبت، فقالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا، فدنّت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن الله عليّ ألا أذوق طعاما ولا شرابا أو آتي رسول الله، فأمهلها حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلوه على رسول الله ^(١).

يا الله! رجل مضروب مشخن بالجراح لا يتناول حتى شربة الماء - وهو أشد ما يكون حاجة إليها - حتى يرى رسول الله.

سعد بن أبي وقاص

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] نزلت في سعد بن أبي وقاص قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه، أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر، يقال: يا قاتل أمك.. ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل، فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوما

آخر ليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماء لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني، فكلي وإن شئت فلا تأكلي. فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية وأمره بالبر بوالديه، والإحسان إليهما، وعدم طاعتهما في الشرك، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق^(١).

عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول

لما بلغه ما كان من أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمروني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالديه مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله: (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا).

وذكر عكرمة أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة، واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: ورائك، فقال: مالك ويلك؟! قال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله. فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلنها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله فقال: أما إذ أذن لك رسول الله فجز الآن^(٢).

أبو عبيدة بن الجراح

انطلق أبو عبيدة رضي الله عنه يوم بدر يصول بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى فهابه المشركون، ويجول جولة من لا يحذر الموت، فحذره فرسان قريش وجعلوا يتنحون عنه كلما واجهوه، لكن رجلا واحدا منهم جعل يبرز لأبي عبيدة في كل اتجاه، فكان أبو عبيدة ينحرف عن طريقه ويتحاشى لقاءه ولجَّ الرجل في الهجوم، وأكثر أبو عبيدة من التنحي، وسد الرجل على أبي عبيدة المسالك، ووقف حائلا بينه وبين قتاله لأعداء الله.

فلما ضاق به ذرعا ضرب رأسه بالسيف ضربة فلقت هامته فلقنتين، فخر الرجل صريعا

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٣٨/١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٣٢/٨.

بين يديه.. لا تحاول أيها القارئ الكريم، أن تخمن من يكون هذا الرجل الصريع، أما قيل لك: إن عنف التجربة فاق حسابان الحاسبين، وجاوز خيال المتخيلين، ولقد يتصدع رأسك إذا عرفت أن الرجل الصريع هو عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة. لم يقتل أبو عبيدة أباه، وإنما قتل الشرك في شخص أبيه^(١). إنها المفاضلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان، والانحياز التام للصف المتميز.

عبد الله بن سهيل

هاجر إلى الحبشة بعد إسلامه، فخلصا من أذى قريش، ثم شاء الله أن تصل أخبار كاذبة إلى مهاجري الحبشة، بأن قريشا قد أسلمت، وأن المسلمين باتوا يعيشون بين أهلهم بسلام، فعاد فريق منهم إلى مكة، وكان في جملة العائدين عبد الله بن سهيل، لم يكد أقدام عبد الله تظاً أرض مكة، حتى أخذه أبوه وكبله بالقيود، وألقى به في مكان مظلم من بيته، وجعل يتفنن في تعذيبه، ويلج في إيذائه، حتى أظهر لهم ارتداده عن دين محمد، وأعلن رجوعه إلى ملة آبائه وأجداده، فسري عن سهيل بن عمرو وقرت عينه، وشعر بنشوة النصر على محمد.

ثم ما لبث المشركون أن عزموا على منازلة رسول الله ﷺ في بدر فخرج معهم سهيل بن عمرو مصحوباً بابنه عبد الله، متشوقاً لأن يرى فتاه يشهر السيف في وجه محمد، بعد أن كان واحداً من أتباعه، ولكن الأقدار كانت تحبى لسهيل ما لم يكن يقع له في حساب، إذ ما كاد يلتقي الجمعان على أرض بدر حتى فر الفتى المسلم المؤمن إلى صفوف المسلمين، ووضع نفسه تحت راية رسول الله ﷺ، وامتشق حسامه ليقاتل به أباه ومن معه من أعداء الله^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٠٧/١٧.

(٢) الناطقون بالحق، ص ١٥١.

العزة

ذلة العباد لربهم ذلة بالحق لا بالباطل، أما ذلة العبد للعبد فباطل، فقد حرم الإسلام الكبر وحرم على المسلم أن يكون مستضعفاً أو ذليلاً، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

إن اعتزاز المسلم بدينه هو من كبرياء إيمانه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

الأذان في أوله: الله أكبر، لكي يوقن المسلم بأن كل من تكبر بعد الله فهو صغير وأن كل متعظم بعد الله فهو حقير، ولذلك اختار الله من أسمائه العظيم والأعلى ليكررها المسلم في ركوعه وسجوده.

العزة حق يقابله واجب، فإذا كلفت بعمل ما فاديت به على أكمل وجه فلا سبيل لأحد عليك.

عزة الرسول ﷺ:

دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق، إن متتم وإن حييتم»، قال: فقيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن - وكان الرسول ﷺ (على ما يبدو) قد رأى أنه آن الأوان للإعلان، وأن الدعوة قد غدت قوية تستطيع أن تدفع عن نفسها، فأذن بالإعلان - وخرج الرسول ﷺ في صفين، عمر في أحدهما، وحمزة في الآخر، ولهم كديد ككديد الطحين، حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وحمزة، فأصابتهن كآبة لم تصبهم قط وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق^(١).

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ١٢ / ٥٥١، ٥٥٢.

من تهبب الموت وتحمل العار طلبا للبقاء في الدنيا على أية صورة فهذا حق، فإن الفرار لا يطيل الأجل والإقدام لا ينقص عمرا قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

كن عزيزا

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة فنزل عنها، وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع نعليك، وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشر فوك.

فقال عمر: أوّه لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله ^(١).

وفي رواية قال: يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه؟

فقال عمر: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نبتغي العزة بغيره ^(٢).

العزة ليست في كثرة الأموال واعتلاء المنصب، وإنما بقدر اتصالك بالله.

فالله هو المعز المذل، هو الذي يؤتي الملك من يشاء ويسلبه من يشاء، قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وهو المعز لمن أطاعه المذل لمن عصاه وهو المانح للعز، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[المنافقون: ٨]

ومن أعزه الله فهو العزيز ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

عزة ربي بن عامر

طلب رستم وفدا من سعد بن أبي وقاص في القادسية فأرسل سعد ربي بن عامر، فدخل على رستم، وقد زينوا مجلسه بالنهارق، والزراي الحرير، وأظهر اليواقيت واللالئ

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ١/ ١٣٠.

(٢) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري، ٢/ ٢٧٣.

الثمينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربيعي بترس وفرس قصير، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتوني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها.

فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى ذلك قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله.

قال: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى، فخلص رستم برؤساء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلاماً أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟

قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك لهذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي، والكلام والسيرة^(١).

ثم كان أن أبى الفرس دعوة الإسلام، واختاروا المناجزة، فنصر الله المسلمين، وهزموا فارس وسبوهم، وكان يزدجرد ملك فارس قد أرسل يستنجد بملك الصين، ووصف له المسلمين، فأجابه ملك الصين: إنه يمكنني أن أبعث لك جيشاً أوله في منابت الزيتون - أي الشام - وآخره في الصين، ولكن إن كان هؤلاء القوم كما تقول، فإنه لا يقوم لهم أهل الأرض، فأرى لك أن تصالحهم، وتعيش في ظلهم وظل عدلهم.

فزع رستم

لما نزل رستم النجف بعث عيناً إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادسية، فرأهم

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/ ٤٠١.

يستاكون عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى موقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحدا منهم يأكل شيئا إلا أن يمضوا عيدانا لهم حين يمسون وحين ينامون وقبيل أن يصبحوا، وفي يوم أذن مؤذن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فرأهم يتهاون للنهوض فنأدى في أهل فارس أن يركبوا، فقبل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم بالنهوض لكم، قال أحدهم: إنما نهوضهم للصلاة، فقال رستم: أكل عمر كبدي^(١).

شعر الأعداء بالرعب من سنة واحدة وهي السواك،
فكيف لو تمسك المسلمون بالسنة كلها؟

خوف قيصر ملك الروم

في السنة الخامسة عشرة تَهْهَرُ هرقل بجنوده، وارتحل عن الشام إلى بلاد الروم، وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: عليك السلام يا سورية، سلام مودع لم يقض منك وطرا وهو عائد، فلما عزم على الرحيل من الشام، التفت إلى بيت المقدس، وقال: وعليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده، ثم سار هرقل إلى القسطنطينية واستقر بها ملكه، وقد سأل رجلا ممن اتبعه، كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم.

فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار رهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمر ولا يدخلون إلا بسلام، يقضون على من حاربوه حتى يأكلوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضعي قدمي هاتين^(٢).

لن نشعر بالعزة إلا عندما نتمسك بقيام الليل وصلاة الفجر

ما أعزكم آل الخطاب!

في ذات سنة قدم سليمان بن عبد الملك مكة حاجا، فلما أخذ يطوف طواف القدوم، أبصر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يجلس في الكعبة في خضوع، فلما فرغ الخليفة من طوافه، توجه إلى سالم فأفصح له الناس الطريق حتى أخذ مكانه بجانبه، وكاد يمس بركبته ركبتة، فلم

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/٤٠٨.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ١٩/١٤٢.

يتنبه له سالم ولم يلتفت إليه؛ لأنه كان مستغرقاً فيما هو فيه، مشغولاً بذكر الله عن كل شيء، وطفق الخليفة يرقب سالماً بطرف خفي يلتمس فرصة يتوقف فيها عن التلاوة، فلما وافته الفرصة مال عليه وقال: السلام عليك يا أبا عمر ورحمة الله.

فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

فقال الخليفة بصوت خفيض: سلني حاجة أقضها لك يا أبا عمر، فلم يجبه سالم بشيء، فظن الخليفة أنه لم يسمعه، فمال عليه أكثر من ذي قبل وقال: رغبت بأن تسألني حاجة لأقضيها لك.

فقال سالم: والله إني لأستحي أن أكون في بيت الله، ثم أسأل أحداً غيره، فخجل الخليفة وسكت، لكنه ظل جالسا في مكانه، فلما قضيت الصلاة نهض سالم يريد المضي إلى رحله، فلحقت به جموع الناس، هذا يسأله عن حديث من أحاديث رسول الله، وذاك يستفتيه في أمر من أمور الدين، وثالث يستنصحه في شأن من شئون الدنيا، ورابع يطلب منه الدعاء.

وكان في جملة من لحق به خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك، فلما رآه الناس، وسعوا له حتى حاذى منكبه منكب سالم بن عبد الله، فمال عليه وهمس في أذنه قائلاً: ها نحن أولاء قد غدونا خارج المسجد، فسلني حاجة أقضها لك.

فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

فارتبك الخليفة وقال: بل من حوائج الدنيا.

فقال له سالم: إنني لم أطلب حوائج الدنيا بمن يملكها، فكيف أطلبها ممن لا يملكها؟ فخجل الخليفة منه وحياءه، وانصرف عنه وهو يقول: ما أعزكم آل الخطاب بالزهادة والتقوى! بارك الله عليكم من آل بيت^(١).

هل تفكر دائماً في الآخرة أم في متطلبات الدنيا وكمالياتها؟

العز بن عبد السلام وعزة العلماء

كان الشيخ الجليل عز الدين بن عبد السلام قد تولى منصب قاضي القضاة، وما إن تولى

(١) صور من حياة التابعين، ص ٣٨١، ٣٨٠.

هذا المنصب حتى لاحظ أن أمراء البلاد وقادة الجيش ليسوا من أهل مصر وليسوا أحراراً على الإطلاق، بل هم مجلوبون اشتراهم السلطان من بيت المال وهم صغار، فتعلموا اللغة العربية وعلوم الدين والفروسية والحرب، وعندما شبوا عينهم في مناصبهم فهم أمراء عماليك عبيد، إذن فليس لهم حقوق الأحرار ولهذا فليس لهم أن يتزوجوا بحرائر النساء، وليس لهم أن يبيعوا أو يتصرفوا إلا كما يتصرف العبيد.

بلغ الأمراء ذلك فعظم الخطب فيهم واحتدم الأمر واشتد، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً وتعطلت مصالحهم بذلك.

وكان منهم نائب السلطان فاستشاط غضباً فاجتمعوا وأرسلوا إليه فقالوا له: ماذا تريد؟ فقال الشيخ: نعقد لكم مجلساً وينادي عليكم للبيع لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعي.

فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث السلطان إليه فلم يرجع عن قوله، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمير أخرى ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة قاصداً الشام، فلم يصل إلى نصف ما يريد حتى لحقه غالب المسلمين ولم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل يتخلف ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار.

بلغ السلطان الخبر وقيل له: متى راح الشيخ ذهب ملكك، فركب السلطان نفسه ولحقه واسترضاه وطيب خاطره، فرجع الشيخ واتفق على أن ينادى على الأمراء لبيعهم، فأرسل إليه نائب السلطان بالملاطفة فلم يقبل الشيخ ولم تغد الملاطفة معه فانزعج نائب السلطان وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ وبيعنا ونحن ملوك الأرض؟! والله لأضربنه بسيفي هذا، وركب بنفسه -نائب السلطان- في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه وحكى له ما رأى، فما اهتم الشيخ بذلك ولا تغير وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله. ثم خرج وكان قضاء الله قد نزل على نائب السلطان، فحين وقع بصر الشيخ على النائب يبست يد النائب وارتجف وسقط السيف من يده وارتعدت مفاصله وبكى وسأل الشيخ أن يدعو له

وقال: يا سيدي الشيخ خير أي شيء تعمل؟ قال: أنادي عليكم، قال: فقيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: فمن يقبضه، قال: أنا.

فوافق وتم للشيخ ما أراد ونادى على الأمراء واحدا واحدا وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا لم يسمع بمثله عن أحد، رحمه الله تعالى ﷺ^(١).

إن الذي يمد رجله لا يمد يده

وكان الشيخ سعيد الحلبي -عالم الشام في عصره- في درسه مادًا رجله فدخل عليه إبراهيم باشا، ابن محمد علي حاكم مصر، فلم يتحرك له، ولم يقبض رجله، فتألم الباشا، ولكنه كتم ألمه، ولما خرج بعث إليه بصرّة فيها ألف ليرة ذهبية، فردها الشيخ وقال للرسول الذي جاءه بها: قل للباشا: إن الذي يمد رجله لا يمد يده.

طاووس والخليفة

لما آلت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك كانت لطاووس بن كيسان معه مواقف مشهورة، منها أنه أتى بطاووس بن كيسان ودخل على هشام بن عبد الملك بعد أن آلت إليه الخلافة، فلما دخل عليه، خلع نعليه بحاشية بساطه، وسلم عليه من غير أن يدعو به أمير المؤمنين وخاطبه باسمه دون أن يكنيه، وجلس قبل أن يأذن له بالجلوس، فاستشاط هشام غضبا حتى بدا الغيظ في عينيه؛ ذلك أنه رأى في تصرفه ذلك اجترأ عليه، ونيلًا من هيئته أمام جلسائه، فقال لطاووس: ما حملك على ما صنعت؟

قال: وما الذي صنعت؟ فعاد إلى الخليفة غضبه وغيظه، وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين، وسميتني باسمي ولم تكنني، ثم جلست من غير إذني.

فقال طاووس بهدوء: أما خلع نعلي بحاشية سلطانك فأنا أخلعهما بين يدي ربي كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي، وأما قولك أني لم أسلم عليك بإمرة المؤمنين، لأن جميع المؤمنين ليسوا راضين بإمرتك، وقد خشيت أن أكون كاذبا إذا دعوتك بأمر المؤمنين.

وأما ما أخذته علي من أني ناديتك باسمك، ولم أكنك فإن الله عز وجل نادى أنبياءه

(١) مائة موقف من حياة العظماء، ص ١٣، ١٤.

بأسمائهم فقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

وأما قولك إني جلست قبل أن تأذن لي، فلإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام بين يديه. فكرهت أن تكون ذلك الرجل الذي عد من أهل النار! فأطرق هشام إلى الأرض خجلاً^(١).

هذا الشبل من ذاك الأسد

جاء أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طاووس بن كيسان، ومالك بن أنس لزيارته وهما من العلماء التابعين، فلما دخلا عليه، وأخذوا مجلسيهما عنده، التفت الخليفة إلى عبد الله بن طاووس وقال: أرو لي شيئاً مما كان يحدثك به أبوك.

فقال: حدثني أبي أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في سلطانه فأدخل الجور في حكمه.

قال مالك بن أنس: فلما سمعت مقالته هذه ضمنت علي ثيابي خوفاً من أن يصيبني شيء من دمه، بيد أن أبا جعفر توقف ساعة لا يتكلم ثم صرفنا بسلام^(٢).

نحن في ظل الله

بعد أن اعتمد مكتب الإرشاد العام الصياغة التي أعدت بها مذكرة تقليدية لوزارة الدكتور ماهر بعد حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ وكلف الأستاذ الهضيبي بالتوقيع عليها وجد في نهاية الرسالة جملة «في ظل جلالة الملك المعظم» فضرب بقلمه على هذه العبارة غير ملتفت بأن مكتب الإرشاد قد اعتمدها، ولا إلى كون هذه العبارة تقليدية وإلى أن خلو الكتاب منها يشير نقمة في القصر الملكي، مجيباً على ذلك بقوله: احذفوها على مسئوليتي، وحسبنا والملك والوزارة أن نكون في ظل الله وحده.

(١) صور من حياة التابعين، ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) صور من حياة التابعين، ص ٢٩٧.

يسرني أن أكون آخرهم

كان مدير السجن الحربي في صحراء الهايكستب يتودد للأستاذ الهضيبي ويتظاهر بالأسف لاعتقاله والمسارة فيما يسره، ومن ذلك أنه أبلغه يوما عن مسعى يقوم به لتزويد غرفته بأدوات التدفئة والراحة تقديرا لمقامه وسنه، فأجابه المرشد -رحمه الله: إني بأتّم الراحة والدفع، وإذا كان باستطاعتك أن تقدم هذه المزايا لجميع الإخوان المعتقلين فيسرني أن أكون آخرهم، وإلا فوفر على نفسك المساعي وأنت مشكور. غير أن مدير السجن الذي عرف إباء الرجل ومثالية إيثاره اغتنم فرصة إخلائه الغرفة في لحظات الفسحة اليومية فحمل مدفأة مكتبه الخاص وتركها مشتعلة في زنزانه الهضيبي الذي ما كاد يدخل الزنزانه ويفاجأ بنعمة الدفع ثم يلمح المدفأة في زاوية من زنزانه حتى أقبل على باب الزنزانه من الداخل يوسعه طرقا بكلتا يديه، إلى أن سمع الحارس فأسرع يفتح باب الزنزانه، ليفاجأ بنزيلها قد حمل المدفأة بيده، وقذف بها إلى الخارج ثم أغلق الباب على نفسه دون ضوضاء.

وأدرك زبانية الحكام أن الهضيبي الذي حسبوه فانيا سريع الاستسلام، ما هو إلا معين إباء وجلد تسري جوارحه شمما ومنعة في نفوس المسلمين فيثبت الواهن، ويضاعف من عزيمة الثابت.

دعهم لا يرون منا إلا البشاشة

وقد تفتقت مكاييد الطغيان عن حيلة جديدة، نقلوا بها الأستاذ الهضيبي إلى زنزانه ملحقة بمكاتب الإدارة تفصله قرابة ميل عن مجمع زنزانات الإخوان، بحيث لا يرونه إلا في ساعة الفسحة من هذا البعد، لا يكلمهم ولا يكلمونه.

ولفت أنظار الإخوان أن المرشد يقضي ساعة فسحته في الحديقة المواجهة لمكتب المدير ناشطا في القيام بتمارين رياضية وهو بملابس ناصعة الألوان لعله كان يتوقر عنها وهو في شبابه.

ولما سأله البعض عن غرابة هذه الحركات الرياضية، وهذه الملابس الزاهية، على مقامه وسنة، قال: دعهم لا يرون منا إلا البشاشة وارتفاع الروح المعنوية، حتى يتحققوا أن سهامهم طاشت ولم يبلغوا منا ما يريدون.

إن الناس يذلون أنفسهم ويقبلون الدنية في دينهم ودنياهم، إما خوفاً من نقص في الأرزاق أو في الآجال والغريب أن الله قطع سلطان البشر عن الآجال والأرزاق جميعاً.

والناس من خوف الذل في ذل، ومن خوف الفقر في فقر.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].

قال رسول الله ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله»^(١).

الشهيد سيد قطب

ارتضع منذ طفولته معاني العزة والكرامة، وعاش حياته سيّداً، وغادر الدنيا سيّداً، رافعا رأسه، وعاش حياته قطباً، وغادرها قطباً في الدعوة والجهاد، وتوقف عند ساعاته الأخيرة في الدار الفانية، وقد طلب إليه أن يعتذر للطاغية مقابل إطلاق سراحه، فقال: لن أعتذر عن العمل مع الله، وعندما طلب منه كتابة كلمات يسترحم بها عبد الناصر، قال: إن أصعب السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفاً يقربه حكم طاغية، وقال أيضاً: لماذا أسترحم؟ إن سجنتم بحق فأنا أقبل حكم الحق، وإن سجنتم بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل.

وفي إحدى الجلسات اقترب أحد الضباط منه، وسأله عن معنى كلمة شهيد، فرد عليه - رحمه الله - شهيد يعني أنه شهد أن شريعة الله أعلى عليه من حياته.

أخالف البروتوكول

يقول الأستاذ عمر التلمساني: في أكتوبر ١٩٥٢ دعا رجال الانقلاب الأستاذ الهضيبي وأعضاء مكتب الإرشاد إلى عشاء في سلاح المهندسين في الحلمية، فدعاهم فضيلته بعد ذلك إلى عشاء في بيته، وكنت أحضر ذلك العشاء، وجلست كعادتي على مقربة من الباب وجاء عبد الناصر وقدم لي التحية فقبلتها، وكنت أضع رجلا على رجل.

وكان منتهى اللياقة أن أقف أو أن أزيل ساقِي عن وضعها والرجل يقف أمامي، وفي ثوانٍ دارت معركة في خاطري: إن ظللت جالسا فقد خالفت قواعد البروتوكول، وإن وقفت

فقد يظن البعض أني أقف لرئيس الوزراء نفاقاً لا لياقة، فأثرت أن أكون مخالفاً لقواعد اللياقة على أن يظن بي أني منافق، وبقيت على حالتي، وما أظن عبد الناصر قد نسي ذلك^(١).

الهضيبي وفاروق

توجه كريم ثابت باشا المستشار الصحفي للملك فاروق إلى منزل المستشار حسن الهضيبي وأخبره بأن الملك فاروق يطلب منه الحضور في ١٩٥١/١١/٢١ إلى قصر القبة لمقابلته والتحدث معه، فأخبره الهضيبي أنه لا يستطيع أن يوافق على ذلك إلا بعد عرض الأمر على مكتب الإرشاد، ووافق مكتب الإرشاد، وهنا طلب كريم ثابت من الهضيبي ضرورة ارتداء بدلة الردنجات عند مقابلة الملك، فأخبره الهضيبي أنه لا يملك بدلة ردنجات، فأرسل كريم ثابت باشا إلى الهضيبي في منزله بدلتين ردنجات لارتداء إحداها، ولكن حسن الهضيبي أصر أن يقابل الملك بملابسه العادية حتى ولو أدى الأمر إلى إلغاء المقابلة، فأذعن كريم ثابت لرأي الهضيبي مكرهاً، وتمت المقابلة بقصر القبة واستغرقت خمسا وأربعين دقيقة ونشرت الصحف هذا الخبر، ولم يصرح فضيلته للصحف بأي شيء عن هذه المقابلة علماً بأن هذه أول مرة يقابل فيها الملك شخصاً لا يرتدي الردنجات.

وحضر الملك إلى مكتب السكرتارية وسلم عليه الهضيبي معتدلاً القامة شامخاً، وأخذ الملك من يده مصطحباً إياه إلى غرفة مكتبه، وجلس الهضيبي على كرسي وأخذ الملك يرحب بهضيبي ووجه إليه الحديث قائلاً: لا أدري لماذا يسيء الإخوان المسلمون الظن بي؟ فلم يرد عليه الهضيبي، وعاد الملك يقول: إنني مسلم وأحب الإسلام وأتمنى له الخير، وقد أمرت بإنشاء مساجد كذا وكذا فلماذا يكرهني الإخوان؟ ولم يرد الهضيبي أيضاً.

وعاد الملك يقول: إن الإخوان قد فهموا خطأ أنني أنا الذي أمرت بحلهم واعتقالهم وباغتيال الشيخ حسن البنا، وهذا - والله العظيم - خطأ ولم أفعل من هذا شيئاً، والذي فعل ذلك هم السعديون، النقراشي وإبراهيم عبد الهادي وفي اللحظة التي تمكنت فيها أقلت إبراهيم عبد الهادي، وأمرت الوزارة التي عينتها بالإفراج عن الإخوان، واستمر الملك في استعراض تاريخه وما عمله من خير ونسب كل عمل سعى لغيره، وبين لحظة وأخرى يقول:

(١) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١٤٧، ١٤٨.

لماذا يكرهني الإخوان إذن؟! والهضيبي لا يرد، وقال الهضيبي: إنني سهوت عن نفسي وتنبهت فوجدت نفسي في وضع عجيب.

وجدتني جالسا على الفتيل واضعا إحدى رجلي على الأخرى!! ففكرت في الرجوع إلى الجلسة المناسبة ولكنني قررت ألا أغير هذا الوضع وظللت كذلك حتى انتهاء المقابلة.. حين سأله الملك: ما رأيكم يا حسن بك في كل ما قلته، وفي أنني على استعداد أن أعمل للإسلام؟ فرد عليه الهضيبي قائلا: إنني سأعرض ذلك على الإخوان ونسأل الله التوفيق، ثم قام الملك وصافحه وأوصله حتى باب مكتبه حيث تلقاه كبار رجال القصر حتى رجع إلى المركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية.

وقال الأستاذ الهضيبي وهو يقص أحداث هذه المقابلة بعد سنوات طويلة إنه كان يشعر وهو يجلس مع الملك أنه أمام طفل صغير ولم يشعر نحوه برهبة أو حتى احترام^(١).

حمية العرب في الجاهلية

المهلهل بن ربيعة الذي اشتهر عند الناس باسم الزير سالم، كان رجل شهوات في حياته، رجل كأس وطاس، وزير نساء، ولكن حينما قتل أخوه كليب أبى إلا أن يطلق هذه الأمور كلها، وأن يعيش لشيء واحد أن يثأر لأخيه المقتول وقال في ذلك قوله:

ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل النهار

ولم يخلع درعه ولا سيفه حتى أخذ يثأر أخيه وانتقم من بني بكر، وفي يوم من الأيام قتل أحد كبرائهم فقال بعضهم: يكفيك هذا بكليب، قال: هذا يبوء بشسع نعل كليب^(٢).

هذه حمية العرب في الجاهلية.

وهذا عمرو بن كلثوم كان عند ملك الحيرة عمرو بن منذر -أو عمرو بن هند- وكانت معه أمه فأرادت أم الملك أن تستخدمها في بعض الأشياء فأمرتها أن تأتي لها ببعض الأشياء فكبر ذلك عند المرأة أم الفارس عمرو بن كلثوم، وأخبرت بذلك ابنها فثار وقال قصيدته

(١) وعرفت الإخوان، ص ٦٧، ٦٨.

(٢) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٥/ ٥٢.

الشهيرة، قصيدة عمرو بن كلثوم التي قالوا فيها إنها كانت حوالي ألف بيت وما بقي منها هو ما حفظه الرواة، ومنها:

وأنا المانعون إذا غضبنا وأنا المانحون إذا رضينا
وأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قدروينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخرله الجبابر ساجدين^(١)

وكانت أن قامت معركة بعد ذلك بينه وبين عمرو بن هند وقد قتل عمرو بن هند ملك الحيرة.

هؤلاء هم العرب لا يقبلون الذل، ويقول عنترة في شعره:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة لجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

هكذا كان القوم، وفي أول الإسلام حين هزمت قريش في معركة بدر الكبرى، قتل منهم سبعون من الصناديد وأسر منهم سبعون، وكان أبو سفيان بن حرب لا يزال مشركا وكان يعتبر زعيم القوم في ذلك الوقت، خصوصا بعد أن مات من مات من الصناديد والكبار في بدر، فألى على نفسه ألا يمسه بدنه ماء من غسل الجنابة -يعني لا يعاشر امرأته- وحرمت قريش على نفسها أن يبكي أحد بكاء نوح، أي بكاء بأصوات، يكتمون ذلك في أنفسهم حتى لا ينفسوا عن أنفسهم ليظل هذا الغضب مكبوتا إلى أن يأخذوا بشأهم، وفي يوم من الأيام سمع بعض الناس أنه أبيع لهم أن يبكوا وأن يشعروا وأن يعبروا عن أنفسهم، فلما خرج سأل فقالوا له: هذا رجل ضل بعيده، فهو يبكي بعيده الذي ضاع^(٢).

الأخ حافظ

استدعى المسيو سولنت باشمهندس القنال ورئيس قسم السكسيون الأخ حافظ ليصلح له بعض أدوات النجارة في منزله وسأله عما يطلب من أجر فقال: ١٣٠ قرشا، فقال المسيو

(١) جواهر الأدب، الهاشمي، ص ٢٨٧.

(٢) الجهاد اليوم فرض عين، القرضاوي، ص ١٨ - ٢٤.

سولنت بالعربي: أنت حرامي، فتمالك الأخ نفسه، وقال له بكل هدوء: ولماذا؟ فقال: لأنك تأخذ أكثر من حقك، فقال له: لن آخذ منك شيئا ومع ذلك فإنك تستطيع أن تسأل أحد المهندسين من مرءوسيك فإن رأى أنني طلبت أكثر من القدر المناسب فإن عقوبتي أن أقوم بالعمل مجانا، وإن رأى أنني طلبت أقل مما يصلح أن أطلب فسأسمحك في الزيادة.

واستدعى الرجل فعلا مهندسا وسأله فقدر أن العمل يستوجب ٢٠٠ قرش، فعرف المسيو سولنت وأمر الأخ حافظ أن يبتدئ العمل، فقال له: سأفعل ولكنك أهنتني فعليك أن تعتذر وأن تسحب كلمتك، فاستشاط الرجل غضبا وغلبه الطابع الفرنسي الحاد، وأخذته العزة بالإثم وقال: تريد أن أعتذر لك؟ ومن أنت؟ لو كان الملك فؤاد نفسه ما اعتذرت له، فقال حافظ في هدوء أيضا: وهذه غلطة أخرى يا مسيو سولنت فأنت في بلد الملك فؤاد، وكان أدب الضيافة وعرفان الجميل يفرضان عليك ألا تقول مثل هذا الكلام وأنا لا أسمح لك أن تذكر اسمه إلا بكل أدب واحترام، فتركه وأخذ يتمشى في البهو الفسيح ويداه في جيب بنطلونه، ووضع حافظ عدته وجلس على كرسي واتكأ على منضدة وسادت فترة سكوت لا يتخللها إلا وقع أقدام المسير السائر الحائر، وبعد قليل تقدم من حافظ وقال له: افرض أنني لم أعتذر لك فماذا تفعل؟ فقال: الأمر هين سأكتب تقريراً إلى قنصلكم هنا وإلى سفارتكم أولاً ثم أترقب كل قادم من أعضاء هذا المجلس فأشكو إليه، فإذا لم أصل إلى حقي بعد ذلك استطعت أن أهينك في الشارع وعلى ملاء من الناس وأكون بذلك قد وصلت إلى ما أريد ولا تنتظر أن أشكوك إلى الحكومة المصرية التي قيدتموها بسلاسل الامتيازات الأجنبية الظالمة، ولكني لن أهدأ حتى أصل إلى حقي بأي طريقة، فقال الرجل: يظهر أنني أتكلم مع أفوكاتو لا نجار! ألا تعلم أنني كبير المهندسين في قناة السويس فكيف تتصور أنني أعتذر لك؟ فقال حافظ: وألا تعلم أن قناة السويس في وطني لا في وطنك، وأن مدة استيلائكم عليها مؤقتة وستنتهي ثم تعود إلينا فتكون أنت وأمثالك موظفين عندنا؟ فكيف تتصور أن أدع حقي لك؟... وانصرف الرجل إلى مشيته الأولى.

وبعد فترة عاد مرة ثانية وعلى وجهه أمارات الثائر وطرق المنضدة بيده في عنف مرات وهو يقول: أعتذر يا حافظ سحبت كلمتي، فقام الأخ حافظ بكل هدوء وقال: متشكراً يا مسيو سولنت. وزاول عمله حتى أتمه.

وبعد الانتهاء أعطاه المسيو سولنت ١٥٠ قرشا فأخذ منها ١٣٠ قرشا ورد له العشرين. فقال له: خذها بقشيشا، فقال: لا، لا حتى لا آخذ أكثر من حقي فأكون حرامي، فدهش الرجل وقال: إني مستغرب لماذا لا يكون كل الصانع أولاد العرب مثلك؟ أنت «فاميلي محمد» فقال حافظ: يا مسيو سولنت كل المسلمين «فاميلي محمد» ولكن الكثير منهم عاشروا الخواجات وقلدوهم ففسدت أخلاقهم، فلم يرد الرجل بأكثر من أن مديده مصافحا قائلا: متشكر، متشكر كتر خيرك وفيها الإذن بالانصراف^(١).

أصبراً على مس الهوان وأنتمو عديد الحصى، إني إلى الله راجع

يقول سيد قطب: وما يعز المؤمن بغير الله وهو مؤمن، وما يطلب العزة والنصرة والقوة عند أعداء الله وهو يؤمن بالله، وما أحوج ناساً ممن يدعون الإسلام ويتسمون بأسماء المسلمين وهم يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض، أن يتدبروا هذا القرآن إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين وإلا فإن الله غني عن العالمين^(٢).

وقف قرآنية

يقول تعالى في صفات المؤمنين: ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

يقول سيد قطب:

فهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء.. وهذه الخصائص هنا موضع، إنها ليست العزة للذات، ولا الاستعلاء للنفس، إنما هي العزة للعقيدة، والاستعلاء للرأية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين، إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم، ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين، ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى، وبغلبة قوة الله على تلك القوى، وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية، فهم الأعلون حتى وهم منهزمون في بعض المعارك، في أثناء الطريق الطويل^(٣).

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص ٨٥ - ٨٧.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٧٨٠.

(٣) السابق، ٢/ ٩١٩.

الرفتيسي

يقول الشهيد الرفتيسي - أثناء اعتقاله: قام مدير عام المعتقل وهو صاحب رتبة عسكرية رفيعة ويدعى «شلتيل» يطلب عقد لقاء مع ممثلي المعتقلين، ولقد اجتمع ممثلون عن مختلف الفصائل في خيمة من خيام المعتقل في أحد أقسامه لتدارس الأمر قبل انعقاد اللقاء مع الإدارة، وأحب المعتقلون أن أرافقهم وقد فعلت، وأثناء لقائنا في الخيمة سمعت بعض الشباب يحذر من «شلتيل» ويضخم من شأنه ويخشى من غضبه، فشعرت بأن له هبة في نفوس بعض الشباب وهذا لم يرق لي ولكني لم أعقب بشيء، ثم جاءت حافلة في يوم اللقاء لتقلنا إلى ديوان «شلتيل» وأخذت وأنا في الحافلة أفكر في استعلاء هذا الرجل وهيبته في نفوس الشباب وكيفية انتزاع هذه الهبة من نفوسهم، ولقد وطنت نفسي على فعل شيء ما ولكني لا أعلمه، ولكن كان لدي استعداد تام أن أتصدى له إذا تصرف بطريقة لا تليق، ووصلت الحافلة ودخلنا ديوانه فكان عن يميننا داخل القاعة منصة مرتفعة حوالي ٣٠ سنتيمترا عن باقي الغرفة، وعليها عدد من الكراسي، وعن شمالنا كانت هناك عدة صفوف من الكراسي المعدة لنا، فجاء رؤساء الأقسام المختلفة وجميعهم من الحاصلين على رتب عسكرية في الجيش، ومن بينهم مسئول أحد الأقسام قد كان في الماضي نائب الحاكم العسكري لمدينة «خان يونس» وكان يعرفني مسبقا، وكان نائب «شلتيل» أيضا يجلس على المنصة مع رؤساء الأقسام، وجلس المعتقلون الممثلون لكل الفصائل على الكراسي المعدة لهم وجها لوجه مع رؤساء الأقسام تفصلنا عنهم مسافة لا تزيد على مترين، ولقد جلست في الصف الأول في الكرسي الأول الأقرب إلى باب الديوان، ثم بعد وقت قليل دخل «شلتيل» وكان رجلا طويل القامة ضخم الجثة فالتفت بطريقة عسكرية وأشار بيده فوقف الشباب وبقيت جالسا، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأول بيني وبينه فلا يعرفني، فاقترب مني وقال: لماذا لا تقف؟

فقلت له: أنا لا أفق إلا الله وأنت لست إلهًا، ولكنك مجرد إنسان وأنا لا أفق للبشر.

فقال: يجب عليك أن تقف، فأقسمت بالله يمينًا مغلظًا ألا أفق، فأصبح في حالة من الحرج الشديد ولم يدر ما يفعل، حاول التدخل أحد قادة فتح في المعتقل -وهو العقيد «سامي أبو سمهدانة»- ليخبره أنني إذا قررت لا أراجع، فرفض الاستماع إليه وأصر على موقفه،

ولكني أبيت بشدة، فقال نائبه: يا دكتور هنا يوجد بروتوكول يجب أن يحترم.
فقلت له: ديني أولى بالاحترام ولا يجوز لي الإسلام أن أقف تعظيما لمخلوق.

فقال: وما الحل؟

فقلت: إما أن أبقى جالسا أو أعود إلى خيمتي.

فقال «شلتثيل»: عد إذن إلى خيمتك، فخرجت من الديوان ولم يخرج معي إلا الأخ
المهندس «إبراهيم رضوان» والأخ «عبد العزيز الخالدي» وكلاهما من حماس^(١).

من الطرائف

يقول الشهيد الرنتيسي: من الطرائف التي حدثت في فترة اعتقالي أن شرطيا يهوديا
رآني أحمل القرآن وأتصفح، فسألني: يا دكتور، ماذا في كتابكم؟

فقلت: أمور كثيرة.

قال: ماذا يقول إنكم فاعلون بنا؟

قلت له: يقول إننا سنذبحكم بعد أن تتجمعوا في بلادنا.

فقال: متى يكون ذلك؟

فقلت: لا أدري ربما يكون خلال أربعين سنة - وكنا في عام ١٩٩٠ - فأخذ يحسب ثم
همهم قائلا: ليس مهما بالتأكيد سأكون ميتا.

فقلت له: وماذا تقول التوراة؟

فقال: نفس الشيء فتجمعنا هنا نهايته الذبح، ثم استدرك قائلا: ولكن عندما نفسد.

فقلت: سبحان الله كأنكم لم تفسدوا بعد!^(٢)

(١) مذكرات الرنتيسي، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) السابق، ص ٤٧.

الذكاء

المسلم يتميز بسرعة البديهة، والعقل الراجح، والعلم الواسع، والقدرة على الاجتهاد، وحسن النظر، والحكمة والذكاء، والعلم والفطنة.

وهذه بعض مواقف الأذكياء ليتعلم منها المسلم الفطنة وحسن التصرف مع الأمور.

دار الأرقم

في بداية الدعوة إلى الإسلام، كان النبي ﷺ يدعو إلى الله سرًا، حذرًا من قريش التي كانت متعصبة للشرك، وكانت تضطهد كل من يؤمن بالدعوة الجديدة.

لذلك اختار الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ليجتمع بها مع أصحابه الكرام، فلم يكن أحد من قريش يعلم أن الأرقم كان قد أسلم، ولن يخطر على بال قريش أن يتم اللقاء في داره، وكان الأرقم من بني مخزوم الذين كانوا يحملون لواء التنافس على سيادة قريش ضد بني هاشم، وكان بعيدًا عن ذهن قريش أن يجتمع محمد وأصحابه في قلب ديار بني مخزوم. كما أن الأرقم كان في هذا الوقت صغير السن، لا يتجاوز عمره السادسة عشرة، وكان من المستبعد أن يجتمع المسلمون في منزل هذا الفتى الصغير.

المنافرة بين خليل الله والنمرود

كان النمرود بن كنعان حاكمًا لبلاد كنعان التي كان يعيش فيها نبي الله إبراهيم. فدعاه إبراهيم إلى الإيمان بالله بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن النمرود لم يستمع إلى دعوة الخير، وادعى أنه إله ودار بين إبراهيم والنمرود حوار طويل، لجأ فيه إبراهيم إلى الدليل العقلي، فقال له: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال النمرود: أنا أحيي وأميت، فأنا أستطيع أن آتي برجلين قد حُكِمَ عليهما بالقتل، فأقتل أحدهما وأعفو عن الآخر فأحييه، هنا فكر إبراهيم في حجة قوية لا يستطيع النمرود إنكارها مهما عاند واستكبر، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فلم يستطع النمرود أن يرد على هذا الدليل القاطع الحاسم.

إذا تحدثت مع أي إنسان فلا تجادل ولكن عليك بالدليل الواضح.

طريق اليمن في الهجرة

في بداية هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، سار نحو الجنوب عكس اتجاه المدينة، ثم عاود السير تجاهها ليجعل الكفار يعتقدون أنه توجه إلى اليمن وليس إلى المدينة، كذلك كلف النبي عامر بن فهيرة أن يتعرف على ما يقال بمكة، ثم يأتيه بالخبر في الليل، ويحلب لهما الأغنام، ثم يصبح ويسرح مع الناس، وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت معهما في الغار، ثم يذهب إلى مكة في الفجر، فيصبح مع قريش كأنه بات في مكة، ويسمع ما يقال عن الرسول ﷺ وصاحبه، ثم يعود إليهما بالأخبار في الليل.

كن فطنًا في التعامل مع الأعداء ولا تترك دليلاً على أفعالك.

الإبل المذبوحة

في غزوة بدر، أرسل النبي ﷺ فرقة استطلاع مكونة من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهم- إلى بدر ليستطلعوا أخبار العدو، فوجدوا اثنين من قريش يملآن قرب الماء ويحملانها على ظهور الإبل ليسقوا جيش المشركين، فأسروهما وأخذوهما إلى النبي ﷺ فلما رأى الأسيرين سألهما: «كم القوم؟» فقال أحدهما: كثير، قال: «ما عدتهم؟» قال: لا ندري. فسألها الرسول ﷺ عن عدد الإبل التي يذبحونها كل يوم، فأخبراه أنهم ينحرون في يوم تسعة إبل، وفي يوم عشرة إبل، فقدر الرسول أن كل ناقة يأكلها مائة من الرجال، فقال الرسول ﷺ: «القوم فيما بين التسعمائة والألف» وكانت معرفة رسول الله ﷺ بعدد جيش قريش أول خطوة من خطوات النصر في بدر^(١).

الحجر الأسود

قبل بعثة النبي ﷺ أصاب مكة سيل شديد، فتهدمت بعض أجزاء من الكعبة الشريفة، واجتمعت قريش وقرروا بناءها من جديد، وتسابقت القبائل لتنال شرف الاشتراك في إعادة بناء الكعبة، فلما تم البناء، وأرادوا إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، تشاجر زعماء القبائل لنيل

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٦٤/٣.

هذا الشرف، حتى كادت الحرب تقع بينهم، فرأى الحكماء منهم أن يحتكموا إلى أول من يدخل عليهم، وشاءت إرادة الله أن يكون القادم محمداً ﷺ فارتضوه حكماً، وحكوا له القصة، فخلع النبي ﷺ رداءه، ووضع على الأرض، ثم أخذ الحجر الأسود ووضع على الرداء، وطلب إلى زعماء القبائل أن يمسك كل واحد منهم بطرف من الرداء، ثم يحملوا الحجر إلى مكانه، ففعلوا. فأخذ النبي ﷺ الحجر، ووضع في مكانه، وبذلك ساهموا جميعاً في حمل الحجر الأسود، ونالوا ذلك الشرف^(١).

حيلة يوسف

جاء إخوة يوسف إلى مصر لشراء القمح والطعام، فلما دخلوا على أخيهم -الذي كان وزيراً للبلاد- عرفهم ولم يعرفوه، وأعطاهم ما أرادوا، ووعدهم أنه سيزيد لهم في العطاء في المرة الثانية، إن أحضروا معهم أخاهم من أبيهم، فإن لم يحضروه فلن يعطيهم شيئاً. فلما جاءوا في المرة الثانية أحضروا معهم أخاهم، ففكر يوسف في حيلة ليحجز أخاه، ويستبقه إلى جواره، فأمر رجاله أن يضعوا مكياال الذهب الذي يكيل به في أمتعة أخيه، ثم أعلن أن المكياال قد سرق. فنفى إخوة يوسف أن يكونوا قد سرقوا المكياال، فسألهم يوسف عن جزاء من يسرق في شريعتهم؛ حتى يطبق ذلك الحكم عليه إذا وجد المكياال مع أحدهم، فأخبروه أن السارق يؤخذ رهينة أو أسيراً، مقابل ما يسرق، فأمر يوسف بالتفتيش، فوجدوا المكياال في متاع أخيه، ونجحت حيلة يوسف في أن يأخذ أخاه.

داود وسليمان

كان لرجل قطع من الأغنام، وذات يوم دخلت هذه الأغنام حقل رجل آخر، فأكلت ما به من حرث وثمار وأفسدت الزرع، فذهب صاحب الحرث إلى نبي الله داود ليحكم في أمره، فحكم داود لصاحب الحقل أن يأخذ الأغنام نظير ما أفسد من حرثه، فلما علم ابنه سليمان بذلك قال: لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا، فدعاه داود وسأله: كيف تقضي بينهما؟ فحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الحرث الأغنام فينتفع بما تلد وما تنتج من ألبانها، ويأخذ صاحب الأغنام الأرض فيزرعها ويصلحها حتى تعود كما كانت عليه أول مرة، فإذا ما أعطاهما كما

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الشامي، ١٦٧/١.

كانت ردت إليه أغنامه، وأخذ صاحب الحرث أرضه، ورغم أن حكم داود كان صحيحاً ولكنه أعجب برأي ابنه سليمان^(١).

قصة الرجل الحكيم

كان الفاروق عمر بن الخطاب جالساً ذات يوم مع بعض أصحابه، وكان فيهم جرير بن عبد الله، فشم ريحاً كريهة، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح أن يقوم فيتوضأ، لكن جرير أراد ألا يتعرض من أخرج الريح للخرج، وفضل أن يقوم المسلمون جميعاً فيتوضؤوا، فقال: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعاً، فأعجب عمر بحكمة جرير وفطنته، وقال له: رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية! ونعم السيد أنت في الإسلام!^(٢)

الفطنة

لما خرج رسول الله ﷺ مهاجراً ومعه صاحبه أبو بكر سلكا طريقاً غير الذي اعتاد الناس السفر منه إلى المدينة، فاتجها نحو الساحل في الطريق المؤدي إلى اليمن، وأخذ أبو بكر يسير أمام النبي ﷺ فإذا خشي أن يهجم عليه عدو من خلفه سار وراءه، حتى وصلا إلى المدينة سالمين.

وكان أبو بكر تاجراً معروفاً، يطوف البلاد، ويتعامل مع الناس، فكان إذا لقيه الناس عرفوه، وسألوه عن الرجل الذي يسير معه، وكان أبو بكر لا يريد أن يخبر أحداً بحقيقة صاحبه قبل وصوله إلى المدينة، وكان لا يحب أن يكذب، فكان يقول: هاد يهديني، يقصد الهداية في الدين، بينما يحسبه السائل دليلاً يدلّه على الطريق.

هل تتصرف في أمورك الصعبة بحكمة وفطنة؟

خالد بن الوليد في مؤتة

في غزوة مؤتة، استشهد القادة الثلاثة الذين عينهم النبي ﷺ، فاتفق المسلمون على أن يتولى خالد بن الوليد، فلما تولى خالد القيادة فكر في حيلة لينجو بالجيش؛ لأنه لا يمكنه

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٠٨/١١.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ٧٣٤/٣.

التغلب على قوات الروم الكثيرة بهذا العدد القليل من المسلمين، فغير أماكن الجنود، وأمر بعض الكتائب أن تتعد عن ساحة القتال، ثم يأتوا مندفعين أثناء المعركة وهم يكبرون، ويثيرون التراب بخيولهم، وفي الصبح فوجئ جنود الروم بوجوه جديدة من الجنود المسلمين لم يروها من قبل في الأيام الماضية، ثم جاءت الكتائب الأخرى فظنها الرؤم مددًا لجيش المسلمين، فدب الرعب في قلوبهم، وفي الليل سحب خالد جيشه من المعركة تدريجيًا حتى لا يلاحقهم الروم. وهكذا استطاع أن ينقذ جيش المسلمين.

في غزوة الأحزاب

حاصر المشركون المدينة، فأرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى معسكر المشركين، ليعرف أخبارهم، وما يتآمرون به ضد المسلمين، فتسلل حذيفة في الظلام حتى وصل إلى جيش المشركين، واندس بينهم، وبينما هم يتحدثون ويدبرون مكائدهم، أراد قائدهم أبو سفيان بن حرب أن يطمئن إلى أن مجلسهم لم يتسلل إليه أحد من المسلمين، فأمرهم أن يتعرف كل واحد منهم على من يجلس إلى جواره.

شعر حذيفة بحرج شديد، وخشي أن ينكشف أمره، فأسرع وأمسك بيد الجالس إلى جواره، وبادره بالسؤال: من الرجل؟ فقال الرجل المشرك: فلان بن فلان، وهكذا استطاع حذيفة بحسن تصرفه وذكائه أن يشغل من إلى جواره عن معرفته، وعاد إلى معسكر المسلمين سالمًا بفضل الله تعالى.

حيلة أبي بصير

كان من شروط صلح الحديبية بين المسلمين وقريش أنه إذا أتى المسلمين المشرك مسلمًا ردوه لقريش، وإذا أتى المسلم مشركًا لا ترده قريش للمسلمين.

فكان ممن أسلم في هذا الوقت رجل يسمى أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية رده رسول الله - حسب المعاهدة - إلى قريش التي بعثت تطلبه، وقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا». فانطلق حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه المشركان اللذان جاءا ليأخذه فقال أبو بصير لأحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟

فقال: نعم.

قال: أنظر إليه.

قال: انظر إن شئت، فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله وفر الآخر سريعاً إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه فلحقه أبو بصير، وقال للرسول: يا رسول الله، وفّت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفن فيه أو يعث بي.

فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمه محشى (مشعل) حرب لو كان معه رجال».

فلما بلغ المستضعفين بمكة قول الرسول ﷺ: «محشى حرب لو كان معه رجال» إذا بهم يتبعونه بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قوافل قريش إلى الشام وكانوا سبعين رجلاً، فقطعوا الطريق على قريش وعمدوا إلى كل قرشي أو قافلة تمر فيقتلونهم، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامها إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم، فأواهم الرسول ﷺ وقدموا عليه المدينة^(١).

الصنم والكلب

كان لعمر بن الجموح صنم يعبده، فلما أسلم ابنه معاذ فكر في حيلة يهدي بها أباه، ويثبت له أن الأصنام لا تضر ولا تنفع. وذات ليلة، انتظر هو وصديقه معاذ بن جبل حتى نام أبوه، وأخذ الصنم ووضعاه في حفرة قدرة، وفي الصباح، لم يجد عمرو صنمه، فغضب وظل يبحث عنه، حتى وجده في الحفرة، فأحضره وغسل عنه النجاسة، وكرر معاذ في الليالي التالية ما فعله بالصنم، فضاق عمرو بما يحدث لصنمه، فأحضر سيفه وعلقه على الصنم، حتى يدافع به نفسه إن كان يستطيع ذلك، وجاء المعاذان ليلاً وأخذ الصنم، وربطاه في كلب ميت، وألقياهما في بئر مليئة بالقاذورات، وفي الصباح، لم يجد عمرو صنمه، فبحث عنه، فوجده في البئر مربوطاً في الكلب، فعلم أنه لا يضر ولا ينفع، وانشرح صدره للإسلام فأسلم^(٢).

الفتى الذكي

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرب الصحابة الذين حاربوا في غزوة بدر من

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٤/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) السابق، ٢/ ٣٠١.

مجلسه، وكان يجلس معهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه فتضايق بعض القوم من ذلك لصغر سن ابن عباس فأراد عمر أن يعرفهم علم ابن عباس ومنزلته، فدعاه ذات يوم إلى مجلسه، وأدخله على كبار القوم، وقال لهم: ماذا تقولون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت الباقون.

فقال عمر: أكذاك تقول يا ابن عباس؟

فقال: لا.

فقال عمر: وماذا تقول؟

قال ابن عباس: هو أجل رسول الله أعلمه الله له. فالله عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فعلم القوم قدر ابن عباس ^(١).

صديق الوالي

أودع رجل عقداً ثميناً أمانة عند عطار، فلما طلب منه أنكر العطار، فشكاه الرجل إلى الخليفة العباسي عضد الدولة، فقال له الخليفة: اذهب واقعد أمام دكان العطار، ولا تكلمه، وافعل ذلك ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع سأمر عليك أنا وبعض رجالي، وسأنزل عن فرسي، وأسلم عليك، فرد علي السلام وأنت جالس، وإذا سألتك سؤالاً أجب علي ولا تزدد شيئاً، وإذا انصرفت ذكر العقد بالعقد.

وفي اليوم الرابع مر الخليفة على الرجل، ونزل عن فرسه، وسلم عليه، وقال له: لم أرك من مدة؟! فقال الرجل: سأمر عليك قريباً.

فلما انصرف الخليفة، نادى العطار الرجل، وقال له: صف لي العقد الذي تتحدث عنه، فوصفه الرجل فقام العطار وفتش دكانه، وأحضر العقد، فأخذه الرجل، وذهب إلى الخليفة، فأحضر الخليفة العطار، وعاقبه على خيانتة.

بيت أبي تمام

دخل الشاعر أبو تمام على الخليفة المعتصم، وقال له قصيدة يمتدحه فيها، وشبهه في أحد أبياتها بعمر بن معد يكرب في الشجاعة، وحاتم الطائي في الكرم، والأحنف بن قيس في الحلم، وإياس بن معاوية في الذكاء، وهؤلاء يضرب بهم المثل في هذه الصفات، فقال:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
فأراد بعض الحاضرين أن يوقعوا بين المعتصم وأبي تمام، فقالوا: لقد شبهت أمير المؤمنين بصعاليك العرب. فقال أبو تمام:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فإن الله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس^(١)
فأسكتهم أبو تمام بذكائه، فقد وضع لهم أن تشبيهه للمعتصم لا ينقص من قدره، فالله عز وجل قد شبه نوره بنور مصباح في مشكاة.

الشاعر واللص

أراد أحد الشعراء أن يسافر لأداء أمانة إلى صديق له، وكان للشاعر ابتنان، فقال لهما: إذا قدر الله وقُتلت في الطريق، فخذنا بئاري ممن يأتيكم بالشرط الأول من هذا البيت.

ألا أيها البنتان إن أباكما قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما
وبينما الشاعر في الطريق قابله أحد اللصوص، وهدده بالقتل، وأخذ ما معه من أموال، فقال له الشاعر: إن هذا المال أمانة، فإذا كنت تريد ما لا فإذهب إلى ابنتي، وقل لهما: ألا أيها البنتان إن أباكما وسوف يعطيانك ما تريد، ولكن اللص قتله، وأخذ ما معه، ثم ذهب إلى بلدة الرجل، وقابل البنتين، وقال لهما: إن أباكما يقول لكما: ألا أيها البنتان إن أباكما فقالت البنتان:

قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما

وصاحتا، فتجمع الجيران وأمسكوا باللص القاتل، وذهبوا به إلى الحاكم، وهناك اعترف

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٠ / ٣٣٠.

بجريمته، فقتله الحاكم جزاء فعله^(١).

الخياط الأعور

كان أحد الشعراء يسير في شوارع الكوفة، يبحث عن خياط ليخيط له ثوبًا، وبينما هو في الطريق، قابله الأصمعي فأخذه إلى خياط أعور يسمى زيدًا، فقال الخياط للشاعر: والله لأخيطنه خياطة لا تدري أعباءة هو أم قميص.

فقال الشاعر: والله لو فعلت لأقولن فيك شعرًا لا تدري أمدح هو أم هجاء، فلما أتم الخياط الثوب أخذه الشاعر، ولم يعرف ألبسه على أنه عباءة أم قميص فقال في الخياط شعرًا:

خياط لي زيد قباء ليت عينيه سواء
فاسأل الناس جميعًا أمـدح أم هجاء

فلم يدر الخياط أيدعو عليه الشاعر بالعمى، أم يدعو أن يشفى الله عينه المريضة^(٢).

القارب العجيب

تحدى أحد الملحنين -الذين لا يؤمنون بالله- علماء المسلمين في أحد البلاد، فاختاروا أذكاهم ليرد عليه، وحددوا لذلك موعدًا.

وفي الموعد المحدد ترقب الجميع وصول العالم، لكنه تأخر. فقال الملحن للحاضرين: لقد هرب عالمكم وخاف؛ لأنه علم أنني سأنتصر عليه، وأثبت لكم أن الكون ليس له إله!

وأثناء كلامه حضر العالم المسلم واعتذر عن تأخره، ثم قال: وأنا في الطريق إلى هنا، لم أجد قاربًا أعبر به النهر، وانتظرت على الشاطئ، وفجأة ظهر في النهر ألواح من خشب، وتجمعت مع بعضها بسرعة ونظام حتى أصبحت قاربًا، ثم اقترب القارب مني، فركبته وجئت إليكم.

فقال الملحن: إن هذا الرجل مجنون، فكيف يتجمع الخشب ويصبح قاربًا دون أن يصنعه أحد؟! وكيف يتحرك بدون وجود من يحركه؟! فتبسم العالم، وقال: فإذا تقول عن نفسك

(١) المستطرف من كل فن مستظرف، أبو الفتح الأبيهي، ١/١٢٦.

(٢) خزانة الأدب، الحموي، ١/٣٠٢.

وأنت تقول: إن هذا الكون العظيم الكبير بلا إله؟! فبهت الملحد.

المال الضائع

يروى أن رجلاً جاء إلى الإمام أبي حنيفة ذات ليلة، وقال له: يا إمام، منذ مدة طويلة دفنت مالا في مكان ما، ولكنني نسيت هذا المكان، فهل تساعدني في حل هذه المشكلة؟ فقال له الإمام: ليس هذا من عمل الفقيه؛ حتى أجد لك حلاً، ثم فكر لحظة وقال له: اذهب، فصل حتى يطلع الصبح، فإنك ستذكر مكان المال إن شاء الله تعالى.

فذهب الرجل، وأخذ يصلي، وفجأة، وبعد وقت قصير، وأثناء الصلاة، تذكر المكان الذي دفن المال فيه، فأسرع وذهب إليه فأحضره.

وفي الصباح جاء الرجل إلى الإمام أبي حنيفة، وأخبره أنه عثر على المال، وشكره، ثم سأله: كيف عرفت أنني سأذكر مكان المال؟ فقال الإمام: لأنني علمت أن الشيطان لن يتركك تصلي، وسيشغلك بتذكر المال عن صلاتك.

العاطس الساهي

كان عبد الله بن المبارك عابداً مجتهداً، وعالمًا بالقرآن والسنة، يحضر مجلسه كثير من الناس؛ ليتعلموا من علمه الغزير، وفي يوم من الأيام، كان يسير مع رجل في الطريق، فعطس الرجل، ولكنه لم يحمد الله. فنظر إليه ابن المبارك؛ ليلفت نظره إلى أن حمد الله بعد العطس سنة على كل مسلم أن يحافظ عليها، ولكن الرجل لم ينتبه. فأراد ابن المبارك أن يجعله يعمل بهذه السنة دون أن يخرجه، فسأله: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ فقال الرجل: الحمد لله، عندئذ قال له ابن المبارك: يرحمك الله^(١).

الرجل المجادل

في يوم من الأيام، ذهب أحد المجادلين إلى الإمام الشافعي، وقال له: كيف يكون إبليس

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٨/ ١٧٠.

مخلوقاً من النار، ويعذبه الله بالنار؟! ففكر الإمام الشافعي قليلاً، ثم أحضر قطعة من الطين الجاف، وقذف بها الرجل، فظهرت على وجهه علامات الألم والغضب، فقال له: هل أوجعتك؟

قال: نعم، أوجعتني.

فقال الشافعي: كيف تكون مخلوقاً من الطين ويوجعك الطين؟! فلم يرد الرجل وفهم ما قصده الإمام الشافعي، وأدرك أن الشيطان كذلك: خلقه الله تعالى من نار، وسوف يعذبه بالنار.

الشكاك

جاء أحد الموسوسين المتشككين إلى مجلس الفقيه ابن عقيل، فلما جلس، قال للفقيه: إني أنغمس في الماء مرات كثيرة، ومع ذلك أشك: هل تطهرت أم لا، فما رأيك في ذلك؟
فقال ابن عقيل: اذهب فقد سقطت عنك الصلاة، فتعجب الرجل وقال له: وكيف ذلك؟

فقال ابن عقيل: لأن النبي قال: «رفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ» ومن ينغمس في الماء مراراً مثلك ويشك هل اغتسل أم لا، فهو بلا شك مجنون^(١).

الخليفة والقاضي

لما مات سوار قاضي أهل البصرة دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال له: إن سواراً قد مات، وإنه لا بد لهذا المصّر من قاض، فاقبل القضاء، فقد وليتك قضاء البصرة، فقال أبو حنيفة: والله الذي لا إله إلا هو إني لا أصلح للقضاء، والله يا أمير المؤمنين لئن كنت صادقاً فما يسعك أن تستقضي رجلاً لا يصلح للقضاء، ولئن كنت كاذباً فما يسعك أن تستقضي رجلاً كاذباً، وإنه لا يصلح لهذا الأمر إلا رجل من العرب وقد أصبحت مخالفاً لك..^(٢)

(١) إغائة اللهفان، ابن قيم الجوزية، ١/ ١٣٤

(٢) السنن الكبرى، البيهقي، ١٠/ ٩٨.

براءة

تزوجت امرأة، وبعد ستة أشهر ولدت طفلاً - والمعروف أن المرأة غالباً ما تلد بعد تسعة أشهر أو سبعة أشهر من الحمل - فظن الناس أنها لم تكن مخلصاً لزوجها، وأنها حملت من غيره قبل زواجها منه.

فأخذوها إلى الخليفة ليأقبحها، وكان الخليفة حينئذ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما ذهبوا إليه وجدوا الإمام علياً موجوداً عنده، فقال لهم: ليس لكم أن تعاقبوا لهذا السبب، فتعجبوا وسألوه: وكيف ذلك؟ فقال لهم: لقد قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي أن الحمل وفترة الرضاعة ثلاثون شهراً، وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ أي أن مدة الرضاعة سنتان. إذن فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً، والحمل يمكن أن يكون ستة أشهر^(١).

القاضي والحلوى

حدث خلاف بين أحد الأمراء وزوجته حول نوعين من الحلوى؛ أيهما أطيب طعاماً؟ وذات يوم، زار أحد القضاة الأمير، فدعاه إلى تناول الطعام، وذكر له قصة خلافه مع زوجته حول نوعي الحلوى، وطلب منه أن يحكم بينهما، فقال القاضي مداعباً: أنا لا أحكم على غائب! فأحضر الخدم نوعي الحلوى، ووضعوهما أمام القاضي، فأكل من الحلوى التي يجبها الأمير، وهو يقول: نوع جميل وطيب، ثم اقترب من الحلوى التي تجبها زوجة الأمير، وأخذ يأكل منها، وهو يقول: نوع جميل وطيب، وأخذ يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة، حتى شبع. ثم قال: أيها الأمير، ما رأيت أعدل وأفصح منهما، كلما أردت أن أحكم لأحدهما قدم الآخر حجته وأدلته، فضحك الحاضرون.

ما تقول في المسكر؟

جاء رجل إلى إياس بن معاوية وقال له: ما تقول في المسكر؟ قال: حرام، قال: وما وجه حرمة، وهو لا يزيد عن كونه ثمرًا وماء غلياً على النار، وكل ذلك مباح لا شيء فيه؟ فقال:

(١) الموطأ، رواية يحيى الليثي، ٨٢٥/٢.

أفرغت من قولك؟ أبقى لديك ما تقوله؟ فقال الرجل: بل فرغت، فقال إياس: لو أخذت كفاً من ماء وضربتك به أكان يوجعك. قال: لا، فقال: ولو أخذت كفاً من تراب فضربتك به أكان يوجعك؟ قال: لا، فقال: لا، فقال: ولو أخذت كفاً من تبن فضربتك به أكان يوجعك؟ قال: لا، فقال: فلو أخذت التراب ثم طرحت عليه التبن، وصببت فوقها الماء ثم مزجتها مزجاً، ثم جعلت الكتلة في الشمس، حتى يبست، ثم ضربتك بها أكانت توجعك؟ قال: نعم، وقد تقتلني، فقال: هكذا شأن الخمر، فهو حين جمعت أجزاؤه وحُمِر، حرم^(١).

الفراصة

عن عبد الله بن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: صاحبة موسى التي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، وصاحب يوسف حيث قال: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، وأبو بكر حين استخلف عمر^(٢).

السارق الحقيقي

ذهب بعض الناس إلى قاض، وقالوا له: لقد سُرق أحد التجار، وأمسكنا هذين الرجلين، ونشك فيهما، ولا نعرف أيهما السارق، فأمر القاضي الجميع بالانتظار بحجة أنه يريد أن يشرب الماء، وطلب من خادمه أن يحضر زجاجة ماء، ولما أحضرها أخذها القاضي ورفعها إلى فمه، وبدأ يشرب، وفجأة ترك القاضي الزجاجة، فسقطت على الأرض وانكسرت، وأحدثت صوتاً مفرعاً، واندesh الحاضرون من تصرف القاضي المفاجئ، بينما أسرع القاضي نحو أحد الرجلين، وأمسكه، وقال له: أنت السارق، وأصر على ذلك، حتى اعترف الرجل ثم سأله: كيف عرفت أنني السارق؟ فقال القاضي: لأنك لم تفزع عند سقوط الزجاجة على الأرض، واللصوص قلوبهم قاسية جامدة، أما زميلك فقد خاف وارتعد، عندئذ عرفت أنك السارق.

قمة في حسن التخلص

اقتحم الخوارج مسجد الكوفة، وهم يقتلون المسلمين ويبيحون دماءهم وأموالهم

(١) صور من حياة التابعين، ص ٧٤.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ٩/ ١٦٧.

وأحاطوا بحلقة أبي حنيفة وقد جردوا سيوفهم.

واتجهوا إلى رأس الحلقة أبي حنيفة، وكان رابط الجأش كأن لم يحدث شيء، في الوقت الذي فزع الناس من حوله، فأشار أبو حنيفة إلى جلسائه بالثبات، فثبتوا، وقال رئيس الخوارج مخاطباً أبا حنيفة: ما أنتم؟

فأجاب أبو حنيفة في سرعة: نحن مستجيرون.

فقال أمير الخوارج: دعوهم وأبلغوهم ماأنهم وقرأوا عليهم القرآن، وكان الخوارج عباد نصوص، يقرؤونها ولا يفهمون روحها، فهم نظروا إلى ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦٠] وقد فطن أبو حنيفة إلى ذلك فأجابهم بما يعلم أنه يقنعهم وينجي نفسه وأصحابه من شرهم^(١).

عجباً لأولئك الخوارج الذين روعوا الآمنين، يقتلون المسلمين ويتركون المشركين المستجيرين، فلا بأس على أبي حنيفة حين يقول لهم: نحن مستجيرون.

هل تستطيع التخلص من المواقف الصعبة بحكمة؟

مروءة وذكاء

لما حج «المنصور» عرض عليه جوهر ثمين نفيس له قيمته فعرفه وقال: هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان فانتقل إلى ابنه «محمد بن هشام» وما بقى من بني أمية غيره، ولا بد لي منه، ثم التفت إلى حاجبه «الربيع» وقال: إذا صليت بالناس غداً في المسجد الحرام واجتمع الناس كلهم فأغلق الأبواب كلها ووكّل بها جماعة من الثقات وافتح باب واحدًا وقف عليه ولا تخرج أحدًا حتى تعرفه، فإذا ظفرت بمحمد بن هشام فأب به..

فلما كان الغد فعل «الربيع» ما أمره به «المنصور» وكان «محمد بن هشام» في المسجد فعرّف أنه المطلوب وأيقن أنه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب، فبينما هو على تلك الحال إذ أقبل «محمد بن زيد بن علي بن الحسين» فرآه متحيراً - وكان لا يعرفه - فتقدم إليه

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٣/٣٦٦.

وقال: يا هذا ما بالك؟ فقال: لا شيء.

فقال: خبرني ولك الأمان إن شاء الله على نفسك.

قال «محمد بن هشام»: فمن أنت؟

قال: أنا «محمد بن زيد بن علي بن الحسين» فزاد خوفه وطار عقله وتحقق من الموت، فقال له: لا تجزع فلست قاتل أبي ولا جدي وليس لي عليك ثأر، وأنا أجتهد في خلاصك إن شاء الله، ولكن تعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح خطاب، فقال له: افعل ما شئت، فطرح رداءه على وجهه وغطى به رأسه وجذبه وسحبه إلى أن قرب من «الربيع» حاجب «المنصور» وهو على الباب، فلما وقعت عين «الربيع» عليهما لطمه «محمد بن زيد» لطمات على رأسه وجاء به إلى «الربيع» وقال: يا «أبا الفضل» إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جمالاً فلما دفعت له الكراء هرب مني وذهب، فأكرى جماله لبعض أهل «خراسان» ولي عليه شهور، وأريد منك من يوصله معي إلى القاضي ويُمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين، فدفعت إليه اثنين ليوصلاه إلى القاضي، و«محمد» قابض على الرداء وقد استتر وجهه به، فخرجوا جميعاً من المسجد، فلما بعدوا عن «الربيع» قال له «محمد»: اذهب إلى حال سبيلك فقبل «محمد بن هشام» يده ورأسه وقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ثم خرج له جواهر قيمتها عظيمة، وقال: بالله يا ابن بنت رسول الله شرفني بقبول هذا.

فقال له: اذهب بمتاعك فنحن أهل البيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة، واحترس على نفسك من هذا الرجل إلى أن تخرج فإنه مجد في طلبك.

اتصال

اتصل بالأستاذ الهضيبي كيران من أعوان الملك يسألانه موعداً لزيارته، فما إن حدد لهما موعداً—وكان بعد ثلاثة أيام—حتى أخبراه بأنهما سيحضران معها صورة الملك لتعليقها في دار الإخوان.

وقبل الموعد ببعض ساعة هتف إلى من بداره يكلفه بصرف الرجلين إذا سألا عنه، ولما ذكر له بأن رد مثلها بهذه البساطة سيورطه في أزمة صارخة، أعلم بألا مفر من ردهما بأية وسيلة لأنهما سيطلبان تعليق صورة الملك بالمركز العام، وهذا لا يفعله ولو قطعت يمينه،

وألم الله أخاه أن قال له: سأرسل إليك بالمنزل ولا داعي لهذا الجفاء، وما عليك إلا أن تعتذر لهما بأن الإخوان قوم متزمتون يجرمون التصوير، وسأبادر الآن إلى رفع صور الإمام الشهيد من غرف المركز العام، حتى يستقيم الاعتذار، وما إن سمعها حتى قال: يرحم الله أباك! وأنا لهما في الانتظار.

مباحث

يقول حسن البنا: أذكر أننا في إحدى الرحلات وقفنا بالقرب من ديرب نجم على مفترق طرق زراعية متشابهة لم ندر أيها نسلك، وتلفتنا لنجد أحداً نسأله فلم نجد في الحقول ولا على رءوس هذه الطرق أحداً، وأخيراً تذكر أحدنا وهو الأخ الأمباشي محمد شلش - وكان بقسم روض الفرج إذ ذاك وقد رغب أن يصاحبنا في هذه الرحلة - أن معه صفارة البوليس فأخرجها ونفخ فيها فتسارع الخفراء من كل مكان، وجاء أقربهم فأخذ التعظيم العسكري بيندقيته وسأل مين يا فندم؟ فقال له الأخ شلش: مباحث، وأسر في أذنه كلاماً ثم قال له: أين الطريق؟ فدلنا الخفير عليه بكل أدب، وأخذنا وجهتنا إلى حيث نريد.

وقلت للأخ شلش: لماذا تكذب؟ فابتسم، وقال: ما كذبت فإنما نحن مباحث عن الحق وعن الخير وعن الدين ولو قلت غير ذلك لما رضى إلا بأن نصحبه إلى العمدة، ومن يدري كيف يتصرف معنا العمدة؟ فقد نحجز عنده إلى الصباح ونحن لا وقت عندنا لهذا كله. وكانت نكتة طريفة وتخلصاً أشد طرافة^(١).

فطنة في الإجابة

طالب بكلية الطب أثناء حديث الثلاثاء في المركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية سأل المرشد سؤالاً: يا فضيلة المرشد هل الحب حلال أم حرام؟

فأجابه - رحمه الله - قائلاً: الحب الحلال حلال والحب الحرام حرام، وذهش الطالب لهذا الرد البليغ وانضم إلى الإخوان المسلمين على الفور^(٢).

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص ٩٧.

(٢) وعرفت الإخوان، ص ٦٥.

سلامة الصدر

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

ليس أروح للمرء، ولا أطرده لمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبراً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها، وأحسن فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وذكر قول الرسول ﷺ: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر»^(١).

وإذا رأى أذى يلحق أحداً من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرج كربته ويغفر ذنبه، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة راضياً عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى.

ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها.

أما القلب المشرق فإن الله يبارك في قليله وهو إليه بكل خير أسرع^(٢).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟

قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى! قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»^(٤).

(١) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، ح(٥٠٧٣)، عن عبد الله بن غنام ؓ، قال الألباني: ضعيف.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ٦٩.

(٣) ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الورع والتقوى، ح(٤٢١٦)، قال الألباني: صحيح.

(٤) الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرفائق والورع، ح(٢٥٠٩)، عن أبي الدرداء ؓ، قال الترمذي: صحيح، ووافقه الألباني.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»^(١).

تحذيرات

قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس: فيغفر الله عز وجل لكل عبد لا يشرك به شيئاً إلا المتشاحنين، يقول الله للملائكة: ذروهما حتى يصطلحا»^(٤).

ابن العنيفة وأخيه الحسن

هذا محمد ابن الحنفية (محمد بن علي بن أبي طالب ولكن شاع نسبه إلى أمه) تحدث بينه وبين أخيه الحسن بن علي جفوة، فأرسل إليه يقول: إن الله فضلك عليّ، فأملك فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأمي امرأة من بني حنيفة، وجدك لأمك رسول الله وصفوة خلقه، وجددي لأمي جعفر بن قيس، فإذا جاءك كتابي هذا فتعال إليّ وصالحني حتى يكون لك الفضل عليّ في كل شيء، فما بلغت رسالته الحسن حتى بادر إلى بيته وصالحه (رضوان الله عليهما)^(٥).

التفاهر خير من العتاب

من جميل ما روى أن ابن السماك الواعظ المعروف وقع بينه وبين أحد إخوانه شيء فقال له أخوه: الميعاد بيني وبينك غداً نعتاب.

(١) مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس...، ح(٢٨١٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) البخاري، كتاب: الأدب، باب: الهجرة، ح(٥٧٢٦)، عن أنس بن مالك ؓ.

(٣) ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: من أم قوماً وهم له كارهون، ح(٩٧١)، قال الألباني: ضعيف بهذا اللفظ، وحسن بلفظ «العبد الآبق»، مكان «أخوان متصارمان».

(٤) أحمد، مستد أبي هريرة ؓ، ح(٧٦٢٧)، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم.

(٥) الطراز الرباني، ص ٧٧.

فقال له ابن السماك: بل بيني وبينك غداً نتغافر^(١).

وكتب أحد الشعراء لإخوانه في مثل هذا:

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منا
فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان لا بد من العتب فبالحسن^(٢)

الحسد

الحسد لا يكون إلا بسبب نعمة أنعم الله بها على الإنسان، فمن كره تلك النعمة أحب أن تزول عن أخيه المسلم فهو حاسد.

تعريف الحسد: أن تكره النعمة التي أنعم الله بها على غيرك، وتحب زوالها، ولو تمكنت من إزالتها لأزلتها، فإذا لم تكرهها ولم تحب إزالتها، ولكنك تشتهي مثلها فإن هذا يسمى غبطة: « لا حسد إلا في اثنتين » الغبطة والمنافسة محمودتان، والحسد مذموم. إلا إذا كانت النعمة في يد فاجر أو فاسق فإن حب زوال النعمة الآن ليس من أجل النعمة وإنما من أجل الفساد المترتب عليها.

قال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله، قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقول تعالى في بعض كتبه: « الحسود عدو نعمتي، يتسخط لقضائي، غير راض بقسمتي »^(٣).

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا
ما إن لي ذنباً إليه علمته
وأبى فما يرضيه إلا ذلي
وذهب أموالي وقطع لساني
إلا الحسود فإنه أعياني
إلا تظاهر نعمته الرحمن

قال الأحنف بن قيس: خمس هن كما أقول لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب ولا وفاء للملوك ولا حيلة لبخيل ولا سؤدد لسيئ الخلق^(٤).

(١) شعب الإيوان، البيهقي، ٣٢٤/٦.

(٢) الطراز الرباني، ص ٧٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٥١/٥.

(٤) شعب الإيوان، البيهقي، ٢٧٣/٥.

عاقبة حاسد

ورد أن رجلاً ترك ولدين بعد عماته، وخلف لهما مالاً لا بأس به، فاقسماه وتصرف كل منهما في حقه، فاستغله الابن الأصغر في التجارة، وأخلص لله في عمله، وكان كثير التصدق، لا يبخل على عباد الله بنعمة، فتمت تجارته، وزاد ماله، وأصبح ذا ثروة طائلة، ولم يكن له أعداء.

أما الابن الآخر، فقد سلك طريق الغواية حتى أهلك ثروته في الخمر والميسر والزنا، فنفدت أمواله، حتى صار فقيراً، لا يجد ما يقتات به، ومع ذلك كان أخوه كثير العطف عليه، يؤويه ويقدم له ما يحتاج إليه.

لكن كان هذا الشرير يحسد أخاه على ما آتاه الله من فضله، وفكر في طريقة يضع بها ثروة أخيه حتى يسير ممثالاً له في الفقر، وبذلك يطمئن قلبه، فلا يعايره الناس بفقره، فصار يجتهد في الوصول إلى حيلة ينفذ بها غرضه الدنيء حتى اهتدى إلى رجل حسود، اشتهر بحسده، وقليل من الناس من ينجو من الحسد.

ولكن هذا الحاسد ضعيف البصر، لا يكاد يرى إلا عن قرب، فذهب الأخ الأكبر إلى هذا الرجل المشهور بحسده وطلب منه حسد أموال أخيه، مقابل أجر يدفعه عند هلاك ثروته، وأخذه إلى طريق كانت تمر به تجارة أخيه، فنبه الأخ الأكبر الرجل الحسود إليها (التجارة) قائلاً: استعد فقد قربت تجارة أخي وصارت على بعد ميل واحد منا.

فقال الرجل الحسود: يا لقوة بصرك! أتراها على هذا البعد يا ليت لي بصر قوي مثل بصرك!

فشعر الرجل بألم في رأسه وأظلمت عيناه، وعمي في الحال، ومرت تجارة أخيه سالمة لم يمسه سوء.

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضهما إن لم تجدد ما تأكله

وقال الحسن: يا ابن آدم: لا تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلم

تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك، فلم تحسد من مصيره إلى النار؟^(١)

والحاسد يعتبر سائحاً على قضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض.

يا حاسداً لي على نعمتي أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي بما وهب
فأخزأك ربك بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

رجل من أهل الجنة

عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: إني لاحت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار (استيقظ من نومه) وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحترق عمله قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق^(٢).

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١/ ١٤٣.

(٢) أحمد، مسند أنس بن مالك، ح (١٢٧٢٠)، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

المصابون بالحسد

من أوصاف اليهود الحسد لقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وإبليس هو أول من حسد، وأول من عصى بهذا الذنب: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَن تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. وقايل حسد أخاه هابيل، لما خصه الله من النعم.

وهؤلاء إخوة يوسف حسدوا أخاهم يوسف لعدم قدرتهم على أن يكون لهم ما عند أخيه.

فرق بين الحسد والغبطة والمنافسة

قد جاء في المنافسة: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال رسول الله ﷺ: «لا حسد (غبطة أو منافسة) إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «مثل هذه الأربعة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل»، قال رسول الله ﷺ: «فهما في الأجر سواء»، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخط (يصرفه في شهوات نفسه) في ماله ينفقه في غير حقه، ورجل لم يؤته الله علماً ولا مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل»، قال رسول الله ﷺ: «فهما في الوزر سواء»^(٢).

فالمنافسة في الخير محمودة، وهي طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم.

(١) البخاري، كتاب: الزكاة، باب: إنفاق المال في حقه، ح (١٣٤٣)، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: النية، ح (٤٢٢٨)، عن أبي كبشة الأنباري، قال الألباني: صحيح.

الغبطة: يتمنى المؤمن أن يكون لديه ما لدى أخيه المسلم من خير وفضل، دون تمنى زوال هذا الخير أو هذا الفضل من عند أخيه صاحب هذه النعمة.

نهاية مؤلة

يروى أن رجلاً كان يجالس أحد الحكام ويصاحبه وينصحه، فحسده رجل شرير على ذلك المقام عند الحاكم، فذهب إلى الحاكم وقال له: إن هذا الذي يجالسك، ويقول ما يقول من كلام جميل، يزعم أنك أبخر (أي لفمك رائحة كريهة) فقال له الحاكم وهو ساخط: وكيف أتأكد من ذلك؟

قال له الرجل الحاسد: تدعوه إليك، فإنه إن دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر منك، فقال له الحاكم: انصرف حتى أنظر، فخرج الحاسد من عند الحاكم، وذهب إلى الرجل جليس الحاكم الذي وشى به عنده ودعاه إلى منزله، فأطعمه طعاماً فيه ثوم كثير، ثم خرج ذلك الرجل وذهب كعادته إلى الحاكم وجلس بجواره لينصحه، فقال: أيها الحاكم أحسن إلى المحسن بإحسانه، أما المسى فستكفيه إساءته، فقال له الحاكم: ادن مني. فدنا منه، فوضع الرجل يده على فمه مخافة أن يشم الحاكم منه رائحة الثوم، فقال الحاكم في نفسه: ما أرى فلاناً إلا قد صدق. وكان الحاكم لا يكتب بخطه إلا صلة أو جائزة، فكتب للرجل كتاباً بخطه إلى عامل من عماله يقول فيه: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه.

فأخذ الرجل جليس الحاكم الكتاب، وخرج به، فلقى الرجل الواشي الذي حسده.

فقال له: ما هذا الكتاب؟

فقال: خط الحاكم لي كتاباً فيه جائزة.

فقال له: هبه لي.

قال: هو لك. فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال له العامل: في كتابك أن أذبحك، فقال له الرجل الحاسد بفزع: إن الكتاب ليس لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الحاكم وتخبره بأمري.

فقال العامل: ليس لكتاب الحاكم مراجعة، فذبحه. ثم عاد الجليس الطيب إلى الحاكم

كعادته، فتعجب الحاكم، وقال له: ما فعلت بالكتاب؟

فقال الرجل الطيب: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له.

قال الحاكم له: إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر.

قال الرجل الطيب: ما قلت ذلك.

قال الحاكم: فلم وضعت يدك على فمك؟

قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه، عندئذ قال الحاكم لهذا الرجل الطيب الحكيم: صدقت. ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته^(١).

علاج مرض الحسد

يكون العلاج بالرضا بالقضاء والقدر وأخذ النفس باللوم والمجاهدة.

روى هشام بن عروة بن أبيه أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً (بستاناً) من حيطانه، قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله^(٢).

موقف عظيم

قال الملك العادل يوماً للعز بن عبد السلام: اجعلني في حل.

فأجابته العز قائلاً: أما محاللتك فإني كل ليلة أحالل الخلق وأبيت وليس لي عند أحد مظلمة، وأرى أن يكون أجري على الله ولا يكون على الناس^(٣).

مثل شائع خاطئ

امسك الخشب، خمسة في عينك، خمسة وخمسة.

مثل هذه الأقوال، لن تدفع حسداً ولن تغير من قدر الله شيئاً، بل هو من الشرك، ولا بأس من التحرز من العين والخوف مما قد تسببه من الأذى، فإن العين حق، ولها تأثير، ولكن لا تأثير لها إلا بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين...»^(٤).

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ١٨٩.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ٤/ ١٥٤.

(٣) الوقت عمار أو دمار، ٦٦/ ٢.

(٤) مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى، ح (٢١٨٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والتحرز من العين لا يكون إلا بالرقية الشرعية، عن عبد العزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك رضي الله عنه فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله؟ قال: بلى، قال: قال ﷺ: «اللهم رب الناس مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً»^(١).

ولا يجوز الاعتقاد بأن الخشب بذاته أو الخمسة والخمسة تدفع الضر من دون الله، فالله هو النافع والضار.

الاعتذار عند الخطأ

يقول أحد الإخوان: غاضبت الإمام الشهيد البنا مرة وانصرفت، وشعرت بخطئي فعدت في اليوم التالي معترراً، فلم يقبل، وأمرني بالرجوع من حيث أتيت!! فعدت كاسف البال، ولكن لست ناقماً، وما راعني إلا أنني بعد عودتي إلى منزلي، أجد باب المنزل يدق، وإذا به الإمام الشهيد ومعه أحد الإخوان ويقول: جئنا نتغدى عندك!^(٢)

كيف تصلحان غيركما؟

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان الأستاذ الهضيبي - رحمه الله - صارماً يحملك على ترك الجدال في حضرته، فإذا تخاصم لديه أخوان، بادرهما بعبارته المعروفة عنه: إذا كنتما عاجزين عن إصلاح ذات بينكما فكيف تصلحان ذات بين الآخرين^(٣).
إذا كنت تغضب من أخيك فكيف ستصلح بين الناس؟!

الصلح بين عائلتين

انتدب الأستاذ التلمساني لإجراء صلح بين عائلتين كبيرتين، ببلدة دمهوج بمركز قويسنا -منوفية-. وكانت إحدى العائلتين من الإخوان، والأخرى غير إخوانية، وبعد استعراض مسببات الخصام وأحداثه، تبين بشكل قاطع أن الحق إلى جانب العائلة الإخوانية، وحسب توجيهات فضيلة المرشد ضرب مثلاً عملياً لأخلاق الإسلام التي يعيشها الإخوان، فطلب

(١) البخاري، كتاب: الطب، باب: رقية النبي ﷺ، ح (٥٤١٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٦٩.

(٣) السابق، ص ١١٢.

من العائلة الإخوانية التنازل عن كل حقوقها، وأن يذهب رؤوس العائلة الإخوانية لزيارة العائلة الأخرى في منازلهم، ليتعلم الناس كيف يعالج الإسلام الخصومات بين الناس، ﴿وَلَمْ يَصْبِرْ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] ^(١).

ما أراد إلا الحسد

قال الشعبي: أنفذني عبد الملك إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبتة، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحييت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟

قلت: لا، ولكنني رجل من العرب، فهمس بشيء، فدفعني إلى رقعة، وقيل لي: إذا أدبت الرسائل عند وصولك إلى صاحبك أوصل إليه هذه الرقعة.

قال: فأدبت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك، ونسيت الرقعة، فلما صرت في بعض الدار، إذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟

قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت: لا، ولكنني رجل من العرب في الجملة، ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب رددت، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟ قلت: لا.

قال: اقرأها، فقرأتها فإذا فيها: عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره؟ فقلت له: والله لو علمت ما فيها ما حملتها، وإنما قال ذلك لأنه لم يرك.

قال: أتدري لم كتبها؟ قلت: لا، قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك.

قال: فبلغ ذلك ملك الروم، فقال: ما أردت إلا ما قال ^(٢).

تذكر أخي الحبيب أن أعداء الإسلام يبذلون كل ما في وسعهم من أجل التفريق بين المؤمنين.

(١) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١٣٤.

(٢) الإمام أبو حنيفة، ص ٢٨.

لفتة طيبة

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان الإمام الشهيد إذا أخذ يؤاخذك في رفق، يشعرك بالخطأ دون أن يجرجك، في ساعات الرضا كان يناديني باسمي المجرد يا عمر، فإذا كان هناك ما يستدعي المؤاخذة ناداني: يا أستاذ عمر، فأشعر على الفور بأن هناك ما لا يرضيه فأسرع قائلاً: ليه هو حصل حاجة؟ ما هو أنا عمر برضه، فتفزع شفتاه عن البسمة التي تسترضي كل غاضب، ثم يبدأ في المؤاخذة بعتاب محبب إلى النفوس^(١).

اجعل عتابك لإخوانك برفق ويحب، وكن سليم الصدر، فهدفك توحيد الجهود وتجميع الأمة ونشر الإسلام.

أمثلة رائعة

صعد معاوية المنبر وشرع في خطبته، وكان قد حبس عن الناس عطاياهم شهرين، فناداه أبو مسلم وقال: يا معاوية، إن هذا المال ليس بك ولا مال أبيك وأمك، فبأي حق تحبسه عن الناس؟! فبدا الغضب على وجه معاوية وجعل الناس يترقبون ما عسى أن يكون منه، فما كان منه إلا أن أشار إلى الناس: أن امكثوا في أماكنكم ولا تبرحوها، ثم نزل عن المنبر وتوضأ، وأراق على نفسه شيئاً من الماء ثم صعد المنبر، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: إن أبا مسلم قد ذكر أن هذا المال ليس بيالي ولا مال أبي وأمي، وقد صدق أبو مسلم فيما قال، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»^(٢)، أيها الناس: اغدوا على أعطيائكم على بركة الله عز وجل^(٣).

جزى الله أبا مسلم الخولاني خير الجزاء، فقد كان مثلاً فذاً في الصدع بكلمة الحق، ورضي الله عن معاوية بن أبي سفيان أجزل الرضا، فقد كان نموذجاً رائعاً في الانصياع لكلمة الحق.

(١) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٦٨.

(٢) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: ما يقال عند الغضب، ح (٤٧٨٤)، عن عطية بن سعد السعدي رضي الله عنه، قال الألباني: ضعيف.

(٣) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٣٠/٢.

سلامة الصدر عند قبول النصيحة

قال قتادة: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود، فإذا امرأة بارزة على الطريق، فسلم عليها، فردت عليه -أو سلمت عليه- فرد عليها.

فقالت: هيه يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرًا في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فأتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت.

فبكى عمر، فقال الجارود: هيه، لقد تجرأت على أمير المؤمنين وأبكيته.

فقال عمر: دعها، أما تعرف هذه؟ هذه خولت بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سهاواته، فعمر والله أخرى أن يسمع كلامها^(١).

هل تقبل النصيحة من إخوانك بصدر رحب،

وإن كانت ممن هو أقل منك وأصغر؟

حتى مع الخصوم

كان صلاح الدين الأيوبي يقف بجوار خصمه أمام القضاء دون أن يرى في ذلك حرجًا أو غضاظة؛ لأن الحق في نظره أحق أن يتبع، وقد حدث أن ادعى تاجر يدعى (عمر الخلاطي) على صلاح الدين أنه أخذ منه أحد مماليكه ويدعى (سنقر)، واستولى على ما كان لهذا المملوك من ثروة طائلة بدون وجه حق، وعندما تقدم التاجر المدعي بظلامته إلى القاضي ابن شداد، أظهر صلاح الدين حلمًا كبيرًا ورضي أن يقف موقف الخصم من صاحب الدعوى، وأحضر كل من الطرفين من لديه من شهود، وما لديه من أدلة يثبت بها رأيه، حتى اتضح في النهاية -عند القاضي- كذب الرجل وادعاؤه الباطل على صلاح الدين، ومع كل هذا رفض صلاح الدين أن يترك المدعي يخرج من عنده خائبًا فأمر له بخلعة ومبلغ من المال، ليدل على كرمه في موضع المؤاخظة مع القدرة^(٢).

احرص على قلوب إخوانك قبل حصولك على حَقِّك.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ٦/ ٦٢٠.

(٢) صلاح الدين الأيوبي، عبد الله ناصح علوان، ص ١١٢.

من شيم الكرام

أوقع أعداء الإسلام بين ابن تيمية وسلطان مصر والشام، فنُقل إلى مصر وتمت محاكمته بحضور القضاة وكبار رجال الدولة، فحكموا عليه بالحبس سنة ونصفاً في القلعة، ثم أخرجوه من السجن، وعقدوا جلسة مناظرة بينه وبين منافسيه وخصومه، فكسب ابن تيمية المناظرة، ورغم ذلك لم يتركه الخصوم، فنفي إلى الشام، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر وحُبس، ثم نقل إلى الإسكندرية حيث حبس هناك ثمانية أشهر، واستمرت محنة «ابن تيمية» واضطهاده إلى أن عاد إلى القاهرة حيث قرر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون براءته من التهم الموجهة إليه، وأعطاه الحق في عقاب خصومه الذين كانوا السبب في عذابه واضطهاده، لكن الإمام ابن تيمية فضل أن يعفو عنهم!! وهكذا تكون شيم الكرام^(١).

خلق رفيع

يقول الحاج أحمد أبو شادي: حدث أن كنت عائداً من دورة المياه بعد أن قضيت حاجتي، فلمحت الأستاذ عمر متجهاً إلى الدورة وهو يسرع الخطى، فألقيت عليه التحية فلم أتلّق منه ردّاً، وفسرت الأمر بأنه لم يسمعني بالتأكيد، ولما عدت إلى العنبر بعد أكثر من ساعة أخبرني رفاقي أن الأستاذ عمر جاء يسأل عني أكثر من مرة، وأنه كان يبدو قلقاً، وأكد عليهم إبلاغي في أول فرصة، وما أن علمت برغبته حتى سارعت إلى لقائه، وأشد ما كانت دهشتي حين رأيته وكان جالساً فنهض واقفاً يضمّني إلى صدره ويعتذر في حياء جمّ دونه حياء العذارى، مؤكداً لي أنه لم يتمكن من رد التحية بسبب هجمة البول التي كانت كثيراً ما تهاجمه، ورحت بدوري أهون عليه الأمر ذاكرة أنني والله ما ظننت به إلا خيراً، ولا أتصور أن مثله تفوته هذه البديهة، أو أنه قطعاً لم يسمعني، ولكن الرجل ظل ولفترة طويلة كلما لقيني يبادرني معتذراً^(٢).

(١) أعلام المسلمين، ص ١٢٥.

حفظ اللسان

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قلت: يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»^(١).

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»^(٢).

وعن عبد الله الثقيفي رضي الله عنه قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعصم به، فقال: «قل ربّي الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ قال: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإنك إن استقممت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٥).

ومن الآثار:

كان أبو بكر الصديق يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان، وقال طاووس: لساني سبع إن أرسلته أكلني^(٦).

وقال سفيان الثوري: لأن ترمي إنساناً بسهم أهون من أن ترميه بلسانك، فإن السهم قد

(١) الترمذي، كتاب: الزهد، باب: حفظ اللسان، ح (٢٤٠٦)، قال الترمذي: حسن، وقال الألباني: صحيح.

(٢) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، ح (٦١٠٩).

(٣) ابن ماجه، الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، ح (٣٩٧٢)، قال الألباني: صحيح.

(٤) الترمذي، كتاب: الزهد، باب: حفظ اللسان، ح (٢٤٠٧)، قال الألباني: حسن.

(٥) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، ح (٦١١٠).

(٦) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ١١١.

يخطئه، واللسان لا يخطئه.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: أنصف أذنك من فيك، فإنها جعل لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم ^(١).

وقيل لبكر بن عبد الله المزني: إنك لتطيل الصمت؟

فقال: إن لساني سبع، إن تركته أكلني ^(٢).

قد أفلح الساكت الصموت كلامه قد يعد قوت
ما كل نطق له جواب جواب ما يكره السكوت

آفات اللسان

١ - الكلام فيما لا يعينك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه» ^(٣).

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، قل خيرًا تنغم أو اسكت عن سوء تسلّم، إن من شأن الساعي إلى الكمال على الطريق أن يقبل على كل أمر ينفعه، فالسبل المفضية إلى ما رامه وأمله، يجتنب كل أمر يعوقه ويقطع سيره، ويتأبى بنفسه عن كل ما من شأنه أن ينزل قدره، ويقضي على وقته وحياته ورأس ماله، فتراه مترفعًا عن اللغو واللغو، قد شغل نفسه بما يفيدها في حياته؛ إن رأى أمرًا من اللغو أعرض عنه وأكرم نفسه عنه، إذ زمنه عنده ثمين، فلا متسع عنده للغو أو للغو مهين.

مجالسهم مثل الرياض أنيقة لقد طاب منها اللون والريح والطعم
وقال مالك بن ضيغم: جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر، فقلنا: هو نائم، فقال: أنوم في هذه الساعة؟ أهذا وقت نوم، ثم ولى منصرفًا، فأتبعناه رسولاً، فقلنا: قل له: ألا نوقظه لك؟ قال: فأبطأ علينا الرسول، ثم جاء وقد غربت الشمس، فقلنا: أبطأت جدًا، فهل قلت له؟ قال: هو كان أشغل من أن يفهم عني شيئًا، أدركته وهو يدخل المقابر، وهو يعاتب

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، ص ٢٠٣.

(٢) أدب المجالسة، ابن عبد البر، ٧٨.

(٣) الترمذي، كتاب: الزهد، ح (٢٣١٧)، قال الترمذي: غريب، وقال الألباني: صحيح.

نفسه، ويقول: قلت: نوم هذه الساعة؟ أفكان هذا عليك؟ ينام الرجل متى شاء، وقلت: هذا وقت نوم؟ وما يدريك أن هذا ليس بوقت نوم؟ تسألين عما لا يعنيك، وتكلمين بما لا يعنيك، أما إن الله عليَّ عهدًا لا أنقضه أبدًا ألا أوسدك الأرض لنوم حولاً، إلا لمرض حائل أو لذهاب عقل زائل، سوء لك، أما تستحيين؟ كم توبخين؟ وعن غيك لا تنتهين؟ قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته^(١).

٢- فضول الكلام من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع

قال مجاهد: سمعت ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: خمس لمن أحب إلي من الذهب الموقوفة: لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر.

- ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً.

- ولا تمار حليماً ولا سفيهاً.

- واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به.

- واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإساءة^(٢).

٣- التفحش وبذاءة اللسان

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والفحش؛ فإن الله تعالى لا يحب الفاحش ولا المتفحش...»^(٣).

قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٤).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»^(٥).

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٣/ ٣٦٨.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ١١٣.

(٣) صحيح ابن حبان، ١١/ ٥٨٠، قال شعيب الأرناؤوط: حسن.

(٤) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ح(٤٨)، عن عبد الله بن مسعود.

(٥) البخاري، كتاب: الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه، ح(٥٦٢٨).

قال أبو الدرداء: إن ناقدت الناس ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم أدركوك، فالعاقل من وهب نفسه وعرضه ليوم فقره، وما تجرع مؤمن جرعة أحب إلى الله عز وجل من غيظ كظمه، فاعفوا يعزكم الله، وإياكم ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام^(١).

وقال عبد الله بن مسعود: أعظم الخطايا الكذب، وسب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن صبر على الرزية يعقبه الله خيرًا منها^(٢).

٤ - اللعن

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: قال رسول الله: «لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار»^(٣).

وعن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعتها، فسمع ذلك ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة» قال عمران: فكأنني أراها تمشي في الناس وما يعرض لها أحد^(٤).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن اللعائن لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة»^(٥).

واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى. واللعن ثلاث مراتب:

الأولى: اللعن بالوصف العام، قولك: لعنة الله على الكافرين والفاسقين.

الثانية: اللعن بأوصاف أخص، قولك: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس والظلمة وآكلي الربا.

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٦٣٤.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١/ ١٣٨.

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب اللعنة، ح (١٩٧٦)، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٤) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح (٢٥٩٥).

(٥) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح (٢٥٩٨).

الثالثة: اللعن للشخص المعين وفيه خطر كبير كقولك: لعنة الله على زيد أو هو كافر إلا ما ثبتت لعنته شرعاً كفرعون وأبي جهل.

قال رسول الله ﷺ: « لا يرمي رجل رجلاً رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا الأموات، فإنهم أفضوا إلى ما قدموا»^(٢).

٥ - الغيبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كل المسلم على المسلم حرام؛ ماله وعرضه ودمه...»^(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب أخيك فاذكر عيوبك^(٤).

وقال الحسن رضي الله عنه: يا ابن آدم، تبصر القذى في عين أخيك ولا تبصر الجذال معترضا في عينك^(٥).

الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما الغيبة؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « ذكرك أخاك بما يكره » قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»^(٦).

الغيبة لا تقتصر على اللسان

عن أبي حذيفة أن عائشة رضي الله عنها حكّت امرأة عند النبي ﷺ ذكرت قصرها فقال

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن، ح (٥٦٩٨).

(٢) البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما ينهى من سب الأموات، ح (١٣٢٩).

(٣) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، ح (٤٨٨٢)، قال الألباني: صحيح.

(٤) شعب الإيمان، البيهقي، ٣١١ / ٥.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، ٥٢٣ / ١٣.

(٦) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، ح (٢٥٨٩).

النبي ﷺ: «قد اغتبتها»^(١).

ومن ذلك المحاكاة يمشي متعرجاً فهو أشد من الغيبة.

جاء في صحف إبراهيم عليه السلام: على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه^(٢).

وقال لقمان لابنه: يا بني من رحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير يغنم، ومن فعل الشر يأنم، ومن لم يملك لسانه يندم^(٣).

ويروى أن رجلاً اغتاب الحسن البصري، فما كان منه إلا أن أرسل إليه بطبق من الحلوى قائلاً له: بلغني أنك نقلت حسناتك إلى ديواني وهذه مكافأتك^(٤).

احذروا الغيبة

كان الأستاذ الهضيبي لا يصرح برأيه في جمال عبد الناصر، وكان يحسب للغيبة ألف حساب، وكان يحذر من الخوض في أعراض الناس ويقول: هل نسيتم أن الغيبة من الكبائر؟^(٥)

ومر عمرو بن العاص رضي الله عنه على بغل ميت قد انتفخ، فوقف عليه وقال: والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ جوفه خير من أن يغتاب أخاه.

وقال سفيان الثوري: إياك والغيبة، إياك والوقوع في الناس، فيهلك دينك^(٦).

قصة مؤثرة

في عهد الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - كانت امرأة مغسلة تغسل امرأة ميتة، وبينما هي تصب الماء عليها إذا بها وهي تمر يدها عليها تقول: كثيراً ما زنى هذا الفرج، فماذا حدث؟

(١) أحمد، من حديث عائشة رضي الله عنها، ح (٢٥٠٩٣)، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠ / ٢٥.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤ / ٥٥.

(٤) أعلام المسلمين، ص ٢١.

(٥) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١٠٩.

(٦) التوبخ والتنبه، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفاروق، القاهرة، ص ٨٢.

لقد التصقت يد المغسلة بجسد المرأة الميتة، وكأن بينه وبين يد تلك المرأة مغناطيسية شديدة الجذب.

فماذا تفعل المرأة المغسلة؟ وماذا يفعل من حولها؟ إنهم يريدون أن يدفنوا الميتة، فما كان منهم إلا أن قاموا باستشارة العلماء، فمن قائل: تقطع يد المغسلة؛ لأن حرمة الميت كحرمة الحي، ومن قائل: نقطع شيئاً من جسد الميتة فالحي أولى من الميت، واضطربت الآراء، لكنهم قالوا: كيف نفتي وإمامنا مالك بين أظهرنا؟!

ثم ذهبوا إلى الإمام مالك، فقال لهم: قولوا للمغسلة: ماذا قلت في حق الميتة؟ فقالت المغسلة: قلت: كثيراً ما زنى هذا الفرج.

فقال الإمام: هذا قذف، وأرى أن تجلد المرأة المغسلة ثمانين جلدة من وراء حجاب، وبالفعل جلدوا المغسلة فانفصلت يدها عن جسد الميتة^(١).

إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر، وإن لم تستطع أن تنفع الناس فأمسك شرك عنهم، وإن كنت لا تستطيع الصوم، فلا تأكل لحوم الناس.

واوحى الله إلى موسى: أن من مات تائباً من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرّاً عليها كان أول من يدخل النار^(٢).

ومر عيسى مع الحوارين على جيفة كلب. فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا؟! فقال عيسى: ما أشد بياض أسنانه! (يعظهم وينهاهم عن الغيبة)^(٣).

الأعذار المرخصة في الغيبة

١ - غيبة أهل الفساد:

تقص السيدة عائشة رضي الله عنها موقفاً يدل على جواز غيبة أهل الفساد فتقول: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «اأذنوا له، ببس أخو العشيرة أو ابن العشيرة» فلما

(١) مواقف إيمانية للنساء: ص ٢٩٦.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ١٤٢.

(٣) السابق، ٣/ ١٤٣.

دخل الرجل ألان له الكلام. قالت عائشة: يا رسول الله، قلت له الذي قلت، ثم ألنت له الكلام؟ فقال: «أي عائشة، إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه»^(١).

٢- ذكر مساوئ الزوج:

تقول فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا جهم، ومعاوية خطباني، فقال: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامة بن زيد»، فكرهته، ثم قال: «أنكحي أسامة بن زيد» فنكحته، فجعل الله فيه خيراً^(٢).

٣- الغيبة عند الاستفتاء والتظلم:

هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله عنه قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، فأحتاج أن آخذ من ماله، قال ﷺ: «خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف»^(٣).

فقد ذكرت هند صفة ذميمة في شخص زوجها في غيبته، ولم ينكر عليها الرسول ﷺ؛ لأجل أنها في الحكم الشرعي لذلك.

٤- موقف أهل البدع:

قال الحسن البصري: ليس في أصحاب البدع غيبة^(٤).

وقال سفيان بن عيينة: ثلاث ليس لهم غيبة: الإمام الجائر، والفاسق المعلن بفسقه، والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته^(٥).

وجمع ابن أبي شريف هذه الستة في بيتين من الشعر:

الذم ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرف ومحذر
والمظهر فسقاً ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من اغتياح أهل الفساد والريب، ح (٥٧٠٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، كتاب: الأحكام، باب: القضاء على الغائب، ح (٦٧٥٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) شعب الإيثار، البيهقي، ٣١٩/٥.

(٥) السابق، ٣١٨/٥.

كفارة الغيبة: «اللهم اغفر لنا وله».

جاء أن رجلاً قال للحسن البصري: بلغني أنك تغتابني؟ فقال: ما بلغ قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي^(١).

٥ - إفشاء السر:

قال رسول الله ﷺ:

«إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة»^(٢).

يقول ابن الجوزي: رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر عاتبوا من أخبروا به، فواعجباً كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً ثم لا موا من أفشاه، ولعمري إن النفس يصعب عليها كتم الشيء، وترى يافشائه راحة، خصوصاً إذا كان مرضاً أو همّاً أو عشقاً، وهذه الأشياء في إفشائها قريبة، إنما اللازم كتمانها احتيال المحتال فيما يريد أن يحصل به غرضاً، فإن من سوء التدبير إفشاء ذلك قبل تمامه، فإذا ظهر بطل ما يراد أن يفعل، ولا عذر لمن أفشى هذا النوع، وقد كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً ورى بغيره^(٣).

٦ - الوعد الكاذب: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(٤).

٧ - الكذب:

قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب»^(٥).

فليحذر المسلم من الكذب مهما كان حتى لا يدخل في دائرة النفاق. ومن أنواع الكذب:

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٣٦/١٦.

(٢) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في نقل الحديث، ح(٤٨٦٨)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال الألباني: حسن.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٤) أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح(١٠٩٣٨)، تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم.

(٥) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في المعارض، ح(٤٩٧١)، عن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه، قال الألباني: ضعيف.

كذب الحكام على الشعوب

مثل أن يذكر بعض الحكام بأن هناك تنمية اقتصادية كبيرة، وأنه قد تم القضاء على الفقر، وسيتم توفير فرص العمل لكل الشباب و... ثم لا يجد الشعب شيئاً من هذه الأمور وينخدعون بها يقال.

الكذب في دين الله

قال رسول الله ﷺ: «إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

فعلى كل مسلم أن يتأكد من صحة أحاديث النبي ﷺ.

الكذب على الأطفال

لا تكذب على أولادك بحجة إسكاتهم أو ترغيبهم، فإن ذلك يعودهم على الكذب عن طريق المحاكاة والقذوة السيئة.

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعنتني أُمِّي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها الرسول ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»^(٢)؛ لأن الإسلام يوصي أن نغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة»^(٣).

علّم أولادك عدم التفريق بين أنواع الكذب، فتقول: هذه كذبة بيضاء لا تؤثر، وألا يضحك زملاءه بنكتة كاذبة يسخر فيها من أحد، ويتعلم الاعتراف بالخطأ فلا يكذب على المدرس مثلاً إن لم يقم بعمل الواجب ويقول: عندي واجبات كثيرة أو يقول: كنت أذاكر لإخوتي الصغار.

(١) البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت، ح (١٢٢٩)، عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه.

(٢) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في التشديد في الكذب، ح (٤٩٩١)، قال الألباني: حسن.

(٣) أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح (٩٨٣٥)، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

من المقولات الخاطئة

إن الله يحب عبده الفشار، ويكره عبده المكار. أو يكذب الناس ويقولون: كذبة إبريل.
ومن الناس من يعود أبناءه على الكذب فيجلس في البيت وإذا سأل عليه شخص قال
لابنه: اذهب فقل له: إن أبي غير موجود بالمنزل، وبهذا يتعود الطفل الكذب.

الكذب في المدح

المدح مدرجة إلى الكذب؛ عن أبي بكرة قال: أثنى رجل على رجل عند رسول الله فقال:
«ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» ثم قال: «من كان منكم مادحاً أخاه لا
محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان
يعلم ذلك منه»^(١).

الكذب في الموعد

كان رسول الله ﷺ يقدس الكلمة التي يقولها، وذلك إشارة إلى الرجولة الكاملة فعن
عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية، فوعده
أن آتية بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاثة، فجئت فإذا هو في مكانه فقال: «يا فتى لقد
شقت علي!! أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك» (وكان يأتي في الموعد المضروب بينهما)^(٢).

فإذا أعطيت موعداً فلا بد أن تكون صادقاً في الالتزام به حفاظاً على أوقات الآخرين،
ولا تعتذر إلا لضرورة ويكون الاعتذار مسبقاً.

الكذب في البيع والشراء

قال رسول الله ﷺ: «إن التجار هم الفجار» فقليل: يا رسول الله، أوليس الله قد أحل
البيع؟ قال: «بلى ولكنهم يحدثون فيكذبون، ويحلفون فيأثمون»^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي

(١) البخاري، كتاب: الشهادات، باب: إذا زكى رجل رجلاً كفاء، ح (٢٥١٩).

(٢) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في العدة، ح (٤٩٩٦)، قال الألباني: ضعيف الإسناد.

(٣) أحمد، من حديث عبد الله بن شبل رضي الله عنه، ح (١٥٥٦٩)، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح، إسناده قوي.

لا يعطي شيئاً إلا مئة، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»^(١).

ومن مظاهر الكذب في البيع والشراء في الأسواق: الإعلانات التي تعطي معلومات غير صادقة، والأبيان المغلظة بأن السلعة ممتازة ولا يوجد أفضل منها أو بعدم وجود عيوب بها.

الكذب عند الضحك

كان رسول الله ﷺ يمزح مع أصحابه ولا يقول إلا صدقاً، جاء رجل يسأله أن يحمله على بعير، فقال له الرسول: «إني حاملك إلا على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله، وماذا أصنع بولد الناقة؟! انصرف ذهنه إلى الصغير، فقال: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟»^(٢).

الكذب في الشهادة

من ينتخب شخصاً في الانتخابات وهو لا يستحق فقد كذب في الشهادة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، والحيف في الشهادة من أشنع الكذب.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، قلنا: بلى، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»^(٣).

لأن شهادة الزور تؤدي إلى الفساد الاجتماعي والاقتصادي، ولقد انتشرت شهادة الزور في الواقع المعاصر، حتى أصبحت تجارة أمام المحاكم، يأتي الظالم برجلين من عملاء الزور، ويقول لهما: اشهدا بكذا وأنا أعطيكما كذا وكذا، ويذهب الرجلان ويقفان أمام القاضي ويقسمان بأنهما سيقولان الحق، ثم يشهدان زوراً، ومن نماذج شهادة الزور في عصرنا: شهادات توثيق الميلاد أو الخبرة المزورة، وشهادات التوصية للعمل أو الترقية المزورة، والتزوير في الانتخابات وفواتير البيع والشراء المزورة.

جواز الكذب

يقول ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواضع خير من الصدق^(٤).

(١) مسلم، كتاب: الإتيان، باب: بيان غلط تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة، ح (١٠٦).

(٢) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في المزاح، ح (٤٩٩٨)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الألباني: صحيح.

(٣) البخاري، كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، ح (٥٦٣٢)، عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٣٧/٣.

وعن أم كلثوم رضي الله عنها قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: «الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها»^(١).

٨- النميمة

قال بعض الحكماء: النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء، ومن واجهك فقد شتمك، ومن نقل إليك، فقد نقل عنك، والساعي بالنيمة كاذب لمن يسعى إليه، وخائن لمن يسعى به^(٢).

وقال الشاعر:

أحفظ لسانك لا تؤذ به أحداً من قال في الناس عيب قيل فيه بمثله
يقول ابن الجوزي: اتق الله، واشتغل بعيوبك عن عيوب الناس، ولا تكن كمثل الذباب الذي لا يعرج على المواضع السليمة من الجسد، ولا ينزل عليها، وإنما يقع على القروح فيدميها.

فمن بحث عن مساوئ الناس، واتبع عوراتهم، واشتغل بعيوب غيره، وترك عيبه، سلط الله تعالى عليه من يبحث في عيبه، ومساوئه ليشهرها، ويتبع عوراته ويبيدها وينشرها.

الصمت نفع والكلام مضرة فلرب صمت في الكلام شفاء
فإذا أردت من الكلام شفاء لسقام قلبك فالقرآن دواء
يقول صاحب الإحياء: كل من حُملت إليه نميمة وقيل له: إن فلاناً قال فيك كذا وكذا فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النمام كذاب وفاسق، وهو مردود الشهادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦].

(١) أحمد، من حديث أم كلثوم بنت عقبة ؓ، ح (٢٧٣١٦)، تعليق شعيب الأرناؤوط: هذا حديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، وإنما هو مدرج من كلام الزهري.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ١/ ٢٩٤.

الثاني: أن ينهأ عن ذلك وينصحه ويقبحه؛ لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

الثالث: أن يبغضه في الله؛ لأنه يبغض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: ألا تظن بأخيك الغائب سوءاً لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث للتحقق، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: لا ترضى لنفسك ما نهى الناس عنه، ولا تحك نيمته فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نماماً ومغتتاباً، وتكون قد أتيت لما عنه نهيت.

وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: عفوا يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً^(١).

ومر رسول الله ﷺ بقرين فقال: «يعذبان وما يعذبان في كبير، وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة»^(٢).

وقال أحد الحكماء: لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك، ومن اغتاب عندك غيرك، أن يغتابك عند غيرك^(٣).

وقال عبد الرحمن بن عوف: من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها^(٤).

وقال الخليل بن أحمد: من نم لك نم عليك^(٥)، وهذه إشارة إلى أن النمام يجب أن

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ١٥٦.

(٢) البخاري، كتاب: الأدب، باب: النميمة من الكبائر، ح (٥٧٠٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، ص ٤٩.

(٤) المستطرف من كل فن مستظرف، الأبيشي، ١/ ١٩٥.

(٥) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/ ١٩٥.

يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة؟ وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢].

وجاء عن علي أن رجلاً سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناً، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقتلك أقلناك. فقال: أقلنا يا أمير المؤمنين^(١).

وقال رجل لعمر بن عبيد: إن الأسواري ما يزال يذكر في قصصه بشر، فقال عمرو: يا هذا ما رعت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين^(٢).

شر المنام عظيم

وعلى الجملة فشر المنام عظيم ينبغي أن يتوقى.

قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النيمة.

قال: رضيت، فاشتره، فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك وهو يريد أن يتزوج عليك، فخذى الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وترى أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين^(٣).

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٥٧/٣.

(٢) السابق.

(٣) السابق، ١٥٨/٣.

الدعوة إلى الله

أول داع إلى الله هو الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿[الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

جميع الرسل دعوا إلى الله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هذه الآية الكريمة أفادت أمرين:
أولاً: خيرية هذه الأمة.

ثانياً: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف وبخلاف المنافيين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].
المكلف بالدعوة كل مسلم ومسلمة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وتؤدي الدعوة بصورة فردية وبصورة جماعية، قال تعالى: ﴿وَلَنَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «المقصود أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه».

وأشار أبو حنيفة إلى ضرورة التجمع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه الجهود الجماعية لتحقيق هذا المقصود.

مهمة المسلم

يقول البنا: إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى في آية واحدة في كتابه، ورددتها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات، فأما تلك الآية التي اشتملت على مهمة المسلم في الحياة فهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُمُوا وَاَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ

وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج، ٧٧، ٧٨].

هذا كلام لا لبس فيه ولا غموض، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لو اضح كالصبح ظاهر كالنور، يملأ الآذان، ويدخل على القلوب بغير استئذان، أفلم يسمعه المسلمون قبل الآن؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقبالاً لا تعي ولا تدبر؟

يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التي هي لب العبادة وعمود الإسلام وأظهر مظاهره، وأن يعبدوا الله لا يشركون به شيئاً، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا، وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاهم بذلك عن الشر، وإن من أول الخير أن تترك الشر، فما أوجز وما أبلغ! ورتب لهم على ذلك النجاح والفلاح والفوز وتلك هي المهمة الفردية لكل مسلم التي يجب أن يقوم بها بنفسه في خلوة أو جماعة^(١).

نصيحة

يقول البهي الخولي: اعلم أن مثل الداعية القوي المؤمن كمثل السيل المنحدر من شواحق الجبال.. فيه منه قوة الاندفاع، وفيه منه للناس سر الانتفاع، ولكن السيل لا يعجل إلى العقبات أو الهضاب فيمزقها، بل يدور حولها ويحيط بأطرافها، ويمضي إلى ما خلفها، ويتركها معزولة عما عداها، ثم يعلو ماؤه ويغزر فيضه، فيرتفع على جوانبها بالتدرج حتى يغطي قممها، ويخضع لسلطانه براءوسها الشاخة. فرسالتك أيها الداعية قد نزلت من الماء لا من الجبل، وأنت سر اندفاعها وانتفاع قلبها، وأنت الذي يجب أن تسبح بدعوتك في كل مكان، فإذا صادفتك عقبة من قانون عتيد، أو شخصية طاغية، فلا تعرض لها بغير ما يعرض لها السيل، ادعها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تقف عندها فذلك خرق وجهل، بل افعل ما يفعل السيل؛ در حولها، وامض في سبيلك إلى ما وراءها، وادع الناس إلى جانبك حتى تغدو

منعزلة عما عداها، ويقنعها الواقع بقوة أمر الله، أو يغيبها الله عن النظر^(١)

الأعداء يخططون

يقول المبشر تكلي: يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيرا من المسلمين قد زرع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلم اللغات الأجنبية.

ويقول زويمر زعيم المبشرين النصاري: ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب^(٢)

الفعل قبل القول

يقول سيد قطب: الدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، لا في الدعوة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها، فهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً، ويشاهدون فعلاً قبيحاً، فتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعله الإيمان، ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين^(٣)

يقول أبو العتاهية:

يا واعظ الناس قد أصبحت متها	إذا عبت منهم أمورا أنت تأتيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها	وأنت أشد منهم رغبة فيها
كالملبس الثوب من عري وعورته	للناس بادية ما إن يواربها

الرسول قدوة في الدعوة

روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي

(١) تذكرة الدعوة، ص ٢٥٣ بتصرف.

(٢) أخلاق الدعوة، ص ١٤٠

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦٨ / ١

الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى». فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا علي، إذا لم تسلم فاكمث»، فمكث على تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله، حتى جاءه فقال: ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد»، ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكنتم إسلامه، ولم يظهر به^(١).

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب، مستخفيا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ فقال: «أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله رسولا إلى العباد وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني وأعانني عليه»، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت^(٢).

حب الخير للناس

يقول الحاج أحمد أبو شادي: لعب الأخ إبراهيم دورا غاية في الذكاء.. دور المسلم الذي يتمنى الخير للناس جميعا، كيف وقد ذاق حلاوة الإيمان في ظل الجماعة أن ييخل على رفيق عمره بهذه المحنة؟ إنه يعلم مدى إتقاني لتلاوة القرآن الكريم وانتهازها فرصة ليصعد بي إلى المنصة، فأسر إلى الأخ المشرف على تنظيم الحفل بشيء، وبعدها انبعث صوت الميكروفون: القرآن الكريم من الأخ أحمد أبو شادي.. أخ.. وكانت مفاجأة.. إيه الورطة دي يا عم

(١) السيرة النبوية، ابن إسحاق، ص ٤٤.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ٨٦/٢.

إبراهيم؟ فكلمة أخ كانت إذ ذاك ثقيلة على نفسي وسبحان الله بعد أن من الله علي بهذه الدعوة صارت هذه الكلمة وساما أفخر به ولا أود أن لي بها ألقاب سلاطين الدنيا.. ولم أر مفرا من الإذعان، وقمت متاثلا واعتليت المنصة وشرعت في تلاوة صدر سورة الأنفال وفيها ذكر غزوة بدر، حتى أتيت قول الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۖ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥، ٦] وأحسست أنني من الفريق الكاره الذين ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(١).

بانع أشرطة الفيديو:

قصة يرويها صاحبها فيقول: أنا شاب أردني، قدمت إلى السعودية (تبوك) بحثا عن عمل، ولم أكن آنذاك مسلما حقيقيا، وإنما كنت مسلما بالورثة كحال كثير من المسلمين في هذا الزمن العصيب. في البداية عملت في أحد المطاعم، ثم طلب مني صاحب المطعم أن أعمل في محل له لبيع أشرطة الفيديو، وما أدراك ما أشرطة الفيديو! وما فيها من الخلاعة والمجون، وفي إحدى الليالي، دخل علي شاب مشرق الوجه، بهي الطلعة، تبدو عليه علامات الصلاح والالتزام. وعجبا، ماذا يريد هذا الشاب؟ قلتها في نفسي. مد هذا الشاب يده وصافحني بحرارة، وقد علت محياه ابتسامة رائعة، تأسر القلب، وتزيل الوحشة، وتحطم الحواجز النفسية التي كثيرا ما تقف حائلا تمنع وصول الخير إلى من هم في أمس الحاجة إليه، ثم نصحني نصيحة موجزة، وحذرنى من عاقبة مثل هذا العمل، وما يترتب عليه من إفساد للمجتمع، ونشر للرذيلة بين أفرادهم، وأن الله سيحاسبني على ذلك يوم القيامة، وبعد أن فرغ من حديثه، أهدى إلي شريطا عن «كرامات المجاهدين».. كنت أسكن بمفردي، وأعاني من وحشة قاتلة، وقد مللت سماع الأغاني ومشاهدة الأفلام، فدفعني الفضول للاستماع لذلك الشريط.. وما إن انتهيت من سماعه حتى انتابني شعور بالخوف والندم، واكتشفت حقيقة حالي وغفلتي عن الله، وتقصيري تجاه خالقي سبحانه فانخرطت في البكاء، بكيت بكاء مرًا كما يبكي الطفل الصغير من شدة الندم، لقد تحدث الشيخ عن كرامات المجاهدين وبطولاتهم

وقد باعوا أنفسهم لله، وحملوا أرواحهم على أكفهم ليقدموها رخيصة في سبيل الله، فعقدت مقارنة بينهم وبين من ينشر الرذيلة والفساد، ويعيش كما تعيش البهائم لا هم له إلا إشباع شهواته البهيمية، الأدهى من ذلك أنني لم أركع لله ركعة واحدة منذ اثني عشر عاما مضت من عمري الحافل بالضياح والمجون، لقد ولدت تلك الليلة من جديد، وأصبحت مخلوقا آخر لا صلة له بالمخلوق السابق، وأول شيء فكرت فيه: التخلص من العمل في ذلك المحل، والبحث عن عمل شريف يرضي الله عز وجل، ولكن، أأنجو بنفسني وأدع الناس في غيهم وضلالهم؟ فرأيت أن أعمل في محل الفيديو سنة أخرى ولكنها ليست كالسنوات السابقة، لقد كنت في تلك السنة أنصح كل من يرتاد المحل بخطورة هذه الأفلام، وأبين لهم حكم الله فيها، راجيا أن يغفر الله لي، ولم تمض الأيام حتى جاء شهر رمضان.. هذا الشهر الذي لم أشعر بحلاوته إلا في هذه السنة؛ فقد أقبلت على قراءة القرآن، أما العمل فقد كان بجوار محل الفيديو الذي كنت أعمل فيه، تلك تسجيلات لبيع الأشرطة الإسلامية وما إن مضت السنة الخامسة حتى انتقلت إلى تلك التسجيلات الإسلامية.. وشتان بين العاملين.. أما صاحب المحل السابق محل الفيديو فقد قمنا بنصحه وتذكيره بالله ونحمد الله أنه استجاب وترك المحل لوجه الله^(١).

تفسيرية

جلس الحسن البصري ذات يوم في مسجد البصرة الكبير يفسر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَحْشَع قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] ثم وعظ الناس وعظا بليغا حتى أبكاهم وكان من بينهم شاب يقال له عتبة، فقام وقال: أيها الشيخ، أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي إذا تاب؟

فقال الحسن: نعم يقبل توبتك عن فسقك وفجورك، فلما سمع الشاب ذلك صاح صيحة وخر مغشيا عليه، فلما أفاق دنا الحسن البصري منه وقال له:

أي شاب لرب العرش عاص أتدري ما جزاء ذوي المعاصي

(١) مائة قصة وقصة، الهندي، ص ٣٢، ٣٣.

سعير للعصاة لها زفير وغيط يوم يؤخذ بالنواصي
فإن تصبر على النيران فاعصه وإلا كن عن العصيان قاصي
وفيم قد كسبت من الخطايا رهنّت النفس فاجهر في الخلاص
فخر الشاب مغشيا عليه، ثم أفاق، فسأل الحسن: هل يقبل الرب الرحيم توبة لثيم مثلي؟
فقال الحسن: هل يقبل توبة العبد الجاني إلا الرب المعافي؟ ثم رفع رأسه، ودعا له، فأصلح الله
حال الشاب^(١).

أليس لها ثمن؟

ذات يوم كان يسير عبد البديع صقر مع حسن البنا في سكة راتب باشا، فمال الإمام
حسن البنا على تاجر البطيخ، وطلب واحدة وقال: كم تريد؟
فقال: خمسة عشر قرشا، فدفعها على الفور.
فقال له: يا فضيلة الأستاذ.. هذا الرجل غشاش، إنها بعشرة قروش فقط.
فنظر إليه مبتسما وقال: والدعوة.. أليس لها ثمن^(٢).

يقول عبد البديع صقر: إنه عندما كان يعمل معاونا في الدار، كانوا يدعون الناس
لحفلة شاي، فيجتمع ما لا يقل عن مائة من الناس، ويقدمون لهم الشاي، ويقوم أحد
الإخوان، مبيّنا أهمية الترابط والتآخي، فيخرج الجمع وقد تأثر بالدعوة عدد لا بأس به،
والحفلة لم تتكلف أكثر من جنيه واحد، بفضل جهود وتعاون الإخوان^(٣).

تعرف على الآخرين

قدم إلى الأستاذ البنا أكثر من مائة كارنيه بأساء شباب الجوال في إحدى المحافظات
لتوقيعها، فراح يمعن النظر في صورة كل جوال ويحفظ اسمه، ولما توجه بعد أكثر من سنة
لزيرة بعض قرى هذه المحافظة، كان يلتقي بالإخوان ويناديهم بأسمائهم، ولم يكن قد التقى

(١) أعلام المسلمين، ص ٢٤، ٢٣.

(٢) حكايات عن الإخوان، ٥٦/٢.

(٣) السابق، ٥٩/٢.

بهم من قبل، فكان ذلك مثار دهشة الجميع^(١).

هل تتعرف على كل من تلقاه حتى وإن لم يطلب منك ذلك؟

رجل الدعوة

جاء أحد كبار ضباط السلطة يشكو للناظر من هذا المدرس (أحمد ياسين عندما كان مدرسا للغة العربية والتربية الدينية) لأنه يجمع الأولاد في المسجد، وهو ما لم يتعود الناس عليه، فقال له الناظر: أنا سعيد جدا بهذا المدرس وسأقدم له كتاب شكر على ذلك، فأين لنا المدرس الذي يدرس الدين عمليا في المسجد؟ وحبذا لو كان في كل مدرسة في القطاع مدرس مثله!

ولقد جاء طبيب للناظر وقال: يا عمي قبلنا أن يصلي الولد، وقبلنا أن يذهب للمسجد، أما أن يصوم اثنين وخميس من كل أسبوع فهذا أمر صعب ولا نقبل به. وكانت إجابة الناظر نفس الإجابة الأولى في الموقف السابق^(٢).

وصايا غالية

يقول البنا: آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه، والاستناد إليه، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه، وتحلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات، وكونوا أقوياء بأخلاقكم، أعزاء بها وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين. وأقبلوا على القرآن تدارسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها، وكونوا عمليين لا جدليين، فإذا هدى الله قوما ألهمهم العمل، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، وتحابوا فيما بينكم، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين.

واسمعوا وأطيعوا وأطيعوا لقيادتك في العسر واليسر والمنشط والمكره فهي رمز فكرتك وحلقة الاتصال فيما بينكم، وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأيده، والفرصة آتية لا ريب فيها ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥٠ ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤٠، ٥١]^(٣).

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة، ص ٣٥١.

(٢) شهيد أيقظ أمة، ص ١٩.

(٣) الرسائل، ص ١١٠، ١١١.

فن الدعوة إلى الله

١- البعد عن مواضع الخلافات:

يتحدث المسلم إلى الناس في الأمور المتفق عليها حتى لا يتعرض للدخول في جدال لا طائل تحته، واحذر فضول الكلام، حدث محمد بن سوقة جماعة من زواره قال: ألا أسمعكم حديثاً لعله ينفعكم كما نفعني؟ قالوا: بلى، قال: نصحني عطاء بن أبي رباح ذات يوم قال: يا ابن أخي: إن الذين من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام، فقلت: وما فضول الكلام عندهم؟ فقال: كانوا يعدون كل كلام فضولاً ما عدا كتاب الله عز وجل أن يقرأ ويفهم، وحديث رسول الله أن يروى، أو أمراً بمعروف ونهياً عن منكر، أو علماً يتقرب به إلى الله، أو أن تتكلم بحاجتك ومعشتك التي لا بد لك منها، ثم حذق إلى وجهي وقال: أتتكرون ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴿[الأنفطار: ١٠، ١١] وأن مع كل منكم ملكين ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨] ثم قال: أما يستحي أحدنا لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره، فوجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه، ولا أمر دنياه؟! ^(١)

٢- البدء بالأهم:

بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل ؓ إلى أهل اليمن، فقال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس» (لا تأخذ أفضلها عندما تجمع زكاة أموالهم) ^(٢).

٣- الرفق:

قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع منه إلا شانه» ^(٣).

(١) صور من حياة التابعين، ص ١٤-١٦.

(٢) البخاري، كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ح (١٣٨٩).

(٣) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، ح (٢٥٩٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

وروى عن عروة بن الزبير أنه رأى رجلاً يصلي صلاة خفيفة، فلما فرغ من صلاته دعاه إليه وقال له: يا ابن أخي، أما كانت لك عند ربك جل وعز حاجة؟ والله إني لأسأل ربي في صلاتي كل شيء حتى الملح^(١).

٤- مخاطبة الناس على قدر عقولهم:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله^(٢).

علمني الحلاق:

نفع الله عز وجل بعلم عطاء بن أبي رباح طوائف كثيرة من الناس، منهم أهل العلم المتخصصون، ومنهم أرباب الصناعات المحترفون، ومنهم غير ذلك، حدث الإمام أبو حنيفة النعمان عن نفسه قال: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك فعلمنيها حلاق؛ وذلك أني أردت أن أحلق لأخرج من الإحرام، فأتيت حلاقاً، وقلت: بكم تحلق لي رأسي، فقال: هداك الله، النسك لا يشارط فيه، اجلس وأعط ما تيسر لك، فخجلت وجلست، غير أني جلست منحرفاً عن القبلة، فأومأ إلي بأن أستقبل القبلة، ففعلت، وازددت خجلاً على خجلي، ثم أعطيته رأسي من الجانب الأيسر ليحلقه، فقال: أدر شقك الأيمن، فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت أنظر إليه وأعجب منه، فقال لي: ما لي أراك ساكتاً؟ كبر، ففعلت أكبر حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد؟

فقلت: أريد أن أمضي إلى رحلي، فقال: صل ركعتين، ثم امض حيث تشاء، فصليت ركعتين، وقلت في نفسي: ما ينبغي أن يقع مثل هذا من حجام إلا إذا كان ذا علم.

فقلت له: من أين لك ما أمرتني به من المناسك؟

فقال: الله أنت، لقد رأيت عطاء بن أبي رباح يفعله، فأخذته عنه، ووجه إليه الناس^(٣).

(١) صور من حياة التابعين، ص ٤٣.

(٢) رواه البخاري معلقاً، كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ح (١٢٧).

(٣) صور من حياة التابعين، ص ١٦، ١٧.

٥- عدم اليأس:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، روى أحمد عن رجل من بني مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله بسوق المجاز يتخللها ويقول: «أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: يا أيها الناس، لا يغوينكم هذا عن دينكم، فإنها يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، قال: وما يلتفت إليه رسول الله^(١).

حرص الرسول ﷺ على هداية عمه:

روى البخاري عن سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه أخبره: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجُبَيْنِ﴾ [التوبة: ١١٣]^(٢).

دعوة على فراش الموت: روى البخاري عن عمر بن ميمون قال: جاء شاب إلى عمر بعدما طعن، وعرف الناس أنه ميت، فقال له رجل: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم شهادة، فقال عمر: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي، فلما أدبر فإذا إزاره يمس الأرض، فقال: ردوا على الغلام، فقال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك^(٣).

٦- التدرج:

الدعوة تحتاج إلى تدرج، حتى يتمكن الآخرون من الاستجابة لها، فلا تكون الدعوة

(١) أحمد، من حديث شيخ من بني مالك بن كنانة، ح (١٦٦٥٤)، تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح.

(٢) البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، ح (١٢٩٤).

(٣) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، ح (٣٤٩٧).

مباشرة وجامدة حتى لا تكون ثقيلة على القلوب فينفر منها، وقد تدرجت الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى تحريم الخمر.. وقد نزل القرآن مفزعا، ولم ينزل جملة واحدة قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٧- القدوة الحسنة:

قال تعالى: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

٨- ابدأ بأهلك:

حدث ميمون بن مهران وزير عمر بن عبد العزيز وقاضيه ومستشاره قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز، فوجدته يكتب رسالة إلى ابنه عبد الملك يعظه فيها وينصحه، ويبصره ويحذره، وينذره ويبشره، وكان مما جاء فيها قوله: أما بعد، فإن أحق من وعى عني وفهم قولي لأنت، وإن الله قد أحسن إلينا في صغير الأمور وكبيرها، فاذكريا بني فضل الله عليك وعلى والديك، وإياك والكبر والعظمة، فإنها من عمل الشيطان، وهو للمؤمنين عدو مبين، واعلم أني لم أبعث إليك بكتابي هذا لأمر بلغني عنك، فما عرفت من أمرك إلا خيرا، غير أني بلغني عنك شيء من إعجابك بنفسك، ولو أن هذا الإعجاب خرج بك إلى ما أكره، لرأيت مني ما تكره.

قال ميمون: ثم التفت إليّ عمر وقال: يا ميمون، إن ابني عبد الملك قد زين في عيني، وإني أتهم نفسي في ذلك، وأخاف أن يكون حبي له قد غلب علي علمي به وأدركني ما يدرك الآباء من العمى عن عيوب أولادهم، فسر إليه، وانظر هل ترى ما يشبه الكبر والفخر، فإنه غلام حدث، ولا آمن عليه الشيطان.

قال ميمون: فشددت الرحال إلى عبد الملك حتى قدمت عليه فاستأذنت فدخلت، فإذا غلام في مقتبل العمر.. فرحب بي، ثم قال: لقد سمعت أبي يذكرك بما أنت أهل له من الخير،

إني لأرجو أن ينفع الله بك.

فقلت له: كيف تجد نفسك؟

فقال: بخير من الله عز وجل ونعمة غير أنني أخشى أن يكون قد غرني حسن ظن والدي بي، وأنا لم أبلغ من الفضائل كل ما يظن، وإني لأخاف أن يكون حبه لي قد غلبه على معرفته بي، فأكون آفة عليه. فعجبت من اتفاقهما، ثم قلت له: أعلمني من أين معيشتك؟
فقال: من غلة أرض اشتريتها من ورثتها عن أبيه، ودفعت ثمنها من مال لا شبهة فيه، فاستغنيت بذلك عن فيء المسلمين.

قلت: فما طعامك؟

فقال: ليلة لحم، وليل عدس وزيت، وليلة خل وزيت، وفي هذا بلاغ.

فقلت له: أفما تعجبك نفسك؟

فقال: قد كان في شيء من ذلك، فلما وعظني أبي بصرني بحقيقة نفسي، وصغرها عندي، وحط من قدرها في عيني، فنفعني الله عز وجل بذلك، فجزاه الله من والد خيرا.. فقعدت ساعة أحدثه، وأستمع بمنطقه، فلم أرفتي أجمل منه^(١).

٩- الإخلاص:

لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم، فدعواهم إلى الإسلام سرا، وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله معاذ بن عفراء ورافع بن مالك: أن ابعث إلينا رجلا من قبلك فليدع الناس بكتاب الله، فإنه قمن أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله مصعب بن عمير، فلم يزل يدعو آمنا ويهدي الله تعالى الناس على يديه، حتى قل دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم، فأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله وكان يدعى المقرئ.

أمنية

هذا أخ مؤذن يأسف ويمزن حزنا شديدا، إذ بلغه أن برج ساعة بيع بن الشهيرة في لندن

(١) صور من حياة التابعين، ص ٩٠.

قد مال وأنه مهدد بالانهيار، فلما سئل عن سر أسفه وحزنه قال: مازلت أؤمل أن يعز الله المسلمين، ويفتحوا بريطانيا، وأصعد على هذا البرج كي أؤذن فوقه^(١).

دعوة صادقة

خرجت أخت مسلمة من بيتها وليس لها هم سوى أن يجعلها الله سبباً لهداية من حولها، وفجأة وجدت فتاة تلبس «الاسترتش» فأشفقت عليها من النار، فتقدمت وقالت لها بكل عطف ورحمة: إنني أستاذتك أن تأتي معي إلى الجنة، فاستجابت الفتاة وقالت: وأين هي الجنة؟

قالت: في بيت من بيوت الله، فاستجابت لها الفتاة ودخلت معها المسجد فوجدت أن الكل ينظر إليها نظرة عجيبة، فأشفقت عليها (هدى) وأسرعت إلى خارج المسجد واشترت لها حجاباً، وقالت لها: البسي هذا الحجاب حتى لا ينظر إليك أحد، وبعد المحاضرة انزعه إن شئت..

فقامت الفتاة وارتدت الحجاب لأول مرة، بل وأزالت المساحيق من على وجهها وتوضأت لأول مرة، وصلت المغرب واستمعت إلى الدرس (وكان عن وصف الجنة والنار) ثم صلت العشاء، ولما حان وقت الانصراف قالت لها هدى: الآن تستطيعين أن تنزعي الحجاب إن شئت، فقالت لها الفتاة: والله لقد ذقت حلاوة الإيمان فلن أخلع الحجاب أبدا ولن أترك الصلاة، بل سأكون داعية إلى الله وسأجعل حياتي وقفا لله عز وجل.

وما هي إلا لحظات حتى خرجت من المسجد فصدمتها سيارة فماتت، وسالت الدماء الشريفة التي تحركت لدين الله واحترقت شوقاً للقاء الله فرزقها الله حسن الخاتمة بعد أن كانت منذ ساعة واجدة ممن قال فيهن رسول الله: «صنفان من أهل النار لم أرهما...» وذكر منها: ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها^{(٢)(٣)}.

(١) علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم.

(٢) مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ح(٢١٢٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين، ص ١٤٠.

١٠- حب الدعوة:

راحتي في الدعوة إلى الله تعالى:

يقول الشيخ محمد إسماعيل حفظه الله:

أعرف أخا يعيش في ألمانيا، أحسبه -والله حسبه- مجتهدا في الدعوة إلى الله غاية الاجتهاد، حتى لا يكاد يذوق طعاما لراحة، وقد استحوذت الدعوة على كل كيانه، حتى أرقق نفسه، وشغل عن بيته وأهله وولده، فرأى إخوانه أن يمنح عطلة إجبارية، وذهبوا به بصحبة أسرته إلى منتجع ناء لا يعرفه فيه أحد، ولا يعرف فيه أحدا، كي يهنأ ببعض الراحة، وواعدوه أن يعودوا لإرجاعه بعد أيام، ولما رجعوا إليه وجدوه قد أسس جمعية إسلامية في هذا المكان قوامها بعض العمال المغاربة وغيرهم ممن انقطعت صلتهم بالدين، ففتش عنهم في مظان وجودهم، ودعاهم إلى طاعة الله سبحانه، وألف بينهم، وأقاموا مسجدا كان فيما بعد منطلقا للدعوة إلى الله في تلك البلدة.

إنها الحركة سر شيوع دعوة الإسلام المباركة في أرجاء الدنيا، ينطلق بها جنود لا يعلمهم إلا الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُتُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

طرفة غالية

ويلفتنا الأستاذ محمد أحمد الراشد إلى ميزان غريب نقيس به تلك الحركة الحياتية فيقول: وقد كنت في الأيام الخوالي ألطف إخواني فأفتش عن أخطيئهم ليس على نظافتها، وصبغها، ورونقها، كالتفتيش العسكري، بل على استهلاكها، وتقطعها، والغبار الذي عليها، وأقلبها فأرى النعل، فمن كان أسفل حذائه متهرئا تالفا فهو الناجح، وأقول له: شاهدك معك، حذاؤك يشهد لك أنك تعمل، وتغدو في مصالح الدعوة وتروح، وتطبق قاعدة: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وبكثرة حركتك تلف حذاؤك، فأنت المجتاز المرضي عندي.

قال صباح أحد زملائه: قد -والله- بعد عشرين سنة يأخذني تأنيب الضمير كلما رأيت

حذائي لا غبار عليه، وأتذكر ذاك التفتيش.

كلمتان خفيفتان على اللسان

وها هو رجل بسيط لم يتعلم العلم الشرعي، ولكن قلبه قد امتلأ بحب الله والرغبة في نصرته دين الله، فحضر يوماً درساً لأحد الدعاة وفي أثناء الدرس قال الشيخ: قال رسول الله: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(١).

فتحرك قلب هذا الرجل البسيط لهذه الكلمات وخرج بعد انتهاء الدرس وقد عزم على أن يدعو إلى الله بهذا الحديث فبدأ يدخل على البقال ويقول له: «كلمتان خفيفتان على اللسان..» ثم يدخل على الجزار.. إلى أن أصبح همه كله أن يعلم الناس جميعاً هذا الحديث.

وفي يوم من الأيام يصاب هذا الرجل بمرض خطير.. ويدخل غرفة العمليات ليجري له الدكتور عملية جراحية خطيرة، وكان هذا الدكتور لا يصلي ولا يعرف طريق المسجد.

وفجأة قام الرجل بعد إجراء العملية ولم يفق بعد من المخدر فقال: يا دكتور، فقال له الدكتور: هل تريد شيئاً؟ فقال له الرجل: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ثم مات الرجل.

فتعجب الدكتور من هذا الرجل الذي قام وهو تحت تأثير المخدر ليقول له هذا الحديث العظيم.

فتاب هذا الدكتور بسبب تلك الحادثة، وذهب ليطلب العلم الشرعي حتى أصبح الآن من الدعاة، وكل ذلك في ميزان هذا الرجل البسيط الذي لم يتعلم العلم الشرعي ولكنه أخلص في الدعوة إلى الله بحديث واحد تعلمه وذهب يدعو به الناس إلى الله تعالى.

فيا ليت أهل العلم يتحركون لنصرة دين الله بدلاً من أن يكون هذا العلم حجة عليهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى^(٢).

(١) البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسييح، ح(٦٠٤٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين، ص ٦١٢، ٦١٣.

أكبر همه

كانت الدعوة إلى الله أكبر هم الشيخ أحمد ياسين وشغله الشاغل، يقول أحد تلامذته: شاهدته مرة يودع أحد الطلاب الذين يدرسون في جامعات مصر، فبعد أن سلم عليه سأله الطالب إن كان يحتاج شيئاً من مصر فيرسله له، شكره الشيخ وأوصاه بتقوى الله وقال له: نريد عملاً جاداً للإسلام، ونريد حركة دائمة لتغيير هذا الواقع المؤسف للأمة الإسلامية^(١).

يدعو وهو مريض

يقول أحمد عبيد: دخلت على إحدى المرضعات، وأنا أصلي، وقد كنت في اللحظات الحرجة، أصلي نائماً فوق السرير، فقالت بأعلى صوتها: أووه إنت موش مسلم!! ولما فرغت من صلاتي، وقد كانت واقفة تتأملني وكان الوقت فجراً، وهي تنتظر حتى تقيس ضغط الدم وخلافه، فسألتها: لماذا قلت إنني لست مسلماً؟

قالت: لأنك تصلي صلاة على غير ما تعودناه من المسلمين، فأفهمتها أن صلاتي الآن تقبل بهذه الكيفية؛ لأنني لا أستطيع الوقوف، فقالت: وغير ذلك فهناك أسباب أخرى كثيرة، فقد تعودنا منك أحسن المعاملة، وأجمل المشاعر، فكنت حديثنا دائماً ونحن في سكتنا، أما كنت ترى الكثير من المرضعات، اللاتي كن تحضرن لرؤيتك، وكنت تدعوهم جميعاً إلى الدخول، وتصر على ذلك وتحرص على إعطائهم الحلوى والهدايا والورود، مما كان لديك، كنا دائماً نتحدث كثيراً عنك حين نعود من عملنا.

فعرفتها أنني مسلم، وأن أخلاق المسلمين هي أن أكون معكن، كما تذكرين.

فقالت: ولكن الجميع معاملتهم ليست على طريقتك، وعلى كل حال، أريد أن تعرفني إسلامك، فسألتها ما ديانتك؟ فقالت: بوذية، ومنذ فترة أبحث عن الحقيقة وأريد الوصول إليها، حتى رأيتك، وكنت في انتظار أن تتحسن حالتك، وأتحدث معك فيما أريد، والآن حانت الفرصة وأطلب أن تحدثني عن الإسلام، وطلبت من زوجتي أن تحضر كتاب «مبادئ الإسلام بالإنجليزية للمودودي»، فأحضرت نسختين فأعطيتها إياها وقبل أن تفرغ من قراءتها وتعرف شيئاً عن الإسلام، طلبت من الأخ الفاضل الأستاذ كامل الهلباوي أن يحضر

بعض المطبوعات عن الإسلام بالكورية، فأحضر لي مجموعات متكاملة بالكورية والإنجليزية وخلافه، من الندوة العالمية للشباب الإسلامي، فنظمت منها مجموعة وناولتها إلى الممرضة. وبعد أيام جاءني وقالت: أريد أن أسلم، فماذا أفعل؟ ومعني تسع ممرضات كلهن قرأن ويردن الإسلام، وأطلب لمن كتابا من الكتب التي أعطيتني إياها، فكونت تسع مجموعات، وطلبت مجموعة عاشرة لترسلها إلى والدها في كوريا، فأحضرت لها ما أرادت، وكانت تحضر للتدريس معي بعض الأمور في كيفية الطهارة والصلاة، وكان مما قالت: الصلاة يقرأ فيها القرآن فما هو القرآن؟ فأشرت لها إلى المصحف، ثم أحضرت لها نسخة مترجمة بالإنجليزية، فأخذتها، وبعد عدة أيام قالت: لقد نسيت كل شيء حولي وانتقلت إلى عوالم أخرى لم أكن أدري عنها شيئا وأنا الآن أعيش فقط مع القرآن، وطلبت نسخا منه للممرضات اللاتي أخذت مني لمن مجموعات الكتب، فأخبرتها بتعذر ذلك، فعادت وطلبت نسخة لوالدها على الأقل، فأعطيتها إياها وأسلمت «كيم» وحسن إسلامها وانتظمت في الصلاة، وتلاوة القرآن وأخبرتني بإسلام زميلاتها كذلك وانتظامهن أيضا في الصلاة، وسط دهشة باقي الممرضات في سكنهن أيضا، فعرفتها بالانتظام وعدم المبالاة بما يلقين حتى يمكن الله لدينه^(١).

حال الجامعة

كانت الجامعة في بداية عهدها خالية من الإعلان بمظاهر الإسلام، حتى الصلوات كانت تؤدي تحت الأرض وفي أماكن بالية وعلى استحياء، فقال الإمام لأحد الطلاب: أذن للظهر في مكان مرئي بأعلى صوتك، واصبر، ففعل الطالب، فدهش الطلاب والفراشون، والموظفون، وكانت إحدى العجائب، فصلى السنة، ثم أقام الصلاة وصلى وحده، والجموع حوله تتعجب، وفعل في اليوم التالي مثل ما فعل بالأمس، وبعد أيام قلائل زاد العدد واحدا بعد الآخر، وهكذا لما جاء الحق وصمد زهق الباطل وفر^(٢).

شبهات وردود

١ - أنه غير مكلف لأنها وظيفة العلماء فقط: يقول الرازي في قوله تعالى:

(١) مواقف إيمانية: أحمد عيد، ص ٨٣ - ٨٥.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٤٧.

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أن «من» هاهنا ليست للتبعية لدليلين:

الأول أن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة.

والثاني أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بقول الرسول: «من رأى منكم منكرا فليغيره» وأنها للتبيين كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] ^(١).

٢- من شروط الدعوة العلم: ولكن العلم يتجزأ، فالإنسان عالم بشيء وجاهل بشيء آخر؛ ولذا يتوافر شرط وجوب الدعوة إلى ما علمه.

٣- فهم خاطئ: وهم تسرب إلى البعض في زمن الصديق فخطب فيهم: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب» ^(٢).

٤- انتشار الباطل: وقد حصلت هذه الشبهة لأقوام سالفين قص الله لنا من أخبارهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعِذْرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ يَبْسُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

والآية الكريمة تشير إلى أن أهل القرية صاروا ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المعاصي، وفرقة أنكرت عليهم ووعظتهم، وفرقة سكنت عنهم فلم تفعل ولم تنته.

٥- لا يكلف الله نفسا إلا وسعها: يتعلل البعض بأن الدعوة إلى الله تسبب له تعباً لا يستطيع تحمله، وهذه حجة الضعفاء رقيقى الدين، فالتعب ينال العبد في حصوله على ربح مادي، فأولى بهم أن يتحملوا شيئا من التعب في الدعوة إلى الله ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] وقد جاء أن أبا سفيان ومن معه من المشركين عزموا على الخروج إلى المدينة من غزوة أحد، فأمر الرسول ﷺ بلالا أن ينادي

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ٨/ ١٤٥.

(٢) أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، ح (٤٣٣٨)، قال الألباني: صحيح.

أن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال أمس.

فخرج سعد بن معاذ من داره يأمر قومه بالمسير وكلهم جرحى.

وخرج أسيد بن حضير وبه سبع جراحات، وقال: سمعا وطاعة لرسول الله ﷺ. وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً، وخرج الطفيل بن عمرو وبه ثلاثة عشر جرحاً، وبالحارث بن الصمة عشر جراحات، فقال الرسول: «اللهم ارحم بني سلمة»^(١).

٦- ليس عندي وقت: الدعوة ليس لها وقت محدد بل في كل الأوقات كقول نوح:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥٠].

وكما فعل النبي ﷺ في طريق الهجرة؛ إذ لقي في الطريق بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا.. ويوسف عندما دخل السجن لم يشغله سجنه عن الدعوة إلى الله: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

٧- البعض يترك الدعوة لعدم استجابة الناس: المطلوب الدعوة وليس الاستجابة

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨] يمدح الله نبيه إسماعيل بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: ٥٥] وهو غير مكلف باستجابة الآخرين.

يجب استمرار الدعوة وإن لم يستجب أحد.. نوح لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين

عاماً.

يقول الإمام النووي: لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا

يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين^(٢).

ويقول السيوطي: وجوب الاستمرار على الدعوة إلى الله وحرمة اليأس، واحتمال

الإجابة؛ لأن الأمور بيد الله وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء،

(١) المغازي، الواقدي، ١/ ٣٣٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ٣٢.

فلا يستطيع الداعي أن يقطع بعدم إجابة فيجب عليه الاستمرار بالدعوة والوعظ في الإرشاد حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

أجر الداعي على الله لا على العباد، قال رسول الله ﷺ: «الدال على الخير كفاعله»^(١).
وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٢).

وقال أيضا: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»^(٣).

وقال أيضا: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء»^(٤).

لما أسري برسول الله ﷺ جعل يمر بالنبي والنبیین ومعهم القوم، والنبي والنبیین ومعهم الرهط، والنبي والنبیین وليس معهم أحد.

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

ويقول سيد قطب: إن أمر القلوب وهداها وضلالها ليس من شأن أحد من خلق الله، ولو كان هو رسول الله ﷺ؛ إنه من أمر الله وحده.

فهذه القلوب من صنعه، ولا يحكمها غيره، ولا يصرفها سواه، ولا سلطان لأحد عليها

(١) الترمذي، كتاب: العلم، باب: الدال على الخير كفاعله، ح (٢٦٧٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: غريب وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ح (٣٩٧٣)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) مسلم، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (٢٦٧٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) مسلم، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (١٠١٧)، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

إلا الله، وما على الرسول إلا البلاغ.

فأما الهدى فهو بيد الله، يعطيه من يشاء ممن يعلم سبحانه أنه يستحق الهدى، ويسعى إليه، وإخراج هذا الأمر من اختصاص البشر يقرر الحقيقة التي لا بد أن تستقر في حس المسلم ليتوجه في طلب الهدى إلى الله وحده، وليتلقى دلائل الهدى من الله وحده، ثم هي تفسح في احتمال صاحب الدعوة لعناد الضالين، فلا يضيق صدره بهم وهو يدعوهم، ويعطف عليهم، ويرتقب إذن الله لقلوبهم في الهدى وتوفيقهم إليه بمعرفته حين يريد^(١).

ويقول الراشد: يا من اعتزل بزهده مع جهله، تقدم واسمع ما أقول، يا زهاد الأرض تقدموا، خربوا صوامعكم، واقربوا مني، قد قعدتم في خلوتكم من غير أصل، ما وقعتم بشيء، تقدموا، خرب صومعتك أيها الهارب الذي ترزح تحت نير الأفكار الأرضية وآراء طواغيت القرن العشرين، وخذ مكانك في صفوف دعاة دعوة الإسلام^(٢).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٣١٤.

(٢) المنطلق، ص ١١٤، ١١٥.

الفهم

الإسلام دين شامل، ولا يجبذ عزل الجانب الاجتماعي عن الأخلاقي عن التعبدية، فالمجتمع الذي تجذ فيه تضخم الجانب التعبدية على الجانب الأخلاقي فتلك آفة العصر لا آفة الدين، إن الدين الإسلامي ليس بعقيدة فحسب ولكنه برنامج تفصيلي لحياة الإنسان كلها، فإن بترت الرجلين واليدين من جسم رجل وقلعت عينيه وقطعت أذنيه ولسانه واستخرجت معدته وكليته ونزعت رتيبه، وأخرجت المخ وأبقيت على القلب فهل سيمكن لهذا الجزء الباقي من الجسم أن يحيا وينبض؟! وهكذا الحال مع الإسلام فالعقيدة منه بمنزلة القلب، والعبادات أعضاؤه وجوارحه، ونظم الإسلام الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بمنزلة المعدة والكلية.

الحرب على الإسلام والمسلمين مستمرة، وبانت ثمرتهم قرية المنال بعد أن أغرقوا الشعوب الإسلامية في مستنقع الجهل، وتفسخت الأخلاق، وتلاشت القيم، ونسي الله، وهم يعملون ليل نهار على تشويه صورة الإسلام، وتقديم مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين، مما أثر على بعض المسلمين في فهمهم لدينهم، فأخذوا يعبدون الله على جهل أو خطأ؛ ومن هنا كانت أهمية فهم الإسلام فهماً شاملاً لكل نواحي الحياة، وأهمية فهمه الأولويات وترتيب الأعمال في الإسلام، حتى لا نهتم بالسنن على حساب الواجبات، ولا بالنوافل مع إهمال الفروض.

صحابه رسول الله ﷺ يتركون دفن الرسول ﷺ - وكلنا يعرف مكانته في قلوبهم - من أجل اختيار خليفة للمسلمين؛ لأنهم تربوا في مدرسة النبوة على كيفية ترتيب أولوياتهم، فوجود المسلمين بدون خليفة أخطر على الإسلام من تأخير دفن الرسول، فلما انتهوا من اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين سارعوا بدفن الرسول دون أن يخرج من بينهم صوت يندد بفعلتهم، فالكل يفهم الإسلام جيداً، ويعرف سلم الأولويات وترتيب الدرجات معرفة صحيحة^(١).

(١) من فقه الأولويات في الإسلام، ص ٩.

القرآن يصحح المفاهيم

قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

وعن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ مع نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج.

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، قال: ففعل فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...﴾ الآية^(١).

فهم خاطئ

يقول ابن كثير: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى فرقه فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية إنها نزلت فينا؛ صحبنا رسول الله وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتماعنا معشر الأنصار تحبباً قلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد أثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فكانت الهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد^(٢).

(١) ذكره مسلم معلقاً، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، ح (١٨٧٩)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) تفسير القرن العظيم، ابن كثير، ١/ ٥٢٨.

فهم الرسول

يوم أن بعث الرسول ﷺ كانت مئآت الأصنام صفوفًا داخل الكعبة وحولها، لم يهدمها الرسول إلا في العام الحادي والعشرين من البعثة أي قبل وفاته بعامين، فلقد حرص الرسول أن يهدم الأصنام الموجودة داخل النفس البشرية قبل تحطيم الأصنام التي كانت في جوف الكعبة وعلى سطحها، بل إنه ﷺ طاف وأصحابه حول الكعبة في عمرة القضاء والأصنام لا تزال موجودة داخل وحول الكعبة^(١).

صلاة الجمعة فرضت في العهد المكي ولكن الرسول لم يجمع بالمسلمين في مكة وذلك مخافة بطش المشركين بهم، وفي الوقت نفسه جمع أسعد بن زرارة بالمسلمين في المدينة قبل قدومه.

يقول الإمام القرطبي: قال ابن سيرين: جمع أهل المدينة من قبل أن يقدم النبي المدينة، وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة.. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا، فذبح لهم أسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم، فهذه أول جمعة في الإسلام^(٢).

فهم الأولويات

في صلح الحديبية أرسل المشركون سهيل بن عمرو ممثلًا عنهم ليكتب بينهم وبين المسلمين كتابًا بالصلح، فلما جلس إلى رسول الله ﷺ قال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا النبي الكاتب وكان الكاتب عليًا ؓ - فيما رواه مسلم - فقال النبي ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال رسول الله: «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني.. اكتب: محمد بن عبد الله»، وفي رواية لمسلم فأمر عليًا أن يمحوها، فقال علي: لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله: «أرني مكانها» فمحاها، فقال له النبي: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فيه»، فقال سهيل: والله لا نتحدث

(١) من فقه الأولويات في الإسلام، ص ٩٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩٨/١٨.

العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام القادم.

وليس مع المسلمين إلا السيوف في قرايبها فقال سهيل: وعلى ألا يأتيتك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاء منكم لم نرده عليكم، فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ والتفتوا إلى رسول الله يسألونه: أنكتب هذا يا رسول الله؟ قال: «نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجاً وخرجاً»^(١).

وفي الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: أأنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: أأنت على حق وعدونا على باطل؟ قال: «بلى»، قلت: أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى»، قلت: فقيم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف فيه؟ قال: «بلى»، فأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟ قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوف به»، فلم يصبر عمر بن الخطاب حتى أتى أبا بكر فسأله مثل ما سأل النبي فقال له: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يعصي ربه ولن يضيعه الله أبداً.. فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها، فقال: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: «نعم»، فطابت نفسه^(٢).

لقد كانت بنود الصلح في ظاهرها، وكما ينظر الإنسان بعقله القاصر كأنها في مصلحة المشركين، ولا تحقق مصلحة للمسلمين، ولكنها في حقيقتها وآثارها كانت في مصلحة المسلمين، يقول سيد قطب: كان فتحاً في الدعوة، يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنها كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تلك السنين (بين صلح الحديبية وفتح مكة)، مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

(١) مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، ح (١٧٨٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح (٢٥٨١).

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف^(١). وكان فتحًا في الأرض، فقد أمن المسلمون شر قريش، فاتجه رسول الله إلى تخلص الجزيرة من بقايا الخطر اليهودي بعد التخلص من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وكان هذا الخطر يتمثل في حصون خيبر القوية التي تهدد طريق الشام، وقد فتحها الله على المسلمين، وغنموا منها غنائم ضخمة جعلها الرسول فيمن حضر الحديبية دون سواهم. وكان فتحًا في الموقف بين المسلمين في المدينة وقريش في مكة وسائر المشركين حولها، فلقد اعترفت قريش بالنبي والإسلام وقوتها وكيانها، واعتبرت النبي والمسلمين أندادًا لها، بل دفعتهم عنها بالتالي هي أحسن^(٢).

أولوية الأعمال

قد يكون العمل المعين أفضل منه في حق غيره. فالغنى الذي بلغ له مال كثير ونفسه لا تسمح ببذل شيء منه فصدقته وإيثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة. والشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته، وقوفه في الصف ساعة وجهاده أعداء الله أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع. والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير والشر مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح. وولي الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده جلوسه ساعة للنظر في المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وإقامة الحدود ونصر المحق وقمع المبطل، أفضل من عبادة سنين من غيره. ومن غلبت عليه شهوة النساء فصومه أنفع وأفضل من ذكر غيره وصدقته.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٩١/٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٣١٦/٦.

وتأمل تولية النبي لعمر بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما من أمرائه وعماله وترك تولية أبي ذر بل قال له: «إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تؤمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»^(١)، وأمره وغيره بالصيام وقال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له»، وأمر آخر بأن «لا تغضب» وأمر ثالثاً «بأن لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله». ومتى أراد الله بالعبد كمالاً وفقه لاستفراغ وسعه فيما هو مستعد له، كالمريض الذي يشكو وجع البطن مثلاً إذا استعمل دواء ذلك الداء انتفع به وإذا استعمل دواء وجع الرأس لم يصادف داءه، فالشح المطاع مثلاً من المهلكات ولا يزيله صيام مائة عام ولا قيام ليلها، وكذلك داء اتباع الهوى والإعجاب بالنفس لا يلائمه كثرة قراءة القرآن واستفراغ الوسع في العلم والذكر والزهد وإنما يزيله إخراجهم من القلب بضده، ولو قيل أيها أفضل: الخبز أم الماء؟ لكان الجواب: أن هذا في موضعه أفضل، وهذا في موضعه أفضل^(٢).

رجل يفهم رسالته

سأل صحفي الإمام الشهيد حسن البنا عن نفسه، وطلب منه أن يوضح بنفسه عن شخصيته للناس فقال -رحمه الله: أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطيبة في ظل الإسلام الحنيف.

أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادى: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، هذا أنا فمن أنت؟^(٣)

فهم مشقات الطريق

يقول حسن البنا: في صباح يوم من الأيام وأنا في طريقي إلى الفصل لإلقاء الدرس الأول أو الثاني رأيت ناظر المدرسة -وكان إذ ذاك «الأستاذ أحمد عبد الهادي سابق»- على باب حجرته ينظر إليّ نظرات فيها غرابة فدلّفت إليه وقلت: السلام عليكم ورحمة الله.

(١) مسلم، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، ح (١٨٢٦)، عن أبي ذر.

(٢) عدة الصابرين، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) حكايات عن الإخوان، ١/ ٧٦.

فابتسم وقال: وعليكم السلام، في لهجة فهمت أن وراءها شيئاً فقلت: خيراً إن شاء الله.
فقال: خير خير.

فقلت: إيه الحكاية؟ لازم فيه حاجة.

فقال: حاجة!! محكمة الجنايات يا أستاذ حسن.. محكمة الجنايات يا حبيبي وكلنا كده إن شاء الله بربطة المعلم.

فقلت: .. لماذا؟

فقال: عريضة من رئيس الوزراء إلى وزير المعارف تقول إنك شيوعي ضد النظام القائم وضد الملك وضد الدنيا كلها.

فقلت: بس كده؟! الحمد لله رب العالمين والله يا بك إذا كنا برآء فاسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ وإذا كنا نخدع الناس بهذا الجهاد في سبيله وهذه الدعوة إلى دينه فإن محكمة الجنايات وجهنم قليل على الذين يمدعون الناس عن الدنيا بلباس الدين، فلا تهتم ودعها لله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، أقسم لك أنه لن يكون إلا الخير، عن إذنك فقد مضى بعض وقت الحصة وهذه مخالفة لا أحبها، وتركت الرجل في مكانه مستغرباً هذه الردود، وانصرفت إلى الدرس وكلي ثقة وطمأنينة بأن هذا عبث أطفال ولن ينتهي إلا إلى النتيجة المحتومة لمثله: إهمال ونسيان^(١).

دعوتنا لكل الناس

زار الإمام الشهيد البنا محافظة سوهاج، وبعد انتهاء المؤتمر دعي إلى مائدة، وجلس بجوار أحد الإخوة، وكان هذا الأخ يتمنى أن تتاح له هذه الفرصة ليهمس في أذن الإمام الشهيد بأمر مهم، فقال له: يا أستاذ، إن الدعوات لا تقاس بالكم وإنما بالكيف، فماذا لو وضعنا ضوابط للذين يريدون الانتساب، كأن نحدد لهم قدرًا من الثقافة الإسلامية يدرسونها، ويظلون زمنًا في إطار الانتساب وتحت الاختبار، ثم ينقل الصالح منهم إلى العضوية العاملة؟

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص ٩٩.

فابتسم الإمام الشهيد، وقال: يا فلان، هل تريدون مني ما لم يرده الله من أنبيائه ورسله وهم صفوة خلقه؟! إننا دعوة لكل الناس وليست لفئة محدودة، يترى فيها كل من يريد أن يخدم الإسلام مهما كانت مكانته وثقافته.. وكل ميسر لما خلق له، ومن يدري فلعل هذه الدعوة تواجه محناً عاتية، تعدون فيها الرجال على الأصابع.. وجاءت المحن العاصفة، وثبت كثير من الذين كنا نحسبهم بسطاء في مكانتهم وثقافتهم. ولكنهم تحلقوا بمقومات الرجولة فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وسقط آخرون من أصحاب الثقافة الواسعة، والشخصيات اللامعة، والله في خلقه شئون.

ابعثوا عن لافتة أخرى

عندما ثارت فتنة التكفير إثر محنة ١٩٦٥م انزلق العديد من السجناء في هذا المنعطف تحت وطأة التعذيب الوحشي والاضطهاد للدعوة الإسلامية وغيرها من الأسباب. حينئذ بادر الأستاذ الهضيبي وعلماء الإخوان لإخماد الفتنة، وكانت مناقشات ومحاضرات.. فرجع الكثير عن هذا الفكر، ولم يبق إلا قلة شاذة، وجددت البيعة.. فقال بعض الشواذ: نبايع على كل شيء في الجماعة ما عدا (مسألة التكفير) فترك للاجتهاد الشخصي، فأجاب الأستاذ بحسم: بل كل شيء حتى مسألة التكفير. ومن لم يبايع فليبحث له عن لافتة أخرى غير الإخوان المسلمين^(١)، الدين الحنيف لا يوجد فيه عنف ولا قسوة، ومن اختل فهمه للإسلام انحرف عن طريق الجادة.

نعمة كبيرة

يقول البنا: اذكروا جيداً أن الله قد منَّ عليكم، ففهمتم الإسلام فهماً نقيّاً صافياً، سهلاً شاملاً، كافياً وافياً، يسائر العصور وفيها بحاجات الأمم، ويجلب السعادة للناس، بعيداً عن جمود الجامدين وتحلل الإباحيين وتعقيد المتفلسفين، لا غلو فيه ولا تفريط، مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين استمداً منطقياً منصفاً، بقلب المؤمن الصادق، وعقل الرياضي الدقيق، وعرفتموه على وجهه: عقيدة وعبادة، ووطن وجنس، وقلب ومادة، وسماحة وقوة، وثقافة وقانون، واعتقدتموه على حقيقته: دين ودولة، وحكومة وأمة،

(١) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١٠٤.

ومصحف وسيف، وخلافة من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

تربية واعية

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي فقال له الطاغية: تنصر وإلا ألقيتك في البقرة..

قال: ما أفعل.. فدعا بالبقرة النحاس فملئت زيتاً وغليت ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية، فأبى فألقاه في البقرة فإذا عظامه تلوح، وقال لعبد الله: تنصر وإلا ألقيتك.

قال: ما أفعل، فأمر به أن يلقى في البقرة فبكى، فقالوا: قد جزع، قد بكى.

قال: ردوه، قال: لا ترى أي بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا.

قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه، فقال: قبل رأسي وأطلقك.

قال: ما أفعل، قال: تنصر وأزوجك بنتي وأقاسمك ملكي.

قال: ما أفعل، قال: قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين.

قال: أما هذه فنعم، فقبل رأسه وأطلق معه ثمانين من المسلمين، فلما قدموا على عمر بن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه، قال: فكان أصحاب رسول الله ييازحون عبد الله فيقولون: قبلت رأس علعج، فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين^(١).

تأخير الصلاة بعذر

عند فتح مدينة تستر ببلاد الفرس حاصر صحابة رسول الله ومن معهم من جموع المسلمين المدينة أشهراً، وشددوا الحصار، وأشرقت نذر الاقتحام والنصر، وأصبحت الفرصة مواتية للظفر قبل الفجر، إلا أنهم لو أقدموا على اقتناصها لفاتتهم صلاة الصبح حتى

(١) من فقه الأولويات في الإسلام، ص ١٣٤، ١٣٥.

تطلع الشمس، فكان اجتهاد الصحابة أن يقتنصوا الفرصة، واقتحموا الحصن، وفتحت تستر -بفضل الله ورحمته- لتصبح إحدى قلاع الإسلام، ومدائنه الشهيرة في آسيا، وصلى المسلمون الصبح يومها بعد أن طلعت الشمس وأشرقت الأرض بنور ربها^(١).

الإسلام والأديان المعاصرة

يقول الدكتور زغلول النجار: في مطلع الخمسينيات -وكنت لا أزال شابًا وقتها- وكنت في بريطانيا؛ للحصول على الدكتوراه، فدعيت إلى محاضرة عن «الإسلام والأديان المعاصرة» وكانت في مقر اتحاد للطلبة هناك، كانوا يلتقون ليلة الجمعة من كل أسبوع في حوار مفتوح على أي قضية من القضايا، فسمعوا أن هناك شابًا مسلمًا قد أتى للحصول على الدكتوراه، فدعوني لهذه المحاضرة، وبعد أن تحدثت عن الإسلام وعلاقته بالأديان الأخرى، قامت رئيسة ذلك النادي، وقالت: يا سيدي، يبدو أن مستوى دراستك في الأديان أعلى من مستوانا جميعًا، لذلك فنحن لن نستطيع مناقشتك، فهل لديك مانع في تأجيل الحوار للأسبوع القادم، حتى تتمكن من دعوة أحد القساوسة الكاثوليك، الذي قد عاش في الشرق لسنوات طويلة، وله معرفة جيدة باللغة العربية، حتى يكون الحوار به شيء من التكافؤ؟ فقبلت ذلك، وتم تأجيل الحوار للأسبوع التالي، وذهبت إلى هناك في الأسبوع التالي، وقابلت ذلك الرجل، فإذا برجل قد جاوز الستين من عمره، وقد عاش فترة طويلة في مصر والعراق وليبيا وكثير من الدول العربية.

وبدأ الحوار بيننا، والذي استمر أكثر من ساعة ونصف، قامت بعدها المرأة أيضًا قائلة له: يا سيدي يبدو أن هذا الشاب أكثر تمكّنًا منك في قضية الأديان، لذلك فأنا أعتذر اليوم مرة أخرى، وأدعو لاستمرار الحوار في الأسبوع القادم وأقوم بدعوة «البিশوب» -وهو رئيس الكنيسة في منطقة مجاورة.

وأتى هذا الرجل في الأسبوع التالي، وقامت المدينة باحتفال كبير لاستقباله، حضره الكثير من رجال الصحافة والإذاعة والتلفزيون، ثم التقيت به في حوار طال أكثر من ساعة، قامت بعدها هذه السيدة قائلة: لقد مارست الكاثوليكية مدة خمسة وعشرين عامًا، ولكنني

(١) من فقه الأولويات في الإسلام، ص ١٣٥.

أعترف أمام الجميع أنني ما شعرت يوماً بمعنى الألوهية كما يشعر بها هذا الشاب، ثم تركت القاعة وخرجت، ثم علمت بعد ذلك أنها أسلمت، وحسن إسلامها، وأبليت بلاء حسناً في الدعوة إلى الله في بريطانيا^(١).

هذا ما دفع بعض قياداتهم -وهو أحد العلماء الأمريكيين- يوم وقف أمام جمع من المسلمين قائلاً: يا أيها المسلمون، إنكم لن تستطيعوا أن تسايروا الغرب تقنياً ولا علمياً ولا اقتصادياً ولا سياسياً ولا عسكرياً، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا هذا الغرب المتجبر المتعالي يجثو على ركبته أمامكم في الإسلام، ثم يضيف قائلاً: أعطوني أربعين شاباً ممن يحسنون فهم هذا الدين فهماً دقيقاً، ويحسنون تطبيقه على أنفسهم تطبيقاً دقيقاً، ويحسنون عرضه على الناس بلغة العصر، وأنا أكفل لكم أن أفتح لهم الأمريكتين.

حقاً -والله الذي لا إله غيره- فهذا هو السلاح الوحيد الذي بقى بأيدينا الآن، أن نفهم الإسلام، ونطبقه على أنفسنا، ثم نقوم بعرضه على الناس^(٢).

فهم رائع

ومن المواقف الرائعة في التاريخ الإسلامي التي تبين -بما لا يدع مجالاً للشك- أهمية فهم المسلمين لدينهم فهماً صحيحاً، وأنه قد تضطروهم الظروف فيتركون واجباً في سبيل تحقيق واجب أهم منه، ما حدث للمسلمين في بيروت عندما أرادوا أن يستنقذوا إخوانهم المحاصرين في عكا من قبل الصليبيين فحلّقوا لحاهم وتزيوا بزي الصليبيين وعلقوا الصلبان ووضعوا الخنازير على سطح السفينة التي تحمل الطعام لإخوانهم المحاصرين واستطاعوا أن يخذعوا الصليبيين وأن يمروا من بينهم دون أن يشكوا في أمرهم^(٣).

هكذا كان عبد الله بن المبارك

خرج عبد الله بن المبارك إلى الحج، فاجتاز بعض البلاد فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على المزبلة، فخرجت جارية من دار قريته، فأخذت الطائر الميت، ولفته، وأسرعت به إلى

(١) الذين هدى الله، ص ٥٣-٥٥.

(٢) الذين هدى الله، ص ٥٧-٥٩.

(٣) من فقه الأولويات في الإسلام، ص ١٤٥-١٤٦.

الدار، فلما سأها: لم أخذت الميتة؟ قالت إنها وأخاها فقيران لا يجدان شيئاً، ولا يعلم بهما أحد. فأمر ابن المبارك برد الأحمال، وقال لو كي له: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، قال: أبق منها عشرين ديناراً، وأعط باقي الألف إلى الجارية، وعد بنا إلى مرو، فهذا أفضل من حجنا هذا العام، ورجع ولم يحج^(١).

فهم علم من أعلام السلف

جاء رجل إلى بشر بن الحارث الزاهد -المعروف ببشر الحافي- وقال له: عزمت على الحج (تطوعاً) أفتأمرني بشيء؟ قال له: كم أعددت للنفقة؟ قال له: أعددت ألفي درهم، فقال له بشر: فماذا تريد بحجك هذا: ترهّداً أو اشتياًقاً إلى البيت الحرام، أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: بل ابتغاء مرضاة الله، قال له بشر: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك، وتنفق ألفي درهم، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى، أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: فاذهب فأعط هذا المال لعشرة أنفس: مديناً يقضي دينه، وفقيراً ترم شعته، ومعيلاً (صاحب عيال) يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل، فإن إدخال السرور على قلب المسلم، وإغاثة اللهفان وكشف الضر، وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الفريضة، قم فأخرجها كما أمرناك^(٢).

إمكانات أعدائك ماذا أعددت لها

كشفت النشرة الدولية لأبحاث التنصير في العالم أن المبالغ التي تلقتها المنظمات التنصيرية كمعونات عام ١٩٩٦، بلغت ١٩٣ مليار دولار، والجدير بالذكر أن عدد هذه المنظمات ٢٢ ألفاً و ٣٠٠ منظمة تمتلك ٣٢٠٠ محطة إذاعة وتلفاز خاصة بها.. إلى غير ذلك من الإمكانيات. فأين أعمال المسلمين لنجدة إخوانهم وتقديم النفع لهم؟

يقول البنّا: من ظن أن الدين -أو بعبارة أدق الإسلام- لا يعرض للسياسة، أو أن السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، وظلم علمه بهذا الإسلام، ولا أقول ظلم الإسلام فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. وجميل قول

(١) مائة موقف من حياة العظماء، ص ١٢٨.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ٣٩٧.

الإمام الغزالي: اعلم أن الشريعة أصل وأن الملك حارس، وما لا أصل له فمهذوم، وما لا حارس له فضائع.. فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها^(١).

لا أنقد حكومتي خارج وطني

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان مراسلو الصحف والإذاعات يأتون إليّ لإجراء أحاديث، والظاهرة العجيبة في كل تلك الأحاديث، أن المراسلين كانوا يحاصرونني بأسئلة دقيقة رغبة منهم في أن يحصلوا مني على انتقاد أو هجوم على الحكومات القائمة، وكنت أفسد عليهم هذه المحاولات، حتى قال لي أحد المراسلين في لندن: إنك تتهرب من الإجابات عن أسئلة واضحة، فكان جوابي: إن التهرب ليس من خلقي، ولكن طباعي تأبى علي أن أنقد حكومتي خارج وطني، ولا أشنع عليها في الخارج، بل أوجه مآخذي إليها مباشرة داخل مصر، وهو مبدأ وليس سياسة^(٢).

(١) الرسائل، ص ٣١٧.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١٤٩.

العمل للإسلام

العودة إلى الإسلام أمنية عظيمة لا نصل إليها بالكلام والدعاوي، وإنما لابد من العمل، فأعداء الإسلام يعملون ليل نهار لنشر باطلهم، فالأولى بأهل الحق أن يعملوا لنشر دعوتهم وتبليغها للناس، وليحتسبوا أجرهم عند الله، وهذه قصص من المخلصين في العمل للإسلام، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

الأعداء يعملون لإنجاح مخططهم

يقول الشيخ أحمد القطان عن توبته: إن في الحياة تجارب وعبرًا ودورسًا، لقد مررت في مرحلة الدراسة بنفسية متقلبة حائرة، لقد درست التربية الإسلامية في مدارس التربية ولا تربية -ثمانية عشر عامًا وتخرجت بلا دين-، وأخذت ألتفت يمينًا وشمالًا: أين الطريق؟ هل خلقت هكذا الحياة عبثًا؟ أحس فراغًا في نفسي وظلامًا وكآبة، وحدي في الظلام ليلي أجد هناك العزاء، ولكنني أعود حزينًا كثيرًا وتخرجت في معهد المعلمين سنة ١٩٦٩م، وفي هذه السنة والتي قبلها حدث في حياتي حدث غريب تراكمت فيه الظلمات والغيوم، إذ قام الحزب الشيوعي باحتوائي ونشر قصائدي في مجلاتهم وجرائدهم، والنفخ فيها، وأخذوا يفسرون العبارات والكلمات بزخرف من القول يوحى بعضهم إلى بعض.. حتى نفخوا في نفخة ظننت أنني أنا الإمام المنتظر، وما قلت كلمة إلا وطبلوا وزمروا حولها.. وهي حيلة من حيلهم، إذا أرادوا أن يقتنصوا ويفترسوا فردًا، ينظرون إلى هويته وهوايته، ماذا يرغب؟ ثم يدخلون عليه من هذا المدخل. رأوني أميل إلى الشعر والأدب فتعهدوا بطبع ديواني ونشر قصائدي، وعقدوا لي الجلسات واللقاءات الأدبية الساهرة.. ثم أخذوا يدسون السم في الدسم، يذهبون بي إلى مكتبات خاصة ثم يقولون: اختر ما شئت من الكتب بلا ثمن فأحمل كتبًا فاخرة.. أوراقًا مصقولة.. طباعة أنيقة عناوينها «أصول الفلسفة الماركسية» «المبادئ الشيوعية» وهكذا بدأوا بالتدرج يذهبون بي إلى المقاهي الشعبية، فإذا جلست معهم على طاولة قديمة تهتز.. أشرب الشاي بكوب قديم وحول العمال.. فإذا مر رجل بسيارته

الأمريكية الفاخرة قالوا: انظر، هذا يركب السيارة من دماء آبائك وأجدادك.. وسيأتي عليك اليوم الذي تأخذها منه بالثورة الكبرى التي بدأت وستستمر.. إننا الآن نهيتها في «فارط» ونعمل لها، وإننا نهيتها في الكويت ونعمل لها، وستكون قائداً من قوادها، وبينما أنا أسمع هذا الكلام أحس أن الفراغ في قلبي بدأ يمتلئ بشيء.. لأنك إن لم تشغل قلبك بالرحمن أشغله الشيطان، فالقلب كالرحى.. يدور.. فإن وضعت به دقيقتاً مباركاً أخرج لك الطحين الطيب.. وإن وضعت فيه الحصى أخرج لك الحصى، ويقدر الله بعد ثلاثة شهور أن نلتقي برئيس الخلية الذي ذهب إلى مصر وغاب شهراً ثم عاد. وفي تلك الليلة أخذوا يستهزئون بأذان الفجر.. كانت الجلسة تمتد من العشاء على الفجر.. يتكلمون بكلام لا أفهمه مثل «التفسير المادي للتاريخ» «والاشتراكيون والشيوعية في الجنس والمال»، ثم يقولون كلاماً أمرره على فطرتي السليمة التي لا تزال.. فلا يمر.. أحس أنه يصطدم ويصك.. ولكن الحياء يمنعني أن أناقش فأسكت، ثم بلغت الحالة أن أذن المؤذن لصلاة الفجر.. فلما قال «الله أكبر» أخذوا ينكتون على رسول الله، وهنا بدأ الانفعال الداخلي والبركان الإيماني الفطري يغلي، وإذا أراد الله خيراً بعبد بعد أن أراه الظلمات يسر له أسباب ذلك.. إذ قال رئيس الخلية: لقد رأيت الشيوعية الحقيقية في لقائي مع (...) بمصر هو الوحيد الذي يطبقها تطبيقاً كاملاً، فقلت: عجباً.. ما علامة ذلك؟! قال: إذا خرجنا في الصباح الباكر عند الباب فكما أن زوجته تقبله تقبلني معه أيضاً، وإذا نمنا في الفراش فإنها تنام بيني وبينه.. وهكذا يقول.. والله يحاسبه يوم القيامة.. فلما قال ذلك نزلت ظلمة على عيني وانقباض في قلبي، وقلت في نفسي: أهذا فكر؟! أهذه حرية؟! أهذه ثورة؟! لا ورب الكعبة إن هذا كلام شيطاني إبليسي!! ومن هنا تجرأ أحد الجالسين فقال له: يا أستاذ ما دمت أنت ترى ذلك، فلماذا لا تدع زوجتك تدخل علينا نشاركك فيها؟ قال: إنني ما أزال أعاني من مخلفات البرجوازية وبقايا الرجعية وسيأتي اليوم الذي نتخلص فيه منها جميعاً..

ومن هذه الحادثة بدأ التحول الكبير في حياتي إذ خرجت أبحث عن رفقاء غير أولئك الرفقاء.. فقدر الله أن ألتقي بإخوة في «ديوانية» كانوا يحافظون على الصلاة.. وبعد صلاة العصر يذهبون إلى ساحل البحر ثم يعودون.. وأقصى ما يفعلونه أنهم يلعبون «الورقة»، ويقدر الله أن يأتي أحدهم إليّ ويقول: يا أخ أحمد، يذكرون أن شيخاً من مصر اسمه «حسن

أيوب» جاء إلى الكويت ويمدحون جرأته وخطبته، ألا تأتي معي؟ قالها من باب حب الاستطلاع.. فقلت: هيا بنا.. وذهبت معه.. توضأت.. ودخلت المسجد.. وجلست.. وصليت المغرب.. ثم بدأ يتكلم.. وكان يتكلم واقفاً لا يرضى أن يجلس على كرسي.. وكان شيخاً كبيراً شاب شعر رأسه ولحيته، ولكن القوة الإيمانية البركانية تتفجر من خلال كلماته؛ لأنه كان يتكلم بأرواح المدافع لا بسيف من خشب، وبعد أن فرغ من خطبته أحسست أنني خرجت من عالم إلى عالم آخر.. من ظلمات إلى نور.. ولأول مرة أعرف طريقي الصحيح.. وأعرف هدي في الحياة.. ولماذا خلقت، وماذا يراد مني، وإلى أين مصيري..

وبدأت لا أستطيع أن أقدم أو أؤخر إلا أن أعانق هذا الشيخ وأسلم عليه، ثم عاد هذا الأخ يسألني عن انطباعي؟ فقلت له: اسكت وسترى انطباعي بعد أيام.. عدت في الليلة نفسها واشترت جميع الأشرطة لهذا الشيخ.. وأخذت أسمعها إلى أن طلعت الشمس.. ووالدي تقدم لي طعام الإفطار فأرده.. ثم طعام الغداء.. وأنا أسمع وأبكي بكاء حاراً.. وأحس أنني قد ولدت من جديد.. ودخلت عالماً آخر.. وأحببت الرسول ﷺ وصار هو مثلي الأعلى وقدوتي.. وبدأت أنكب على سيرته قراءة وسماعاً.. حتى حفظتها من مولده إلى وفاته، فأحسست أنني إنسان لأول مرة في حياتي.. وبدأت أعود فأقرأ القرآن، فأرى كل آية فيه تخاطبني أو تتحدث عني ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

نعم.. لقد كنت ميتاً فأحياني الله.. والله الفضل والمنة.. ومن هنا انطلقت مرة ثانية إلى أولئك الرفقاء الضالين المضلين.. وبدأت أدعوهم واحداً واحداً.. ولكن ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أما أحدهم فقد تاب بإذن الله وفضله، ثم ذهب إلى العمرة.. فانقلبت به السيارة ومات وأجره على الله. وأما رئيس الخلية فقابلني بابتسامة صفراء وقال: يا أستاذ أحمد.. إنني أحسبك لأنك عرفت الطريق الآن.. أما أنا فاتركني.. فإن لي طريقي ولك طريقك.. ثم صافحني وانصرف.. وظل هو كما هو حتى الآن، وأما البقية فمنهم من أصبح ممثلاً، ومنهم من أصبح شاعراً يكتب الأغاني وله أشرطة «فيديو» يلقي الشعر وهو سكران.. وسبحان الذي يخرج الحي من الميت.. من تلك اللحظة

بدأت أدعو إلى الله رب العالمين^(١).

هكذا الأعداء يعملون ليل نهار لنشر دعوتهم الباطلة، فأين أنت منهم؟

أحرص على العمل

عرفت الإسماعيلية صغیرها وكبیرها حسن البنا والإخوان المسلمين، فلما انتقلت الدعوة إلى القاهرة حدث الإمام الشهيد بهذه الطريقة فقال: جاء أحد إخوان الإسماعيلية لزيارتي.. فلما نزل من القطار في محطة مصر سألت أول من قابلهم من أهل القاهرة عن المركز العام للإخوان المسلمين، وهو يظن أنه يسأل عن أحد معالم القاهرة، فاعتقدوا أنه شخص ساذج.. وقالوا له: اتجه من هذا الطريق.. ثم أسأل هناك، فاتجه ثم سأله.. وهكذا، حتى قابل الإمام الشهيد قدراً وقد جاوز المركز العام بمسافة، فأخذه الأستاذ ورجع به المسافة، وقص على الأستاذ القصة وقال: كل من سألته صدقني إلا صاحب هذا المحل (وأشار على محل على بعد أمتار لا تتجاوز الخمسين متراً) إذ قال لي: امش إلى نهاية هذا الشارع (شارع الناصرية) فستجد ميدان السيدة زينب فاسأل هناك، ضحك الأستاذ المرشد، وفهم أن الدعوة حتى بعد انتقالها إلى القاهرة بثلاث سنوات ما زالت مجهولة حتى أن الجيران لا يعرفونها^(٢).

قال طبيب الماني - قبل أن يسلم - لزميله المسلم: إذا سُئلت غداً - كما تقول - عن سؤال القبر وحساب يوم القيامة سأقول: إن رسالة محمد لم تصلني تفصيلاً، ولم أطلع عليها بحثاً، إن أتباع محمد لم يبلغوني رسالته، ولم يدلوني على الطريق القويم، فهم يشاركونني في التقصير.

ماذا ستقول لربك غداً إذا سُئلت عن تبليغ الإسلام؟

من الذين هدى الله

الشاب النصراني إبراهيم يوسف الذي صار من دعاة الإسلام المخلصين، أخذ يدعو الدعاة إلى عدم الاكتفاء بالدعوة من فوق المنابر فقط، حيث لا ينبغي أن تحصر على المنابر والمساجد، وإنما على الداعية أن ينزل إلى التجمعات البشرية حيثما وجدت بعد أن يلم بظروفها ومعتقداتها؛ كي يمكنه الرد على أي استفسار يوجه إليه، كما يدعو المسلم إلى ممارسة

(١) مائة قصة وقصة، الهندي، ص ٥٥-٦٠.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٤٥.

الدعوة إلى الله حيث إن الدعوة مسئولية المسلمين جميعاً، عامتهم وخاصتهم^(١).

يقول الدكتور زغلول النجار: هذه طيبة في جيش القوات الأمريكية برتبة رائد، أسلمت، ثم علمت بعد قراءتها أنها لا يحل لها أن تحيا مع زوجها غير المسلم، فأتت وقالت: أنا متزوجة وعندي أطفال، وأنا حريصة على أسرتي، فماذا أفعل؟! فنصحها الإخوة بالاتصال بزوجها، عن طريق إرسال بعض الكتيبات والأشرطة عن الإسلام، ففعلت، ولكنه لم يسلم، فجاءت تشكو، فقالوا لها: ناقشيه على الهاتف.

وبالفعل بدأت تحاوره على الهاتف، لكنه لم يسلم أيضاً، فقالت: ماذا أفعل؟! فقالوا لها: ناقشيه، ونحن بجوارك نجيب عن تساؤلاته، وتمت المناقشة على الهاتف، حتى نطق الرجل بالشهادتين على الهاتف.

ثم بعد أن عادت إلى بلادها، أرسلت خطاباً لأحد الإخوة الذين كانوا يقومون بالدعوة هنا تقول له فيه: والله لقد أصبح هذا الرجل زوجاً مثالياً ومحباً وأكثر حرصاً على بيته آلاف المرات منه قبل أن يسلم.

هذه بعض القيادات التي أتت إلى هنا لتنصير المسلمين فعادت بالإسلام.. وهذا هو الإسلام، وهذا هو واجبنا تجاهه.

إسلام المغول

كان بركة خان أول من أسلم من أمراء المغول، وكان رئيساً للقبيلة الذهبية في روسيا، وقيل في سبب إسلامه: إنه تلاقى يوماً مع عير للتجار آتية من بخارى، ولما خلا بتاجرين منها سألهما عن عقائد الإسلام، فشرحاها له شرحاً مقنعاً انتهى إلى اعتناقه هذا الدين والإخلاص له. وقيل: إن إسلام (تغلق تيمور خان) ملك كاشغر كان على يد رجل من أهل بخارى، يقال له: الشيخ جمال الدين، وكان معه جماعة من التجار، وكانوا قد اعتدوا على الأراضي التي خصصها ذلك الأمير للصيد، فأمر بأن توثق أيديهم وأرجلهم، وأن يمثلوا بين يديه، ثم سألهم في غضب: كيف جرؤوا على دخول هذه الأرض؟

(١) مجلة الفيصل يناير ١٩٩٢م، (السر الحفي وراء إسلام هؤلاء، ٥٠/٢).

فأجاب الشيخ بأنهم غرباء، ولا يعلمون أنهم يجوسون أرضاً محرمة، ولما علم أنهم من الفرس قال: إن الكلب أغلى من أي فارسي، فأجاب الشيخ: نعم قد كنا أخس من الكلب وأبخس ثمناً منه لو أننا لم ندن بالدين الحق.

وراع الأمير ذلك الجواب، وأمر بأن يقدم إليه ذلك الفارسي الجسور عند عودته من الصيد، ولما خلا به سأل: ماذا يعني بهذه الكلمات؟ وما ذلك الدين؟

فعرض عليه الشيخ قواعد الإسلام في غيرة وحاس، انفطر لها قلب الأمير، حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع.

قال: ولكنني اعتنقت الإسلام الآن، فلن يكون من السهل أن أهدي رعاياي إلى الصراط المستقيم.. فلتمهلني قليلاً، فإذا ما آلت إلي مملكة أجدادي فعد إليّ، وقد كان، ودخل التار في الإسلام^(١).

كن متفائلاً ونشطاً في دعوة الناس، والعمل لدين الله.

إخلاص وعمل

يقول عمر التلمساني: كنت يوماً أجلس في حديقة السلامك الصغيرة، ومع زوجي وأطفالي والكتاكيت تقفز من حولنا، وجاء خفير العزبة يقول: اثنان أفندية يريدان مقابلتك، قلت: من أنبأهما أنني هنا؟ قال: كنت جالساً وبعض فلاحي العزبة فمرا علينا وألقيا علينا السلام، وقال أحدهما: هل يقيم في هذه العزبة أحد من أصحابها؟ قلنا: نعم. قالوا: وفيهم يعمل؟ قلنا: محامياً أهلياً.

قالوا: هل يصلي؟ قلنا: نعم، قالوا: فاستأذن لنا عليه.

قلت: أحضرهما.

وحضرا وسلما وجلسا، وعرفاني بنفسيهما، ورغم تجردهما من المؤهلات الدراسية، فقد كان مستوى حديثهما يفوق مستوى كثير من ذوي المؤهلات العلمية، ولم يضيعا وقتاً، ولكنهما بدءا الحديث عما جاء من أجله.

سألني أحدهما: ماذا تفعل خارج مهنتك؟ وبدا السؤال في نظري بعيداً عن مألوف اللياقة.

قلت ساخراً: أربي كتاكيت كما ترى. فاستمر في أسلوبه بعد أن كساه شيئاً من الجدية.
قال: وهل مسلم مثلك يضيع أوقاته في تربية الكتاكيت، وهناك من هو أولى باهتمامك؟
قلت مستفسراً: ومن هو ذلك الأولى؟

قال: وقد ازداد حماسة وجدية: إخوانك في العقيدة.
قلت: أولئك يتولى الأزهر أمرهم والحكومة معه.
قال: وهل تقوم الحكومة والأزهر بتحقيق ما تقول؟ فسكت.
ولكنه ألح علي في شيء من الخشونة.. مالك لا تحيب؟
فراوغ قائلاً: ماذا تريدان مني؟ دعوني وشأني.

فقال الآخر متلطفاً: إنك محق في ظاهر الأمر، فلتطلب منا أن ندعك وشأنك، ولكن هل ترضى لنفسك وقد منحك الله علماً وإقبالاً عليه.. هل ترضى لنفسك ألا تهتم بشأن المسلمين؟

قلت: وقد أحسست بشيء من التجاوب: عندي الرغبة، ولكنني غير متبين معالم الطريق.
قال: لا عليك في هذا.. ضع يدك في أيدينا ندلك على الطريق.
قلت: بلا روية ولا استعداد ولا تفكير.

قال: وهل حال المسلمين اليوم يرى تريثاً بعد ما ترى من سوء حالهم؟
قلت جانحاً للتعاون معهم: من أنتم؟ وما طريقة عملكم؟ وما دعوتكم؟
قالا معاً: نحن جماعة الإخوان المسلمين.
قلت: لم أسمع عن هذه الجماعة من قبل.
قالا: ها أنت قد سمعت، فما عساك فاعل؟

قلت: أعرف المنهاج.

قالا: كتاب الله وسنة رسوله.

قلت: وكيف أتصل بهذه الجماعة؟

قالا: سنزورك غداً إن شاء الله.

وفي الغد جاء إلى المكتب وكأنهما قد أمسكا بصيد. وقال أحدهما: ما قرارك؟

قلت: خيراً.. إني لمست في كلامكما جدية ما لي بها من عهد، ورأيت فيها تدعواني إليه خيراً كثيراً لي أولاً وللمسلمين ثانياً.

قال: إذن سأحدد لك موعداً تلقى فيه فضيلة المرشد العام.

وأفاض فضيلته في شرح أهداف الدعوة ووسائلها المشروعة، وكان يتكلم في صدق المخلصين وأسى المحزونين على ما يصيب المسلمين في أنحاء الأرض.

ولما أنهى حديثه سألتني: هل اقتنعت؟

وقبل أن أجيب قال في حزم: لا تجب الآن.. وأمامك أسبوع تراود فيه نفسك، فلإني لا أدعوك لنزهة، ولكنني أعرضك لمشقات، فإن شرح الله صدرك فتعال الأسبوع القادم للبيعة، وإن تخرجت فيكفيني منك أن تكون صديقاً للإخوان المسلمين.

وعدت في الموعد.. وبايعت.. وتوكلت على الله^(١).

يقول فتحي يكن: إن الداعية الحق هو الذي يعيش لسواه لا لنفسه، ويكون ديدنه الدوران حول مجتمعه وحول المسلمين وليس حول ذاته، وهو الذي يعمل على توفير الراحة للآخرين، ولو على حساب راحته.. فإذا قامت الوشائج بين الداعية والناس تحقق الوصال والاتصال، وتحقق التأثير والأثر، ونجحت المهمة، وآتت الدعوة أكلها بإذن ربها، وإن كان غير ذلك لم تكن دعوة ولا داعية^(٢).

الفهم الجيد للإسلام

عبد الله بن المبارك كان يربط في سبيل الله بثغر من ثغور المسلمين يُبعث برسالة إلى أخيه

(١) الدعوة الفردية بين النظرية والتطبيق، ص ٢٣-٢٦.

(٢) الاستيعاب، ص ٦٤.

الفضيل بن عياض يعاتبه فيها لأنه ترك الرباط في سبيل الله، وانقطع لعبادة الله في المسجد الحرام يقول له:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن غيرنا رهج السنايك والغبار الطيب

يقول الأستاذ البهي الخولي في «تذكرة الدعاة»:

ولقد كتب ابن المبارك هذا الكلام لصديقه في وقت لم يكن فيه الجهاد فرض عين، ومع هذا وصف عبادته بأنها لعب، وهي عبادة تقع في أشرف بقعة على ظهر الأرض، ترى ماذا كان يقول ابن المبارك لصديقه لو أن الجهاد فرض عين؟

وماذا كان يقول عن العبادة لو أنها كانت في غير المسجد الحرام؟!

العزيمة القوية

حدث أكثر من مرة أن قاد صلاح الدين وهو مريض، وأخذ ينظم جيوشه ويقاثل أعداءه، وهو يعاني آلام المرض، وابن شداد يتعجب من ذلك فيرد عليه صلاح الدين قائلاً: إذا ركبت يزول عني ألمها.

يقول فتحي يكن: «الداعية لا تكون دعوته بحمل الأفكار والنظريات المجردة إلى من حوله.. قبلوها أم رفضوها، وإنما أن يعيش هذه الأفكار معهم، ويترجمها لهم على أرض الواقع أفعالاً وأخلاقاً وممارسات، والداعية لا تكون دعوته بمفاصلة الناس وإقامة الحجة عليهم، وإنما بأخذ كل الأسباب التي تؤدي إلى هدايتهم.

فهو من موقع الحب لهم، والغيرة عليهم، والرحمة بهم يكابد من أجل استنقاذهم من حمة الجاهلية وشقوتها إلى نعيم الإسلام، ولذلك فهو لا يسارع إلى مدابرتهم ومقاطعتهم ومفاصلتهم، وهذا كله يحتاج منه إلى حلم ورفق.

إن على الداعية أن يعتبر نفسه مربيًا للناس ومعلمًا لهم، وإن عليه ليكون ناجحًا في تربيته وتعليمه ألا يعاملهم كأنداد، وألا يتعامل معهم كند، وهو إن فعل ذلك أصبح مثلهم، وفقد عنصر القوامة عليهم، يقول الراشد: ولا يكون داعية اليوم إلا من يفتش عن الناس ويبحث عنهم، ويسأل عن أخبارهم، ويرحل للقائهم، ويזורهم في مجالسهم ومتدياتهم، ومن انتظر مجيء الناس إليه في مسجده أو بيته فإن الأيام تبقى وحده، ويتعلم فن التأؤب^(١).

لو خرجنا بواحد لكفى

يقول الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله: ذهبت مع الإمام الشهيد مرة إلى مدينة طوخ بالقلوبية، وكان الحفل حاشدًا، والتهافتات عالية، وفي الطريق سألتني فضيلته: ما رأيك في الحفل؟ قلت: إن الصخب شديد، والأصوات العالية لا تطمئنني كالطبل الأجوف، قال: اسمع، نحن على قدم رسول الله، كان يعرض نفسه على الناس في الأسواق، فلا يلقي إلا السخرية والإيذاء، فهلا نصبر على بطاء الاستجابة، إننا لو خرجنا من هذه الآلاف بواحد فقط، فذلك خير من الدنيا وما فيها^(٢).

(١) المنطلق، ص ١٢٦.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٤٣.

الجهاد

معنى الجهاد لغة: هو استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل.
وفي الاصطلاح: بذل المسلم طاقته وجهده في نصرته الإسلام ابتغاء مرضاة الله.
ويقول الأستاذ سعيد البوطي: الجهاد هو بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله، والقتال نوع من أنواعه، وأما غايته فهي إقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة.

الجهاد في كتاب الله

يقول تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

ويقول سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ تُوَمِّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٣].

وآيات الجهاد كثيرة.

ومن أحاديث النبي ﷺ نذكر منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»^(١).

«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْغَدَوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(٢).

وقال ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجِرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانُ»^(٣)^(٤).

وبين ﷺ منزلة المجاهدين في سبيل الله في الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٥).

وقال ﷺ: «عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»^(٦).

وقال ﷺ: «الحليل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغرم»^(٧).

جهاد النفس

كان الأحف بن قيس يحمي إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول

-
- (١) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: من قال إن الإيمان هو العمل، ح (٢٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
 (٢) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، (٢٧٣٥)، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.
 (٣) أي يؤمن من كل ذي فتنة.
 (٤) مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله ﷺ، ح (١٩١٣).
 (٥) البخاري، كتاب: التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء، ح (٦٩٨٧).
 (٦) الترمذي، كتاب: فضائل الجهاد، باب: فضل الحرس في سبيل الله، ح (١٦٣٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: حسن، وقال الألباني: صحيح.
 (٧) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجهاد - ماض مع البر والفاجر، ح (٢٦٩٧)، عن عروة البارقي رضي الله عنه.

لنفسه: يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟^(١)
ومر حسان بن أبي سنان بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه، فقال: تسألين
عما لا يعينك؟ لأعاقبك بصيام سنة، فصامها^(٢).

وقال محمد بن المنكدر: إنني خلفت زياد بن أبي زياد وهو يخاطب نفسه في المسجد،
يقول: اجلسي، أين تريد أن تذهبي؟ أخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري إلى ما
فيه، تريد أن تبصري دار فلان، ودار فلان؟

قال: وكان يقول لنفسه: مالك من الطعام يا نفسي إلا هذا الخبز والزيت، ومالك من
الثياب إلا هذان الثوبان، ومالك من النساء إلا هذه العجوز، أفتحيين أن تموتي؟ فقالت: أنا
أصبر على هذا العيش^(٣).

هل تحرص على تدريب نفسك على تناول أطعمة لا تحبها، وتقلل من المشروبات المفضلة
لديك؟

الجهاد بالمال

دعم أبو بكر الدعوة بالمال والرجال والأفراد، فراح يشتري العبيد والإماء المملوكين من
المؤمنين والمؤمنات، فقد أعتق النهدي وبناتها، وكانت لامرأة من بني عبد الدار، مربها وقد
بعثتها سيدتها بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: حل يا أم فلان،
فقال: حل أنت، أفسدتها فأعتقهما، قال: فيكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. فقال: قد أخذتها
وهما حرتان أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن
شئتما^(٤).

وهنا وقفة تأمل ترينا كيف سوى الإسلام بين الصديق والجاريين حتى خاطبته خطاب
الند للند، لا خطاب المسود للسيد، وتقبل الصديق على شرفه وجلالته في الجاهلية والإسلام

(١) الزهد، أحمد بن حنبل، ص ٢٣٥.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، ٤ / ٢٧٥.

(٣) السابق، ٥ / ٣٩.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢ / ١٦١.

منهما ذلك، مع أن له يد عليهما بالعتق، وكيف صقل الإسلام الجاريتين حتى تخلقتا بهذا الخلق الكريم، وكان يمكنهما وقد أعتقتا وتحررتا من الظلم أن تدعاهما طحينها يذهب أدراج الرياح، أو يأكله الحيوان والطير، ولكنهما أبنا تفضلاً، إلا أن تفرغاً منه، وترداه إليهما.

ومر الصديق بجارية بني مؤمل -حي من بني عدي بن كعب- وكانت مسلمة، وعمر ابن الخطاب يعذبها لترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك يضربها، حتى إذا مل قال: إني أعتذر إليك إني لم أتركك إلا عن ملال فتقول: فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر فأعتقها^(١).

تحويل شيك للمجاهدين

أرسلت وزارة الثقافة بدولة الإمارات دعوة للأستاذ عمر التلمساني عام ١٩٨٢م فلبى الدعوة، وألقى محاضرة في النادي الثقافي بأبي ظبي حيث جاء جمع غفير ملأ القاعة لم يأت قبله مثله. وعقد التلفزيون عدة ندوات مع الأستاذ المرشد وكذلك جريدة الاتحاد. وفي نهاية الزيارة قدمت الوزارة تحية لضيفها الكبير شيكاً بخمسة وثلاثين ألف درهم، فشكر الأستاذ عمر لهم هذا الصنيع الكريم. ثم قال للأستاذ جابر رزق في الحال: حوّل هذا الشيك إلى المجاهدين الأفغان^(٢).

هل أنت على استعداد أن تصرف حافظاً من حوافز عملك لإخوانك في فلسطين؟

الجهاد التعليمي

قال البخاري: لما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلا وله قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب^(٣).

وقال: وما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين^(٤).

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس،

(١) أبو بكر الصديق، الصلابي، ص ٤٨.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٠٠/١٢.

(٤) "سابق"، ٤٠٢/١٢.

فتخلفت عني نفقتي، حتى جعلت أتناول الحشيش، ولا أخبر بذلك أحداً، فلما كان اليوم الثالث، أتاني آت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك^(١).

وقال الضريبي: أملى البخاري يوماً عليّ أحاديث كثيرة، فخاف ملائي، فقال: طب نفساً، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجارهم، وأنت مع النبي وأصحابه^(٢).

وقال حاشد بن إسماعيل وآخر: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلام، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنما أكثرتما عليّ وألححتما، فأعرضا عليّ ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أيّ أختلف هدرًا، وأضيع عمري؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد^(٣).

أحرص على طلب العلم ونشره ابتغاء وجه الله.

الجهاد السياسي

عالم أزهري والخديو إسماعيل

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر، لوقوع الخلاف بين قوادها وجيوشها، ضاق صدر الخديو لذلك، فركب يوماً مع شريف باشا وهو مخرج، فأراد أن يفرج عن نفسه فقال لشريف باشا: ماذا تصنع حينما تلم لك مُلْمة تريد أن تدفعها؟ فقال: يا أفندينا، إن الله عودني إذا حاق بي شيء من ذلك أن أُلْجأ إلى صحيح البخاري، يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس، فيفرج الله عني.

قال: فكلّم الخديو شيخ الأزهر - وكان الشيخ العروسي - فجمع له صلحاء العلماء يتلون صحيح البخاري أمام القبة القديمة في الأزهر.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٤٨/١٢.

(٢) السابق، ٤٤٥/١٢.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦١/٥٢.

قال: ومع ذلك ظلت الهزائم تتوالى، فذهب الخديو ومعه شريف إلى العلماء، وقال محققاً: إما أن هذا الذي تقرأونه ليس صحيح البخاري، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئاً.

فوجم العلماء، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له: منك يا إسماعيل، فإننا روينا عن النبي أنه قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم، فلا يستجاب لهم» فزاد وجم الشيوخ، وانصرف الخديو ومعه شريف، ولم ينسأ بكلمة، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديو ما قال؟

فقال الشيخ: أنا، فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونهم وداع من لا يأمل أن يرجع، وسار شريف بالشيخ إلى أن دخلا على الخديو في قصره، فوجدها قاعدًا في البهو، وأمامه كرسي أجلس الشيخ عليه، قال له: يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر؟ فأعاد عليه الشيخ كلمته، وردد الحديث وشرحه، فقال له الخديو: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا البلاء.

قال له: يا أفندينا أليست المحاكم المختلطة فتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخمر مباحًا؟ أليس؟ أليس؟ وعدد له منكرات تجري بلا إنكار، وقال: كيف تنتظر النصر من السماء؟

فقال الخديو: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه هي مدنيتهم؟

قال الشيخ: إذن ما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟ ففكر الخديو ملياً، وأطرق طويلاً ثم قال له: صدقت، صدقت^(١).

هل تجهز بكلمة الحق لإعلاء دين الله، وتصحيح المفاهيم الخاطئة؟

جهاد الأعداء

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة.

(١) مائة موقف من حياة العظماء، ص ٤٥، ٤٦.

فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً، وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان أحداً ليذهب فيلتمس الرحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقى على كبده^(١).

وعن أبي السائب: أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو قلت لأخي -أو قال لي-: أنفوتنا غزوة مع رسول الله؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما أنا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله، وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون^(٢).

وعن ابن عمر قال: أمر رسول الله في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة» قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعة وتسعين من ضربة ورمية^(٣).

ستار القدرة

يقول سيد قطب: إن المؤمنين ستار القدرة، يفعل الله بهم ما يريد، وينفذ بهم ما يختاره بإذنه، ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول ولا قوة، ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته، فيكون منهم ما يريد بإذنه، وهي حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين^(٤).

وقفه

قال البنا: إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهم الذي أدلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٧٩/٨.

(٢) حياة الصحابة، الكاندهلوي، ٣٥٠/١.

(٣) البخاري، كتاب: المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ح (٤٠١٣).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٧٠/١.

واعلموا أن الموت لا بد منه، وأنه لا يكن إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فاعملوا للموتة الكبرى تظفروا بالسعادة الكاملة.

عزاء والد الشهيد

يقول الأستاذ عمر التلمساني: لقد أحيا الإمام الشهيد البنا روح الجهاد في نفوس أبناء هذا الجيل، وتأثر الإمام، وتأثر الشباب، وتأثر آباؤهم وكانت مواقف رائعة. استشهد أحد أبناء الإخوان في فلسطين، فذهب الإمام إلى والد الشهيد ليعزيه، فسمع الناس ورأوا درسا باهرا، وقال الوالد للإمام: إن كنت جئت معزيا فارجع أنت ومن معك. وأما إن كنت جئت لتهتني فمرحبا بك وبمن معك. لقد علمتنا الجهاد وبينت لنا ما فيه من عزة ورفعة في الدنيا، وأجر كريم في الآخرة فجزاك الله خيرا، وإني لحريص على مضاعفة الأجر، فها هو ولدي الثاني، أقسمت عليك لتصحبه إلى ميادين الجهاد، فانهمرت الدموع، وعلا النشيج، وتصادعت الزفرات^(١).

الرحمة في الجهاد الإسلامي

لما كانت الغاية في الجهاد الإسلامي أنبل الغايات، كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل، فقد حرم الله العدوان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة.

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون، ولا يمثلون ولا يسرقون، ولا ينتهبون

الأموال، ولا يتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى، فهم في حربهم غير محاربين كما أنهم في سلمهم أفضل مسالين.

عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً...»^(١).

كما ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجرحى، وإهانة الرهبان ومن لا يقاتل من الأمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدنين الخائقة وفضائعهم الشنيعة؟ وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل؟ اللهم فقه المسلمين في دينهم، وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام.

من جهاد الأبطال

لقد اعتقل يوسف طلعت وإخوانه عام ١٩٤٩م وهم في ميدان الجهاد في فلسطين، وأقيم له معسكر اعتقال بإشراف الجيش المصري، ثم نقلوا إلى معتقل الطور، وحين خرج من المعتقل لم يهدأ، بل ظل يهاجم الإنجليز في المعسكرات بقناة السويس مع أخيه محمد فرغلي والإخوان المجاهدين، حتى إن الإنجليز وضعوا جائزة قيمة لمن يعثر عليه أو على أخيه الشيخ فرغلي حياً أو ميتاً، فما كان منه إلا أن خرج أمامهم متكراً في هيئة شيخ كبير السن يحمل طفلاً رضيعاً، فلم يتعرضوا له لما يتمتع به من هدوء الأعصاب، والقدرة على تجاوز الصعاب دون أدنى خوف أو وجل^(٢).

يقول نجل الشهيد عبد العزيز الرنتيسي - قبيل وفاة أبيه -: أستيقظ أبي واغتسل وتعطر، وأخذ ينشد - على غير عادته - نشيداً إسلامياً مطلعته: أن تدخلني رب الجنة هذا أقصى ما أتمنى، وأضاف: التفت إلى والدتي وقال لها: إنها أفضل الكلمات التي أحبها في حياتي، وحينها شعرت بالقلق^(٣).

(١) مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعث...، ح (١٧٣١)، عن سليمان بن أبي بريدة رضي الله عنه.

(٢) من أعلام الحركة الإسلامية، ص ٥٥٥.

(٣) مذكرات الشهيد الرنتيسي، ص ١٢.

المسلمون - جهاد

كلمة المسلمين «معرفة ونكرة» وردت في القرآن ٤١ مرة، وكذلك كلمة الجهاد بمشتقاتها وردت ٤١ مرة في القرآن الكريم، وفي هذا إشارة إلى أن المسلمين = جهاد، أي لا مسلمون بلا جهاد ولا جهاد بلا مسلمين، فكأن الجهاد المقدس لا يصدر إلا من مسلم، وليس هناك مسلم إلا ويجاهد لرفعة دينه^(١).

حب الشهادة

في إحدى معارك ١٩٤٨ م بفلسطين يقول أحمد عيد: كانت ذراع أحد المجاهدين تنزف بغزارة، تقدمت منه وحاولت أن أثنيه عن عزمه بجذبه أو هزه؛ لعله في غيبوبة فيفيق منها فنظر إليّ بعينين براقتين، وقال: ليتها كانت القاضية يا أخي، إنني أشم رائحة الجنة فكيف تحرمني من هذا النعيم؟

دعني أمضي في سبيلي، فلم أر مناصاً من موافقته على ما أراد، وأذعن لمشيئته، ومضينا صعوداً والنيران تنهمر كأفواه القرب، غزارة ثم طيشاً، إلى غير هدف كأن أيدي خفية تصدها عنا، وتحميننا من لظاها، وكنا كلما اقتربنا من خط العدو انفرجت أساريرنا وزاد حماسنا.

فجأة ظهرنا بمجموعاتنا كاملة، وفي أيدينا خناجر، تلمع وتضيء، فتمزق أستار الليل، وتمزق جنود العدو الهارب.

ورحنا نتنادى ونتعارف، الله أكبر والله الحمد، والمواقع تنهار، وكأنها الهشيم، وسكن الكون إلا عن صدى النداء المعظم «الله أكبر»، بحثت عن الأخ الجريح، فوجدت مشهداً مؤثراً بالغ الروعة، وجدته مرمياً فوق جثة أحد الصهاينة ويداه مطبقتان على عنقه وآلصهيوني جاحظ عيناه، قد فارق الحياة.

جذبت الأخ برفق فإذا خنجره في صدره، لقد صمم على الشهادة فناها، وأراد سبيل الله فمضى فيها.

(١) لإيظاظ الغافلين، ص ١٩٨.

وبصعوبة بالغة استطعت أن أنزع يديه عن عنق الصهيوني، وكأنها أصبحت قطعة واحدة^(١).

نموذج المجاهد

يقول البنا: أستطيع أن أتصور المجاهد شخصاً قد أعد عدته وأخذ أهبطه، وقلب عليه الفكر فيما هو فيه نواصي نفسه وجوانب قلبه، فهو دائم التفكير، عظيم الاهتمام على قدم الاستعداد أبداً، إن دُعي أجاب، أو نودي لبى، غدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجده ولعبه، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته، يجاهد في سبيلها، تقرأ في قسماً وجهه، وترى في بريق عينيه، وتسمع من فلتات لسانه ما يدل على ما يضطرم في قلبه من جوى لاصق وسر دفين، وما تفيض به نفسه من عزم صادق وهمة عالية وغاية بعيدة.

أما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه، ويأكل ملء ماضغيه، ويضحك ملء شذقيه، يقضي وقته لاهياً عابثاً ماجناً، فهيهات أن يكون من الفائزين أو يكتب في عداد المجاهدين.

خطبة ثورية

خطب الشيخ الشهيد أحمد ياسين ذات مرة، وكان يبدو منفعلاً فجاءت كلماته رصاصاً في قلب الأعداء، برداً وسلاماً على قلوب الأحباب والإخوان، قال رحمه الله: والآن وقد بدأت الصحوة الإسلامية في الشرق وفي الغرب، وفي كل مكان فلا بد لكل مسلم أن يسأل نفسه: ما هو دوري في هذه الصحوة؟ وما هو دوري في معركة الإسلام؟ أين أقف الآن؟ وما هو موقعي؟ إنه ليس من الحكمة أن نقف - فقط - ونلعن الظلام، بل لابد أن نضيء الشموع لنطرد الظلام ونبدد الحلكة. إن دعوة الله أمانة وهي بين أيدينا، فعلياً أن نبلغها للناس بالسلوك الحميد واللمحة الطيبة والمعاملة الحسنة، علينا أن نبلغها بالدفاع عنها بالفكر والجهاد والقلم واليد واللسان، حتى تصل إلى الناس جميعاً، وحتى نؤدي واجب هذه الدعوة^(٢).

(١) مواقف إيمانية، أحمد عيد، ص ٥٠، ٥١.

(٢) شهيد أيقظ أمة، ص ٨٥.

حزن عميق

والله إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لما حل بأمة الإسلام لمحزونون!!
أهذه هي الأمة التي زكاها ربها، وكرمها في قرآنه حين قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أهذه هي الأمة التي زكاها ربها بالاعتدال والوسطية، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].
أهذه هي الأمة التي زكاها الله في القرآن بالألفة والوحدة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ألا يا نفس ويمحك ساعديني بسعي منك في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بطيب العيش في تلك الفلاي

الخوف من الله دفعه للشهادة

ثابت بن قيس رآه رسول الله ﷺ ذات يوم هلعًا جزعًا ترتعد فرائضه خوفًا وخشية،
فقال له: «ما بك يا أبا محمد؟!» فقال: أخشى أن أكون قد هلكت يا رسول الله. قال: «ولم؟!»
قال: لقد نهانا الله عز وجل عن أن نحب أن نحمد بما لم نفعل، وأجدي أحب الحمد، ونهانا
عن الخيلاء، وأجدي أحب الزهو، فما زال الرسول صلوات الله وسلامه عليه يهدئ من روعه
حتى قال: «يا ثابت، ألا ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟» فأشرق وجهه
ثابت بهذه البشري، وقال: بلى يا رسول الله، بلى يا رسول الله، فقال الرسول: «إن لك
ذلك»^(١).

فأقبل ثابت على الجهاد، لطلب الشهادة ودخول الجنة، ومضى به الأجل إلى حروب
الردة ضد مسيلمة الكذاب ومدعي النبوة، وفيها تحنط ثابت وتكفن ووقف على رؤوس
الأشهاد وقال: يا معشر المسلمين، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله؛ بش ما عودتم أعداءكم
من الجرأة عليكم، وبش ما عودتم أنفسكم من الانخدال لهم، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال:

(١) الموطأ، رواية محمد بن الحسن، ٣/ ٤٤٥.

اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء من الشرك -يعني مسيلمة وقومه، وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء -يعني المسلمين.

ثم هب هبة الأسد الضاري كتفًا لكتف مع الغر الميامين: البراء بن مالك الأنصاري، وزيد بن الخطاب أخو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم وغيرهم من المؤمنين السابقين، وأبلى بلاء عظيمًا ملأ قلوب المسلمين حمية وعزمًا، وشحن أفئدة المشركين وهنًا ورعبًا. وما زال يجالّد في كل اتجاه، ويضارب بكل سلاح حتى أنختته الجراح، فخر صريعًا على أرض المعركة، قرير العين بما كتب الله له من الشهادة التي بشره بها حبيبه رسول الله ﷺ مثلوج الصدر بما حقق الله على يديه للمسلمين من النصر.

ولم يقف بهم الشوق إلى الشهادة لنيل الجنة إلى هذا الحد، ولكنهم وجدوا ربح الجنة في مكان نيلها، وهم أحياء قبل الشهادة^(١).

يا فلسطين

كيف أبدي بأحرف ما أريد وبماذا تراه يحكي القصيد
كل يوم تدق بابي عظمات ويهز الفؤاد خطب جديد
لك الله يا شعب فلسطين، صراخ وعويل وأنين، وقتل وتشريد للمدنيين، هتك عرض، ونهب أرض، وهدم بيوت، وأنفس تقتل وتموت، وآلاف المعتقلين بالسجون، وجرحى ومصابون، وآخرون مشوهون ومعاقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كيف ننام ملء جفوننا، ونحن نرى صور الأمهات الشكالي، وهن يتحنن بجوار جثث أبنائهن وأزواجهن. نساء ضعيفات عجائز كبيرات يرمقن الجنائز بعين الأسى والحسرة.

إلى متى تلك المجازر يا بني قومي أما اهتزت لكم أعراق
أوليس من قُتلوا ومن صُلبوا لنا أهلاً فأين البر والإشفاق
إن لم يكن دين فكل فضيلة هدر وليس لكافر ميثاق
واضيعة الإسلام في أوطانه ضاقت به وبأهله الآفاق

في كل ناحية أنين ثواكل وأرامل تغلي بها الأعماق
أرثي لأوطاني ومن باتوا على غفلاتهم والغافلون أفاقوا
فمتى سينقشع الظلام ويرتقي علم الجهاد الظافر الخفاق

البطل الليبي

البطل الليبي «عمر المختار» الذي حارب الاستعمار الإيطالي، وجيوشه المجهزة بأحدث أسلحة عصره، بالقلعة المؤمنة العزلاء، أو شبه العزلاء من جنده؛ وقف يحارب الطائفة بالحصان، والمدفع بالسيف، واستطاع أن ينزل بأعدائه ضربات موجعة، ولم يرض بالتسليم ساعة ما، رغم نفاد قوته المادية كلها، ولكنه ظل يقول للطليلان: لئن كسر المدفع سيفي، فلن يكسر الباطل حقي.

وكان مريضاً بالحمى، تهرعدتها جسده، وترتعد بها فرائضه، ورغم هذا قال لجنوده: اربطوني على ظهر جوادي بالحبال حتى لا أتخلف عن القتال معكم.

وحين ظفر به الجيش المستعمر وحكموا عليه بالإعدام تقبل الحكم برحابة صدر، وابتسامة سخرية، وقال له بعضهم - قبل تنفيذ الحكم: اطلب العفو ونحن نطلق سراحك، فأجابهم بكل إباء وشمم: لو أطلقتكم سراحي لعدت لمحاربتكم من جديد^(١).

اللهم احشرنى من حواصل الطير

عن أبي قدامة الشامي قال: كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس وركبت فرسي وسرت إلى منزلي فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تُنادي: يا أبا قدامة، فقلت: هذه مكيدة من الشيطان. فمضيت ولم أجب.

ف قالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت، فجاءت ودفعت إلى رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية.

ف نظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا في الثواب، ولا قدرة

لي على ذلك فقطعت أحسن ما في، وهما صغيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي.

فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل فتقدمت إليه وقلت: يا فتى أنت غلام غر راجل ولا أمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا.

فقال: أتأمرني بالرجوع؟ وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ۚ وَمَنْ يُؤْمِدْ ذُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِقَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

فحملته على هجين كان معي فقال: يا أبا قدامة ثلاثة أسهم.

فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلح علي حتى قلت بشرط: إن من الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك.

قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهمًا في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. ورمى به فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك يا أبا قدامة فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم فوق بين عينيه فوضع رأسه على قربوس^(١) سرجه.

فتقدمت إليه وقلت: لا تنسها.

فقال: نعم ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأئت والدتي وسلم خرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلم عليها فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي، ثم مات.

فحفرت له ودفنته، فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها.

فقال أصحابي: إنه غلام غر ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا.

(١) قربوس: الجزء المرتفع من مقدمة السرج.

فقمّت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل فسمعت صوتاً يقول: يا أبا قدامة أنزل ولي الله.

فما برحت حتى نزلت عليه طيور فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته إلي فلما رأتني عادت وقالت: يا أمّاه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إلي فقالت: أمعزياً أم مهنتاً؟

فقلت: ما معنى هذا؟

فقالت: إن كان مات فعزني، وإن كان استشهد فهنتني.

فقلت: لا بل مات شهيداً.

فقالت: له علامة فهل رأيتها.

قلت: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفتها.

فقالت: الحمد لله. فسلمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت منه مسحاً وغلاً من حديد.

وقالت: إنه كان إذا جنه الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وقال في مناجاته: اللهم احشني من حواصل الطيور. فقد استجاب الله دعاءه^(١).

صور أخرى

وذكر البنا رحمه الله صوراً وألواناً أخرى للجهاد فقال:

١ - من الجهاد في الإسلام أيها الحبيب:

عاطفة حية قوية تفيض حناناً إلى عز الإسلام ومجده، وتهفو شوقاً إلى سلطانه، وتبكي حزناً على ما وصل إليه المسلمون من ضعف، وما وقعوا فيه من مهانة، وتشتعل ألماً على هذه الحال التي لا ترضي الله ولا ترضي الرسول ﷺ.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

(١) الأولياء، ابن أبي الدنيا، ص ٤٦.

٢- من الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب:

أن يملكك هذا الهم الدائم والجوى اللاحق على التفكير الجيد في طريق النجاة، وتلمس سبيل الخلاص، وقضاء وقت طويل في فكرة عميقة تمحص بها سبل العمل وتلمس فيها أوجه الحيل لعلك تجد لأمتك منفذاً أو تصادف منفذاً، ونية المرء خير من عمله، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٣- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب:

أن تنزل عن بعض وقتك وبعض مالك، وبعض مطالب نفسك لخير الإسلام والمسلمين، فإن كنت قائداً ففي مطالب القيادة تنفق، وإن كنت تابعاً ففي مساعدة الداعين تفعل، وفي كل خير، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: ٩٥].

٤- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب:

أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وأن تنصح الله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن تدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وما ترك قوم التناصح إلا ذلوا، وما أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا خذلوا، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

٥- ومن الجهاد في سبيل الله: أن تتنكر لمن تنكر لدينه، وأن تقاطع من يعادي الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة، ولا مؤاكلة ولا مشاركة..

٦- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب:

أن تكون جندياً لله تقف له نفسك ومالك لا تبقى على ذلك من شيء، فإذا هدد مجد الإسلام وديست كرامته ودوى نفير النهضة لاستعادة مجد الإسلام كنت أول مجيب للنداء، وأول متقدم للجهاد، وبذلك يتحقق ما يريد الله من نشر الإسلام حتى يعم الأرض جميعاً.

٧- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب:

أن تعمل على إقامة ميزان العدل وإصلاح شئون الخلق، وإنصاف المظلوم والضرب على

يد الظالم، مهما كان مركزه وسلطانه، جاء في الحديث: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان أو أمير جائر»^(١).

وجاء أيضاً: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»^(٢).

٨- ومن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى:

إن لم توفق إلى شيء من ذلك كله أن تحب المجاهدين من كل قلبك، وتنصح لهم بمحض رأيك، وقد كتب الله لك بذلك الأجر وأخلاقك من التبعة، ولا تكن غير ذلك فيطبع الله على قلبك ويؤاخذك أشد المؤاخذة.

(١) أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، ح(٤٣٤٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الألباني: صحيح.
(٢) الحاكم في المستدرک، کتاب: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ح(٤٨٨٤)، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

التضحية

لا جهاد بلا تضحية، فمن ظن أنه يستطيع أن يجاهد في سبيل الله وينتصر دون تضحية فقد خاب ظنه، والتضحية ألوان متعددة: بالمال، والوقت، والجهد، والأهل، والعشيرة، بل والنفس في سبيل نشر الدعوة، وإقامة الدين وحفظه، وهكذا أقيم المجتمع المسلم الأول على أكتاف رجال ضحوا بكل شيء.

إن أهل الباطل يتفانون في الدفاع عن باطلهم، ويغتنمون الفرص المناسبة للهجوم على المعتقدات التي يرون أنها تهدد وجود باطلهم الذي يتوقف وجودهم عليه، قال تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِنهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۖ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۖ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ۚ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ۖ﴾ [ص: ٥-٨] فأين أهل الحق من التضحية من أجل دينهم؟!

من أنواع التضحية

١- تضحية بالعلاقات الاجتماعية

قال ابن إسحاق: قال عمر بن الخطاب ؓ: لما قدمنا المدينة نزلت مع عياش بن أبي ربيعة في بني عمرو بن عوف بقاء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاها لأمهها، حتى قدما علينا المدينة ورسول الله بمكة، فكلما وقالوا له: إن أملك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها.

وهكذا ندرك كيف يبذل دعاة الضلال من وقتهم وجهدهم وأموالهم في سبيل نصره باطلهم، ومحاولة إخماد دعوة الحق، حيث خرج أبو جهل وأخوه من مكة إلى المدينة وتحملا عناء السفر من أجل محاولة فتنه فرد واحد عن دينه، أفلا يتحمل المسلمون مثل هذا الجهد أو

أفضل منه من أجل دعوة الناس إلى الرشد واتباع الحق؟!

لقد حاول أبو جهل أن يدخل على عياش من الجانب المؤثر عليه، حيث ذكر وضع أمه ليكسب موافقته على العودة، وهو يعلم أن عياش من أهل البر والصلة.

قال عمر: يا عياش، إنه والله إن يريد القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو آذى أمك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

فقال عياش: أبر قسم أُمي، ولي هناك مال فأخذه، وهنا وقع عياش في شباك عاطفة القرابة، فقال عمر: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا فلك نصف مالي ولا تذهب معها، قال: فأبى عليّ إلا أن يخرج معها، فلما أبى إلا ذلك قال: قلت له: أما إذ قد فعلت فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجية ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها.

وهذه تضحية كبيرة من عمر حيث تنازل لعياش عن نصف ماله وعن ناقتة، والمال من أعز المحبوبات لدى الإنسان.

قال عمر: فخرج عليها - يعني على ناقة عمر - معها حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظ عليّ بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى، قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتن. قالوا: يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهاكم كما فعلنا بسفيها هذا^(١).

وفي ذلك عبرة للمسلمين حتى لا يأمنوا الكفار، وإن أظهروا لهم المودة وقدموا لهم المعونة، إن ذلك نوع من الطعم الذي يصطادون به المسلمين، قال تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

محاولة اغتيال فاشلة

روى ابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يوماً، ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام فقام إليه عقبه

بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ساقطاً، وتصايح الناس حتى ظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر يشتد، حتى أخذ بضبعي رسول الله من ورائه وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

ثم انصرفوا عن النبي ﷺ، فقام رسول الله ﷺ فصلى، فلما قضى صلاته مريمهم - وهم جلوس في ظل الكعبة - فقال: يا معشر قريش: «أما والذي نفس محمد بيده: ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه» فقال له أبو جهل: ما كنت جهولاً، فقال رسول الله ﷺ: «أنت منهم»^(١).

وتحمل الرسول الكثير من الإيذاء من أجل دعوة الناس إلى الخير، فلا تجزع من أول بلاء وتذكر تضحية الرسول ﷺ.

إيذاء شديد:

عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاها (هو عقبة بن أبي معيط)، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة رضي الله عنها - وهي جويرية - فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ حتى ألقته عنه، وأقبلت تسبهم.

فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش» ثم سمي: «اللهم عليك بعمر بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط، وعبارة بن الوليد» قال ابن مسعود: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القلب - قلب بدر - ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القلب لعنة»^(٢).

(١) صحيح ابن حبان، ٥٢٩/١٤.

(٢) البخاري، أبواب سترة المصلي، باب: المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، ح (٤٩٨).

احذر المعوقات

يقول فتحي يكن: لقد اختارت القيادة مجموعة من الإخوة لحرب الإنجليز المحتلين في القناة سنة ١٩٥١م، وعند السفر قال لهم أخ: أمهلوني يوماً واحداً حتى أعود إلى المنزل أرتب أموري فحذروه، ولكنه استأذن، فغاب عنهم خمسة عشر يوماً، فلما لحق بهم سألوهم، فقال لهم: لقد أحسست بي زوجتي فكانت كلما هممت بالخروج (صوّتت) وجمعت عليّ العائلة.. حتى تغفلتها وهربت.

يقول الأستاذ فتحي يكن: أعرف أخا كان قبل زواجه مقدماً معطاء، ولقد تكب بزوجة سيئة وضعت الموت والفقر بين عينيه، فكانت كلما رزق بغلام ذكرته بحقه (المادي) عليه، وأن عليه مضاعفة السعي من أجله.. ولما تكاثرت ذريته -وامراته على الشاكلة- سقط في الامتحان، وأصبح عبداً للدنيا بعد أن أصبح عبداً للزوجة^(١).

٢- التضحية بالوقت والجهد

هاجر مصعب بن عمير من مكة إلى المدينة بأمر من الرسول، فترك الوطن والأهل والمال وبذل كل وقته سعيًا بين الأوس والخزرج داعيًا إلى الله على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فمهد لهجرة النبي ﷺ فكان خير سفير، وعاد باثنين وسبعين رجلاً وامرأتين إلى رسول الله ﷺ بعد أن آمنوا، وكذلك جعفر بن أبي طالب وإخوانه الذين هاجروا معه إلى الحبشة، والأمثلة كثيرة من أصحاب الهمم العالية.

٣- التضحية بالمال

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].
يأتي أبو بكر رضي الله عنه بكل ماله في غزوة تبوك؛ أربعة آلاف درهم، ويسأله رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ فيقول: أبقيت لهم الله ورسوله.

لا تبخل على إخوانك المحتاجين.

(١) المتساقطون على طريق الدعوة، ص ٨٤.

هذا لا يأخذ أجرًا

انتدب الأزهر الأستاذ عمر التلمساني لإلقاء بعض المحاضرات في الشريعة والقانون بالجامعة، وكان ذلك أيام الدكتور عبد الحليم محمود، فلما جاء كشف صرف المكافآت للسادة الأساتذة المحاضرين المتدربين، إذا بالدكتور عبد الحليم محمود يجد اسم الأستاذ عمر التلمساني مدرجًا بالكشف فقال للمسئول: ارفع اسم الأستاذ عمر من الكشف، هذا لا يأخذ أجرًا (ده مش بتاع كده) ودار حوار، ولم يرفع المسئول اسم الأستاذ عمر. ولما حان وقت صرف المكافآت، ذهب المسئول بالكشف للأستاذ عمر ليقوع، فأبى. فذهب المسئول للدكتور عبد الحليم محمود، فقال الدكتور عبد الحليم محمود: ألم أقل لك أن الأستاذ عمر لا يأخذ أجرًا.

باع الجاموسة

أيام حرب فلسطين ١٩٤٨م سجل فلاح من الإخوان - اسمه حسن الطويل - اسمه في كتائب المتطوعين، وترك أهله وأرضه وكل شيء، بل باع (جاموسته) ليشتري بتمنها سلاحا، فقال له أحد إخوانه: يا حسن دع الجاموسة لأولادك وحسبك أنك تطوعت بنفسك، وعلى غيرك ممن لم يجاهد بنفسه أن يجاهد بآله، فرد عليه حسن قائلا: هل قال الله تعالى: وجاهدوا بأنفسكم فقط، أم قال: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾؟ هل اشترى منا النفس وحدها، أم النفس والمال ليعطينا الجنة؟ أم تريدون أن نتسلم (البضاعة) دون أن ندفع الثمن.

٤- التضحية بالنفس

عن أم حارثة بن سراقه - رضي الله عنها - أنها أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قُتل يوم بدر أصابه سهم غَرَب (لا يعرف راميهِ) - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»^(١).

إن القلب ليطير فرحًا مع هذا الصحابي الذي نال الفردوس الأعلى، ألا تشتاق أن تكون معه في جنة عرضها السماوات والأرض تحت عرش الرحمن، فسارع من الآن قبل فوات الأوان.

(١) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: من أتاه سهم غرب فقتله، ح (٢٥٦٤)، عن أنس بن مالك ؓ.

تضحية ضمرة

استمع الصحابي ضمرة بن جندب رضي الله عنه إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٧]

فحين استمع إلى هذه الآيات وكان بمكة لم يهاجر بعد، وكان مستأ لا يقوى على احتمال السفر، قال لبنيه: احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدى إلى الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة، فحملوه على سرير متوجهًا إلى المدينة، فمات بالتنعيم، ولما أدركه الموت أخذ يصفق يمينه على شماله ثم قال:

«اللهم هذه لك، وهذه لرسولك، أباعك على ما بايعك عليه رسولك»، فمات حميدًا، فلما بلغ خبره أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرًا، وقال المشركون وهم يضحكون: ما أدرك هذا ما طلب، فنزلت الآية: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] ^(١).

أنها التضحية الصادقة مع الله، فرزقه الله الشهادة، فهل أنت صادق في حبك للإسلام، وعلي استعداد للتضحية من أجل نصرته؟

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه نتلقى بعيرًا لقريش، وزودنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة تمر؛ نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط (ما يسقط من ورق الشجر) ثم نبله بالماء فنأكله ^(٢).

أين التضحية؟

عن ابن عمر قال: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -

(١) معالم التنزيل، محيي السنة البغوي، ٢ / ٢٧٤.

(٢) مسلم، كتاب: الذبائح والصيد وما يؤكل من الحيوان، باب: إباحة ميتات البحر، ح (١٩٣٥).

يأكل ألوان الطعام، فقال لمولى له يقال له يرفأ: إذا علمت أنه قد حضر طعامه فأعلمني، فلما حضر غداؤه جاء فأعلمه، فأتى عمر فسلم واستأذن فأذن له، فدخل فجاء بلحم فأكل عمر معه منه، ثم قرب شواء فبسط يده وكف عمر يديه ثم قال عمر: الله يا يزيد بن أبي سفيان، أ طعام بعد طعام، والذي نفس عمر بيده لئن خالفتهم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم^(١).

عليك بالتضحية بوجبة من وجباتك لإخوانك الفقراء، وليكن طعامك في هذا اليوم خشناً، للتعود على جهاد النفس، فهو الطريق للتضحية بالنفس في سبيل الله دون تحاذل.

فهم خاطئ

عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس أنتم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحنا وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم^(٢).

إن البشر إلى فناء، وإن العقيدة إلى بقاء، ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته، فإذا كان العمر مكتوبًا، والأجل مرسومًا، فلتنظر نفس ما قدمت لغد؟ ولتنظر نفس ماذا تريد؟ أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان، وأن تحصل همها كله في هذه الأرض، وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى، وإلى اهتمامات أرفع، فالخوف والهلع والحرص لا يطيل أجلًا، والشجاعة والثبات والإقدام لا تقصر عمرًا، فلا نامت أعين الجبناء.

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ١٢/ ٦٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ٣٦١.

أريد أن أطأ بعرجتي في الجنة

كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما توجهوا إلى أحد أراد أن يتوجه معهم، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، والله إني لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبيته: وما عليكم أن تدعوه؟ لعل الله أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ، فقتل يوم أحد شهيداً^(١).

كم كان مشتاقاً إلى دخول الجنة بالعمل لا بالقول فحسب، فالتضحية بالنفس تكون بالدعاء ليل نهار أن يرزقك الله الشهادة، وتتصف بصفات المجاهدين، وتضحى بنفسك كما فعل سحرة فرعون.

قال تعالى على لسان السحرة: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَكَ خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾ [طه ٧٢، ٧٣].

فلتعذب الأجساد ولتزهق الأرواح، وتقطع الأيدي والأرجل من خلاف، ولتصلبنا في جذوع النخل، فافعل ما تشاء. وهكذا أصحاب العقيدة يضحون بكل ما يملكون؛ لا يذلون ولا يهنون، ولا يضعفون مهما لاقوا من وسائل التعذيب، بل يظلون أوفياء للفداء، شرفاء عند الابتلاء، أقوياء يتحدون جبروت الأعداء، ومهما تكرر الوعيد أمامهم فإنهم يعتصمون بحبل الله القوي المتين قائلين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وفاة خالد بن الوليد

لما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال: ما من عمل أرجى عندي بعد «لا إله إلا الله» من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، بتها وأنا مترس، والسماء تنهل على، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وها أنذا أموت

(١) السنن الكبرى، البيهقي، ٢٤/٩.

على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء، لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي^(١).

أخي الحبيب، احرص على الموت توهب لك الحياة،
ولا تجزع عند ملاقة الأعداء.

في وقعة البويب

قال مسعود بن حارثة قائد مشاة المسلمين لجنده: إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، الزموا مصافكم وأغنوا غناء من يليكم، وأصيب مسعود وقواد من المسلمين، ورأى مسعود تضعض من معه لإصابته، وهو ضعيف قد ثقل من الجراح فقال: يا معسكر بكر بن وائل ارفعوا راياتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا، وقاتل أنس بن هلال النميري حتى أصيب، فحملة المثنى وحمل أخاه مسعوداً وضمهما إليه، والقتال محتدم على طول الجبهة، ولكن القلب بدأ ينبعج في غير صالح الفرس، وأوجع قلب المسلمين في قلب المجوس^(٢).

لا تفعل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب النبي ﷺ بشعب فيه عينة - تصغير عين - من ماء عذبة فأعجبته لطيبها، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله، فذكر ذلك لرسول الله فقال ﷺ: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة - هو ما بين الحلبتين من الوقت - وجبت له الجنة»^(٣).

احذر النكوص عن الجهاد في سبيل الله بحجة العبادة،
فالتضحية بالنفس عبادة ثوابها الجنة.

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ١٣٨ / ٢.

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٣٧٢ / ٢.

(٣) الترمذي، كتاب: فضائل الجهاد، باب: فضل الغدو والرواح في سبيل الله، ح (١٦٥٠)، قال الترمذي: حسن، ووافقه الألباني.

استاذ جديد في فن التضحية

إنه خبيب بن عدي ؓ صلبه المشركون وبدأت الرماح تنوشه والسيوف تنهش لحمه، واقترب منه أحد زعماء قريش، وقال له: أتحب أن محمدًا مكانك، وأنت سليم معافى في أهلك؟ وهنا انتفض خبيب وقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة. وكانت كلماته هذه إيذانًا للرماح أن تبلغ من جسد البطل غايتها، وكان خبيب قد يمم وجهه شطر السماء وابتهل إلى ربه العظيم قائلاً: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسلك فبلغه الغداة ما يصنع بنا. ونزل جثمان خبيب حيث كانت بقعة طاهرة من الأرض في انتظاره لتضمه تحت ثراها الطيب.

عز الدين القسام

هو المجاهد عز الدين عبد القادر القسام نشأ في بيئة إسلامية بعد مولده في سوريا عام ١٨٧١م، وكان والده شيخًا لزاوية في مدينته، ثم درس بالأزهر حيث كانت مصر تموج بروج الثورة والتغير، وبذلك تتلمذ على أيدي علماء أفذاذ منهم الشيخ محمد عبده، ثم عاد إلى موطنه يحمل رسالة التعليم والثورة فكان معلمًا حاذقًا وخطيبًا مفوهًا، وواعظًا ومأذونًا للأنكحة ومجاهدًا حيث جاهد الفرنسيين الذين احتلوا سوريا حتى حكم عليه بالإعدام في اللاذقية، وواصل كفاحه في فلسطين وقام بإنزال ضربات موجعة بالإنجليز واليهود. حتى جعلوا مكافأة خمسمائة جنيه لمن يدل عليه، واستشهد في أولى عمليات الثورة ١٩٣٥م بعد أن حاصرت قوات الاحتلال هو وأصحابه. ومن مقولاته التاريخية: «إنه جهاد نصر أو استشهاد» فكتب للدنيا وثيقة وعهدًا وأبى أن يوقع إلا بالدم.

الشيخ أحمد ياسين

وهو الشيخ أحمد إسماعيل ياسين، نشأ على حب الجهاد في الجنوب من قطاع غزة عام ١٩٣٨م، أصابه شلل بجميع أطرافه، وكان خطيبًا ومدرسًا بمسجد غزة، أصبح رئيسًا للمجمع الإسلامي بغزة، وقد اعتقل عام ١٩٨٥ ثم أنشأ حماس «حركة المقاومة الإسلامية» عام ١٩٨٧؛ مما أسخط عليه قوات الاحتلال فاعتقلته عام ١٩٨٩م وتم تقديمه للمحاكمة العسكرية وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، إضافة إلى خمسة عشر عامًا أخرى، ولكنه أفرج

عنه عام ١٩٩٧ م لأسباب صحية وقد أدت ظروف الاعتقال السيئة من تعذيب وتنكيل إلى فقدانه لبصره في العين اليمنى وضعف باليسرى والتهاب مزمن بالأذن وحساسية في الرئتين، وانتقل للمستشفى أكثر من مرة.

يحيى عياش

هو يحيى عبد اللطيف عياش ولد في مارس ١٩٦٦ م غرب مدينة نابلس درس في مجال الهندسة الكهربائية بعد حصوله على درجة البكالوريوس من جامعة بيروت بالصفة، وجعلته الأحداث التي تمر في فلسطين رجلاً من رجال الحركة الإسلامية حيث التحق بصفوفها عام ١٩٨٧ م، وانضم لكتائب عز الدين القسام، وفي فجر يوم الجمعة ١٥ / ١ / ١٩٩٦ م استشهد رمز الجهاد وشيع جنازته نحو نصف مليون في غزة وحدها، وترك لنا صفحات من النضال قبل أن يتجاوز الثلاثين من عمره.

إن فلسطين ثغر الأمة ورباط الحراسة المستمرة، إنها جراح تنزف، وتحتل منزلة خاصة فهي قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الكريم. صلى رسول الله ﷺ إماماً بالأنبياء بالمسجد الأقصى.

إن رسول الله سيسألك ماذا قدمت لإخوانك؟ ماذا فعلت لتتقذ المسجد الأقصى؟ ماذا فعلت لدماء الشهداء وآهات اليتامى وبكاء الثكالي ودموع الأرامل؟ إن التعاطف وحده لا يكفي، وإن ذرف الدموع لا يشفع لك عند ربك حتى تترجم هذا التعاطف والإحساس إلى عمل جاد، وإنجاز فعال.

لقد أثبتت الأحداث الأخيرة أنه لا سبيل لتحرير فلسطين واسترداد المسجد الأقصى وعودة اللاجئين إلا بالجهاد والتضحية، وهو علامة حب لله ولرسوله.

الثبات

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

يقول سيد قطب: الثبات أحد تكاليف الإيثار، والإيثار ليس كلمة تقال، إنها هي حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر واحتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتن، فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم وخالصة قلوبهم^(١).

صور الثبات

١ - الثبات أمام الشبهات:

الشبهات سلاح قديم يشهره الباطل في وجه الحق لبليلة الفكر وإثارة الشك واهتزاز الثقة، وقد رأينا قذائف الشبهات على مر التاريخ تطلق في كل اتجاه وتسقط في كل ميدان.

فالتشكيك في العقيدة مثلاً: رأينا أبي بن خلف يأخذ عظاماً نخرة فيفتها ويذروها في الهواء قائلاً لرسول الله ﷺ: أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فيرد عليه بلسان الواثق الموقن: «نعم يبعثك ثم يبعثك ثم يدخلك النار»، ونزل قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ مُّجِيبِي الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ قُلْ مُّجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩] وذلك تأكيداً على حرص القرآن على رصد الشبهات ودحضها.

وللتشكيك في مصدر القرآن قال المشركون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ قاصدين بذلك غلاماً أعجمياً كان رسول الله ﷺ ربما يجلس إليه يكلمه فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئَلَّا يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وللتشكيك في الرسول ﷺ قالوا: ﴿مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٧٢٠.

أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ [الفرقان: ٧] فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وللتشكيك في الأحكام قالوا عن الذبائح: ما قتلتم أنتم بأيديكم تحلونه وما قتله الله تحرمونه؟! فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٢- الثبات في وجه المغريات:

وهي كذلك من أسلحة الباطل المعروفة التي لا تؤثر في رجال باعوا أنفسهم وأموالهم لله، ووقفوا حياتهم لنصرة دينه ومنهجه، وأحبوا الحق وذابوا فيه فصغرت الدنيا في أعينهم بمناصبها وأموالها، وهذا رسول الله ﷺ يرد على قومه وقد أغروه بالمال والجاه لترك دعوته: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»^(١).

خالد بن سعيد

بمجرد أن أسلم خالد بن سعيد رضي الله عنه تعرض للبلاء الشديد، فلما علم أبوه بإسلامه أرسل إليه مولاه رافعاً أخويه أبان وعمراً، فأروه يصلي فامتلات قلوبهم نوراً لهذا المشهد المهيبة الذي رأوه، وعاد معهم خالد إلى أبيه فلما علم بإسلامه أمره أن يترك هذا الدين العظيم فأبى خالد بكل عزة. فقال له أبوه: إذن أحرمتك من رزقي، فقال له خالد: الله خير الرازقين. ففطق والده يضربه ضرباً شديداً حتى سالت الدماء الشريفة من هذا الجسد الطيب المبارك ثم أوثقه وزج به في غرفة مظلمة ومنع عنه الطعام والشراب ثلاثة أيام. ثم جاء في اليوم الرابع نفر من أهله وقالوا: كيف أنت يا خالد؟ فقال: إني أتقلب في نعم الله عز وجل. فقالوا: أما أن لك أن تثوب إلى رشدك، وتطيع أباك؟! فقال: أما رشدي فما فارقتي وما فارقتي، وأما أبي فلا أطيعه فيما يعصى الله به عز وجل، فقالوا: قل لأبيك كلمة ترضيه في اللات والعزى يفرج عنك، فقال: إن اللات والعزى حجران أصمان أبكمان، وإني لا أقول فيها إلا ما يرضي الله ورسوله، وليفعل بي ما يشاء.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٠١/٢.

شد «أبو أحيحة» وثاق خالد، وأمر أتباعه أن يخرجوا به كل يوم عند الهاجرة إلى بطحاء مكة وأن يلقوه بين الحجارة حتى تصهره الشمس، فكان كلما أخرجوه وألقوه في الهاجرة يقول: الحمد لله الذي أكرمني بالإيمان، وأعزني بالإسلام، إن ذلك أهون علي من لحظة عذاب في جهنم التي أراد أن يلقيني فيها «أبو أحيحة». ثم حانت لخالد فرصة، فتفلت من سجن أبيه، ومضى إلى نبيه، ثم ما لبث أن لحقه أخواه عمرو وأبان، وانضما معه إلى موكب الخير والنور، عند ذلك أسقط في يدي «أبي أحيحة».

وقال: واللات والعزى لأعتزلن بيالي بعيداً عن مكة، فذلك خير لي، ولأهجرن أولئك الصباة الذين يعييون آلهتي أربابي، ثم انتقل إلى قرية قريبة من الطائف، وظل فيها حتى مات كمداً على الشرك.

ولما أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة نجا إليها خالد بن سعيد بن العاص ومعه زوجته أمينة بنت خلف الخزاعية..

وقد أقام فيها بضع عشرة سنة داعياً إلى الله، ولم يغادرها إلى المدينة إلا بعد أن فتح الله على المسلمين خيبر فسر الرسول بمقدمه أبلغ السرور، وقسم له من غنائم خيبر كما قسم للمحاربين، ثم ولاه اليمن فظل والياً عليها إلى أن لحق الرسول الكريم بجوار ربه^(١).

٣- الثبات أمام بطش الظالمين:

أسلوب البطش من حيل المجرمين المفلسين حين لا تجدي الوسائل السالفة فيفقدون صوابهم ويشورون على أهل الحق لتمزيق أجسادهم إن استطاعوا حتى تغيب عن أعينهم رموز الصلابة، ويعتبر أسلوب البطش من أكثر أساليب الباطل شيوعاً وتكراراً على مر التاريخ.

فهذا بلال بن رباح ؓ يجرد من ثيابه ويلقى على نار البطحاء ويثبت مستخفاً بالظالمين، متحدياً لهم، مصرّاً على مبدئه، معتزّاً به مهما لاقى في سبيله.

(١) صور من حياة الصحابة، ص ٤٥٥-٤٥٧.

وهذا خباب بن الارت ؓ كانوا يلقونه على فحم ملتهب ويضعون الصخرة عليه حتى لا يستطيع فكاًكاً من حريقه.

وهذا أفلح - مولى لبني عبد الدار - كانوا يربطونه من رجله ويجرونه على الأرض.
وهذا عثمان بن عفان ؓ يلفه عمه في حصير ثم يدخن عليه ليختنق بداخله.

الإمام أحمد بن حنبل

عندما امتحن بالفتنة المشهورة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وهي القول بخلق القرآن الذي تزعمه المعتزلة، ثبت على موقفه الحق وأصر على رأيه الصريح، ولم يغير من جوابه الذي يردده كلما أفاق من إغماء التعذيب والتنكيل، يقول: هو كلام الله غير مخلوق، ولبت في السجن عامين ونصف العام، ولما يئسوا من إخضاعه لما يريدون، ودالت دولة الباطل، أخرج من السجن وأهيا القوة مريضاً مثخناً بالآلام، ولقد كان باستطاعته أن يتجنب هذا كله لو وافقهم على ما قالوا بلسانه فقط كما فعل كثير من العلماء في عصره لينجوا بأنفسهم، ولكن بنظرته الثاقبة وأفقه الواسع وتأيد الله له رأى الناس من حول ينتظرون إجابته، ففضل المصلحة العامة - وهي الثبات على الحق والجهر به كي لا يفتن الناس - على مصلحته الخاصة، وإن أدى ذلك إلى موته..

قال له أحد تلامذته: يا إمام، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

فقال: أخرج فانظر أي شيء ترى.

فقال: فخرجت إلى رحبة دار الخلافة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصى عددهم إلا الله، والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعهم، فقال الغلام: مكانكم، فدخل إلى الإمام أحمد، فقال: رأيت أقواماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبون.

فقال: أفاضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء.

يقول سيد قطب: آمن أنت أولاً بفكرتك، آمن بها إلى حد الاعتقاد الجاد! عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون!! وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة! لا حياة لفكرة لم تنمض روح إنسان، ولم تصبح كائنًا حيًا يدب على وجه الأرض في صورة بشر! كذلك لا

وجود لشخص - في هذا المجال - لا تعمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة وإخلاص^(١).

ثبات في محنة

سيق الأخ الشيخ «عبد المقصود حجر» إلى السجن الحربي عام ١٩٦٥م فاستقبله العقيد شمس بدران - مع زفة من الضرب بالكرابيج والإهانات - وسأله شمس بدران: أنتم عاوزين تلبسوا النسوان طرح؟

قال الشيخ عبد المقصود: نعم وهذا واجب شرعي.

قال شمس بدران: هي النسوان بتوعكم أحسن من كل النسوان؟

قال الشيخ عبد المقصود: نعم.

قال شمس بدران: وما الفرق؟

قال الشيخ عبد المقصود: لأن نسوانًا حاجة ثانية!

فثار شمس بدران وأمر العسكري أن يتف ذقن الشيخ بالكماشة!! وبعد هذا خلعوا ملابس الشيخ وأمروه أن يغطس في باكورت المياه القذرة!! وكلما حاول الامتناع أشبعوه ضربًا حتى كرر عملية الغطس أكثر من مرة، وبعد ذلك نظر الشيخ إلى شمس بدران - عتل السجن الحربي - وقال له: وأدي غطسة كمان عشان خاطرك يا سعادة البيه.

وبعد ذلك أخرجوه من الباكورت وألقوه على الأرض وسلطوا عليه الكلاب المتوحشة.. يقول الشيخ عبد المقصود: إن الكلاب لم تقرب منه لشدة قذارته وفضاعة رائحته، وتذكر الشيخ عبد المقصود المثل الذي يقول عند عامة الناس (دا تقرف منه الكلاب)!!^(٢)

رد بكل قوة

المجاهد عز الدين القسام، قام بتوعية الجيل والأمة بمخاطر هجرة اليهود إلى فلسطين، و قام بتأليف القلوب، ونشر المحبة، وإزالة الخصومات، ونبذ الأحقاد، وتعميق الوازع الديني، وكان على يقين بالنصر أو الشهادة في سبيل الله، وأرسل إليه حاكم حيفا يقول له: يا

(١) أفراح الروح، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) حكايات عن الإخوان، ص ١٣/١ - ١٤.

شيخ، إنك متحرك، وذو نشاط مناوئ لنا، فرد عليه الشيخ بكل يقين وقد أخرج المصحف من جيبه: «هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولا نخالفه».

واستجابت جموع الشباب لصحبة الشيخ الجليل، وابتدأت المنطقة تشهد أعمالاً بطولية عظيمة، وهوجت معسكرات البريطانيين، وحاصرت قوات الاحتلال عرين البطل يوم ٢٧ من نوفمبر عام ١٩٣٥م، وانتهت المعركة باستشهاده وهو فرح مسرور على يقين بدخول الجنة، وذهب القسام إلى ربه شهيداً يزفه عرس الشهداء، فجدد في النفوس معنى اليقين، وقوى من عزائم شعب فلسطين برغم قلة العتاد وضآلة الزاد.

فكتب للدنيا وثيقة صحوة، وأبى إلا أن يوقع بالدم.

فسلام على القسام مع الشهداء في الخالدين.

ونحن على يقين بأن تحرير المسجد الأقصى قريب،

ولكن علينا بالعمل الجاد المخلص.

الشيخ أحمد ياسين

يقول الشيخ أحمد ياسين: كنت في بيت، وكان منع التجول مفروضاً من الساعة التاسعة إلى الفجر حيث كان يخرج العمال إلى العمل، فميعاد منع التجول كان يبدأ بالساعة التاسعة - بالضبط - بيتي قبلها كان ممتلئاً بالناس، فشاء الله أن ينطلقوا ويعودوا إلى بيوتهم، فوجدت الساعة خمس دقائق بعد التاسعة، وإذا بقوات الجيش الإسرائيلي تحيط بالبيت، منهم من تسلق الأسوار، ومنهم من بقى في السيارة - يعني ربما كتيبة كاملة جاءت للقبض على الشيخ أحمد ورجال المخابرات دخلوا علي - فدخلت أرتمي ملاسي، وطبعاً أنا كنت أجلس على الكرسي المتحرك وكنت جاهزاً، فقالوا لي: أين ابنك؟ قلت لهم: ها هو، قالوا: دعه يأتي معك حتى يساعدك، ثم أخذوني.

كان ابني عبد الحميد هو الذي يرافقني، كان في ذلك الوقت عمره ستة عشر عاماً، وكان لم يحصل على هويته بعد، فأخذه وأوصلوني إلى السجن، وأجلسوني ثم بدؤوا مباشرة سباً وشتائم، بصق في الوجه وضرب على الوجه.

يعني بدؤوا بالإهانة والتعذيب بشكل لا تتصوره، بصق في الوجه.. يحضرون صينية

ويدقون بها فوق رأسي، كنوع من الإزعاج، يمسكون بعروق الرقبة ويجذبونها إلى أعلى بشكل سيئ ولم يكتفوا وأنا كما ترى، والضرب على صدري حتى صار صدري أزرق من شدة الضرب والتعذيب، ولم يكتفوا بذلك وإنما قاموا بإحضار الولد الذي أحضره لخدمتي، وبطحوه أمامي في الغرفة، وركبوا عليه أربعة أخذوا يخنقونه ويضربونه، والولد يصرخ تحتهم، أعطوا له أمامي علقه ساخنة من الضرب والتعذيب، ثم أصبحوا يقولون لي: حرام عليك، ارحم ابنك، اعترف، خلاص القضية انتهت، حركة حماس انتهت، وأنت ليس هناك فائدة من إنكارك، اعترف وقل ما عندك حتى ترحم ابنك من الضرب والتعذيب، قلت لهم: أنا ليس عندي شيء لأقوله، فغابوا ساعتين ثم أحضروا الولد مرة أخرى وبدأوا بتعذيبه أمامي، فبطحوه أرضاً، وركبوا فوقه وخنقوه، ومن شدة التعذيب على الولد الضعيف الصغير فوجئت به يشور ويقفز فجأة ويطرح الرجال الأربعة على الأرض - وهذا من شدة التعذيب يعني حرارة الروح - كان الولد يموت تحتهم، كان يخنق، بعدها أخذوه مرة أخرى من عندي^(١).

ثبات ووفاء

ظل الأخ محمد الصوابي الديب متخفياً عن أعين الظالمين بعد أن أزهرت أرواح المجاهدين منهم تحت التعذيب حتى شهر ديسمبر عام ١٩٥٤م حين ذهب الساعة الثالثة ظهراً، وطرق باب منزل العلامة الشيخ حسنين مخلوف - مفتي الديار المصرية - الذي يقع في شارع نجيب بكوبري القبة بالقاهرة.

وحين فتح الخادم الباب عاد إلى الشيخ؛ ليخبره عن الطارق فيقول: إنه شاب طليق اللحية، رث الثياب، ويريد مقابلتك.

يقول الشيخ مخلوف: تعجبت من ذلك وظننت أنه عابر سبيل.. دخل الشاب المنزل، ولم أقبله في البداية، بل أعد له الخادم طعام الغداء فأكله بشهية كأنه لم يأكل منذ مدة طويلة.. بعد الغداء ظننت أنه سينصرف، إلا أنه أصر على مقابلتي وألح في ذلك، فذهبت إليه وما إن رأيته حتى ظننت أنه سيطلب صدقة، فقد كان رث الثياب تبدو عليه شدة التعب، بدأ حديثه

(١) شهيد أيقظ أمة، ص ٤٤-٤٦.

بأن عرفني على نفسه: محمد الصوابي الديب طالب بكلية الشريعة بجامعة الأزهر.. ولقد اهتز بدني وأصبت برعشة عندما قال لي: «إنه كان من متطوعي الإخوان المسلمين في حرب فلسطين والقناة» فقد كان الإخوان المسلمون في ذلك الوقت -عام ١٩٥٤م- في أوج محتهم، وكانت كلمة الإخوان المسلمين تترادف معها كلمات الاعتقال، السجن، التعذيب، المحاكمات.. إلخ.

نظر الشاب إليّ في هدوء -والحديث للشيخ مخلوف- وقال بصوت منخفض ولكنه قوي: أنا في محنة وأحتاج إليك، فأنا مطلوب القبض عليّ، وقد مكثت أكثر من شهر هارباً متخفياً في المقابر نهاراً، ثم أخرج في الليل لأقتات الطعام، لقد كرهت الحياة بين الموتى وأريد أن أعيش بين الأحياء فهل تقبلني؟

يقول الشيخ مخلوف: سيطر الذهول على نفسي تماماً، ولم أفق إلا عندما قال الشاب: ما رأيك؟ استأذنت منه وذهبت إلى ابني الدكتور علي وابنتي زينب، والذهول ما زال مسيطراً على نفسي.. لاحظ ولداي ذلك على الفور فسألاني: ما لك يا أبي؟ حصل إيه؟ أخبرتهما بالقصة، وفجأة وجدت نفسي أردد قائلاً: إنه صادق، إنه صادق، إنه صادق.

قلت لولديّ: إنني متأكد أن هذا الشاب ليس من الشرطة أو من المباحث جاء ليختبرنا، بل إنني موقن أنه يقول الصدق فهو صادق.. وأضفت: إنني لا أستطيع أن أرد مستجيراً في هذه المحنة، وأنا موقن أنه مظلوم، وقد قررت قبوله، ولكن الذي يقلقني هو ما ستفعله بكم أجهزة المباحث والدولة كلها إذا اكتشفوا وجوده بيننا، حيث هناك قانون أو فرمان جمهوري صدر في ذلك الوقت، يعاقب كل من يتستر على أي من الإخوان المطلوب القبض عليهم بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة، قال ابني علي -بعد فترة صمت: افعل ما تراه من الناحية الإسلامية والله يتولانا جميعاً، ويضيف الشيخ مخلوف فيقول: خرجت مع ابني علي إلى الشهيد الصوابي، وعرفته بابني علي، وأخبرته بأننا قررنا قبوله عندنا، وأنه يشرفني ذلك، فارتسمت أمارات الراحة والطمأنينة على وجه الشهيد.

وسيطرت الدهشة على وجه الشهيد عندما قال له ابني الدكتور علي: لا بد من أن تولد من الآن بشخصية جديدة وتدفن شخصيتك الحالية، ويضيف الدكتور علي مخلوف الذي

يعمل رئيس قسم أمراض النساء والولادة بطب عين شمس: كان في اعتقادي أنه لا يمكن إخفاء الشهيد محمد الصوابي الديب، وبخاصة في منطقتنا التي كانت تشتهر بكثرة ضباط البوليس الذين يسكنونها فكان الحل أنه لابد أن يولد الشهيد الديب بشخصية جديدة تمامًا وأن أحسن طريقة لإخفاء أي شخصية هي أن تظهرها بشخصية جديدة، وتكون جميع تصرفاته طبيعية، أما الهروب والإخفاء عن أعين الشرطة والناس، فإنها طريقة فاشلة ينكشف أمرها دائمًا، عاجلاً أو آجلاً.

اتفقنا على أن يعمل الشهيد سكرتيراً لوالدي الذي كان فعلاً في حاجة إلى سكرتير؛ فقد كان مفتياً للديار المصرية في ذلك الوقت، وكانت ترد إليه استفسارات دينية كثيرة، بالإضافة إلى أنه يكتب من تأليف الكتب، واحترنا في الاسم الذي نطلقه عليه، وأخيراً قال والدي للشهيد: أنت صادق في جميع تصرفاتك وأفعالك، فاسمك منذ الآن صادق أفندي. وضحكنا جميعاً.

وفي اليوم التالي كان الشهيد محمد الصوابي الديب شخصاً آخر تماماً، نظيف المظهر، حليق الذقن، وهو أبيض اللون، واسع العينين، متوسط الطول، نحيف الجسم.

ويقول الشيخ مخلوف: إن الخطة التي تم وضعها لإخفاء الشهيد نجحت تماماً، فقد أعلننا على كل أفراد الأسرة أنه جاء لي سكرتير جديد اسمه صادق أفندي، ولم يعرف بالسر سوى أربعة أشخاص: أنا وابني الدكتور علي وابنتي الدكتورة زينب، وزوجة ابني الدكتورة سعاد الهضيبي، التي لم تتردد في الترحيب بالشهيد رغم أن والدها المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي وجميع إخوتها في السجن.

ويضيف الشيخ مخلوف: إن الشهيد محمد الصوابي الديب، أو صادق أفندي، كان فعلاً سكرتيراً ممتازاً، وعاونني كثيراً في عملي، وبخاصة في الكتب التي أخرجتها في ذلك الوقت، وكان الشهيد يصحبني دائماً في كل مكان أذهب إليه، وقد اعتبرته فعلاً سكرتيري الخاص.

عاش صادق أفندي لمدة ثمانية أشهر مع أفراد أسرة الشيخ حسنين مخلوف كأنه واحد منهم، يأكل معهم ويعيش معهم، حيث كان الشيخ يطلب منه دائماً الإجابة عن الاستفسارات الدينية الكثيرة التي ترد إليه باعتباره مفتياً للديار المصرية، وكان الشهيد يسكن

في حجرة منفصلة بحديقة المنزل بها صالون ومكتبة كبيرة وغرفة نوم وحمام خاص، تم تخصيصها لصديق أفندي.

يقول الشيخ حسنين مخلوف: وفي أحد أيام صيف ١٩٥٥ م، جاءني صديق أفندي وقال لي إنه يريد السفر إلى السعودية ليعمل هناك، وحاولت أن أثنيه عن ذلك، ولكنه أصر وأخبرني أن هناك شخصاً قد أعد له الرحلة بالباخرة عن طريق السويس إلى جدة.

إن قلبي لم يطمئن واستعنت بابني الدكتور علي لإقناعه بعدم السفر، ولكن دون جدوى، وقال: إنه يريد أن يكون نفيه هناك، ويستريح من القلق الذي يعاينه كهارب، رغم إجادته لشخصية صادق أفندي، وغادرنا الشهيد البطل بعد أن وعدنا بأن يرسل لنا برقية فور وصوله إلى السعودية لكي نطمئن، وأرسلت إلى المرحوم محمد سرور الصبان مستشار الملك سعود ليهيئ له عملاً عند وصوله إلى هناك، ولقد مضى على سفر الشهيد حوالي الشهر، ولم تصل أي برقية تفيد بوصوله هناك.

يقول الدكتور علي حسنين مخلوف: كانت الأسرة كلها قلقة، وربما أنني أكثرهم هدوءاً، فقد حاولت دائماً أن أطمئنهم، ولكن دون جدوى، وضاع هدوء أعصابي في أحد الأيام عندما أخبرتني زوجتي الدكتورة سعاد الهضيبي أنها سمعت من إذاعة لندن أنه تم القبض على اثنين من الإخوان المسلمين في باخرة السويس، وهما في طريقهما إلى جدة، ولم تذكر الإذاعة أسماء، ولكننا شعرنا أن الشهيد محمد الصوابي الدير كان أحدهما.

ويروي الأخ وهبي الفيشاوي الذي عمل مديراً لمطبعة مصر أن الشهيد محمد الصوابي الدير سجن معنا بعد القبض عليه في السجن رقم ٤ بالسجن الحربي، وكان زبانية السجن الحربي يعذبون الشهيد تعذيباً وحشياً، حيث وضعوه في زنزانة تسمى «زنزانة الركن» وهي مخصصة للتعذيب الشديد، وكانوا لا يتركونه ينام أبداً، وكان الشهيد أشدنا تعذيباً، لا يرحمه مجرمو السجن حتى في أوقات الراحة.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبي: ذهبت يوماً إلى السجن الحربي لكي أسلم والدي بعض الحاجات، وعقب خروجي من مكتب مدير السجن الحربي حمزة البسيوني، شاهدت الشهيد محمد الصوابي الدير وهم يقومون بتصويره لعمل بطاقة اتهام، وكتمت صرخة

كادت تنطلق مني، وأسرت إلى المنزل وأخبرت زوجي بما شاهدته، فصاح قائلاً: رحنا في داهية، وأعد زوجي د. علي حقيته التي سيأخذها معه إلى السجن، فقد كنا نتوقع في كل لحظة أن تأتي الشرطة العسكرية والمباحث العامة للقبض علينا.

ويقول الدكتور علي: كنت خائفاً على والذي الشيخ حسنين مخلوف، فهو قد تجاوز الستين من عمره، ولا يستطيع أن يتحمل أهوال السجن الحربي، ولذلك كنت أنا وزوجتي لا نفارقه ليلاً أو نهاراً، متوقعين في أي لحظة مدهامة الشرطة لمنزلنا.

يقول الشيخ مخلوف: لم أكن أتوقع أبداً أن يتحمل الشهيد محمد الصوابي الديب هذا التعذيب الذي لا يصدق عقل من أجلي، لم أكن أتوقع أن يضحي بحياته من أجلي، حقاً هذه هي تربية الإسلام الحق.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبي: تعجبنا جميعاً عندما مرت الأيام ولم تدهم الشرطة منزلنا كما كنا نتوقع، وفي أحد الأيام ذهبت لزيارة أبي بالسجن الحربي، وسألته عن محمد الصوابي الديب -الذي كان يعرفه لأنه من الإخوان المسلمين، بالإضافة إلى أن بلدته «شبين القناطر» مجاورة لبلدة أبي وهي عرب الصوالة بالقليلية- فهز والذي رأسه بطريقة تدل على الأسى، وأخبرني أنه من الشهداء، وأضاف أبي قائلاً: لقد تعجبنا له لأن الذين كانوا يقومون بتعذيبه لا يسألونه إلا سؤالاً واحداً فقط وهو: أنت كنت فين؟ فلا يجيب إلا بآيات من القرآن الكريم، حتى كسروا عموده الفقري وبرزت عظامه وضلوعه، وكان ممرض السجن «التمرجي» يخرج من مكان تعذيبه في يده (صفحة) مليئة بالدم.

ويقول الأخ وهبي الفيشاوي: إن بعض الإخوة المسجونين الذين كانوا يقومون بتوزيع الطعام علينا كانوا يخبروننا بأحوال السجن والمعذبين فيه، وفي أحد الأيام أخبرني أحدهم أن جراح الأخ محمد الصوابي الديب فادحة جداً ومتقيحة، وأن حالته ساءت لدرجة أن الحشرات تسري بين جروحه، وأنه قد امتنع عن الطعام بعد أن منع عنه الماء، ولم تمض سوى أيام قليلة على هذا الحديث حتى أطفئت أنوار السجن الحربي كلها في إحدى الليالي، وشاهدت من ثقب زنرانتني حراس السجن الحربي يحملون شخصاً ملفوفاً داخل بطانية ويضعونه داخل سيارة جيب مغلقة. وعرفت أنه الشهيد محمد الصوابي الديب، وقلت في

نفسى: استرحت وفزت بالجنة إن شاء الله.

ويختتم الشيخ مخلوف حديثه عن الشهيد البطل قائلاً: إذا كانت تربية الشهيد من تربية الإخوان المسلمين، فأنا أضم صوتي بقوة إلى علماء الأزهر في المطالبة بعودة الإخوان المسلمين فتربيتهم هي خير تربية^(١).

٤- الثبات مع كر الزمان:

فقد يفرط المرء في مبدئه وتسترخي قبضته على الحق الذي معه لا شيء إلا لتوالي الأيام والليالي، وقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ويعتبر كر الزمان من أخطر الأسباب الصارفة عن الطريق حيث لا يوجد عدو مائل أمامك يريد استلاب دينك وعقيدتك فيفجر فيك طاقة التصدي والتحدي، ومن ثم اعتبر القرآن من يتصفون بهذه الصورة من صور الثبات صفوة المؤمنين فقال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويقول البنا عن ركن الثبات: وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتناولت السنون والأعوام حتى يلقى الله على ذلك، وقد فاز بإحدى الحسينيين: إما الغاية أو الشهادة في النهاية، والوقت عندنا جزء من العلاج والطريق طويلة المدى متعددة المراحل كثيرة العقبات ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر والثوبة.

٥- الثبات أمام الضغوط والتقلبات الحياتية:

فهناك الهواتف الشاغلة من قبل النفس والأهل والمال والولد. وقد يؤدي الاسترسال معها والاستغراق فيها إلى التخفف من أعباء الدعوة أولاً، ثم

(١) من أعلام الحركة الإسلامية، ص ٥٥٩-٥٦٥.

الانصراف عنها كلية بعد ذلك، ونسأل الله العافية والثبات، وفي هذا الهلاك المبين قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] لقد نزلت هذه الآية فيمن حدثتهم أنفسهم بالقعود في أموالهم لإصلاحها بعد ضياع، وذلك بعد أن مكن الله لدينه.. وهذا الأمر هو السبب في اعتبار الأزواج والأولاد أعداء -وهم أقرب الناس منا وأحبهم إلينا- وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

هل تثبت على دعوتك وعقيدتك

مهما كانت التقلبات والظروف الحياتية؟

٦- الثبات عند تأخر النصر:

فقد يتسلل اليأس إلى بعض النفوس حين يتأخر النصر فينصرفون عن الطريق أو يتشككون فيه، وغاب عن هؤلاء أننا نحاسب على العمل ولن نحاسب على النتائج، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيَسَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ثبات على المبدأ

قدم أبو بصير بن أسيد الثقفي مسلماً مهاجراً فاستأجر الأحنس بن شريق رجلاً كافراً من بني عامر بن لؤي ومولى معه وكتب معها إلى رسول الله ﷺ يسأله الوفاء -أي أن يرد إليهم من جاءه مسلماً- فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا للنبي: العهد الذي جعلت لنا فيه، فدفعه رسول الله إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا به ذا الخليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضر به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله: «لقد رأى هذا ذعراً» فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد

-والله- أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم^(١).

٧- الثبات عند الزحف:

حين تتقابل الصفوف والرايات في ساحة من الساحات يكون الثبات أول ما يطلب من جند الحق امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥].

ومن هنا نرى ثبات جعفر بن أبي طالب عليه السلام في مؤتة فلم تسمح نفسه الآية بتكيس الراية حتى بعد قطع كلتا يديه، فما كان منه إلا أن احتضنها بعضديه فكان جزاؤه من مثل عمله حين أبدله الكريم عوضاً عنهما جناحين في الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

الجهاد

قاد يوسف طلعت معركة «دير البلح» التي استشهد فيها اثنا عشر من مجاهدي الإخوان المسلمين، وحين عقدت الهدنة لتسليم الجثث وحضرها قائد إنجليزي تفقد الجثث، فوقف مذهولاً لأنه لاحظ أن جميع الإخوان مصابون في صدورهم، ودار نقاش علم منه الإنجليزي أن من صفات المؤمنين أن يقبلوا في المعارك ولا يولوا الأدبار، فقال القائد الإنجليزي: «لو أن عندي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم الدنيا»^(٢).

٨- الثبات عند توافر أسباب النصر:

فقد توافر أسباب النصر المادية الظاهرة بزيادة العدد أو قوة العتاد، وهنا قد يركن هؤلاء إلى هذه الأسباب بل قد يداخلهم الشعور بالخيلاء والغرور ويترجم هذا الشعور عبارة (لن نغلب اليوم من قلة) كما حدث في غزوة حنين فأُتِيَ الناس من هذا الباب وكان درساً قاسياً أفاقهم من غشاوتهم وردهم إلى جميل التوكل على الله، وعندئذ انقلبت الموازين وتحقق النصر المبين، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الموقف في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

(١) البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح (٢٥٨١).

(٢) من أعلام الحركة الإسلامية، ص ٥٥١.

وفي سورة الأنفال مع عظمة مناسبة يوم الفرقان ولكن الله افتتح السورة بالمعاتبه على هذه الزلة وإقالة هذه العثرة وذلك قبل سرد روائع الغزوة فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

يقول تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

يقول سيد قطب: إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر، ويكون سبباً فيه، وهذا صحيح، ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بأن المقصود معنى آخر من معاني التثبيت، معنى التثبيت على النصر وتكاليفه، فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان، وبين الحق والضلال. فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة، للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر، وفي عدم التراخي بعده والتهاون، وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء، ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء، فصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر^(١).

٩- الثبات أمام أساليب مواجهة الدعوة:

من هذه الأساليب:

أ- السخرية: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

إن المشركين يواجهون الرسول ﷺ ويخاطبونه باستهزاء وتهكم، فيخبره الله بما كان مع الرسل من قبله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

ويقال في سبب نزول الآية إن رسول الله ﷺ مر بالوليد بن المغيرة وأميمة بن خلف وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزأوا به، فغاضه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم، ولما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً لقريش قال أبو جهل متهمكماً ساخراً: يا معشر

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٢٨٩.

قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوة يشرب بالزبد! والله لئن استمكننا منها لتزقم منها تزقماً (أي نبتلعها) فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ • طَعَامُ الْأَثِيمِ • كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ • كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]. وهذا أسلوب مستمر بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

وعلى المسلم ألا يهتم بنقيق الضفادع، وعواء الكلاب، وخوار البقر، ورغاء الجمال، ويُعَارِ التيوس.

ب- الاتهام بالكذب: قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥] وما زلنا نسمع تهما تكال للدعاة إلى الله.

ج- الاتهام بالجنون: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] ويجتمع الطغاة جميعاً على مر العصور على وصف الدعاة بالجنون.

د- الاتهام بالسفاهة والضلالة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] هذا هو منطق الفراعنة في كل زمان ومكان، منطق الطواغيت مع الرسل وأتباع الرسل.

هل الذي ينادي بتحكيم شرع الله يتهم بالسفاهة؟

هل الذي يدافع عن أرضه في فلسطين يتهم بالضلال؟

هـ- الاتهام بالسحر: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

و- التهديد بالضرب والرجم: قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] وهذا أبو جهل يحذر النبي ﷺ من السجود عند الكعبة وقال له: ألم أنك عن هذا؟

ز- التهديد بالسجن: إن أولياء الشيطان من ذوي الجاه والسلطان تدفعهم قوتهم لتهديد أولياء الرحمن وتخويفهم بالسجن، مثل تهديد فرعون لموسى: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] ولقد أجمعت قبائل قريش على محاصرة المؤمنين في شعب أبي طالب ومعهم بنو هاشم، ثلاث سنوات، لا يتواصلون معهم، ولا يبيعونهم ولا

يشترون منهم حتى أدرك المؤمنين عناء شديد، كما سجن يوسف عليه السلام ظلمًا.

ح- التهديد بالنفي: فهؤلاء قوم شعيب قالوا له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] ويقف لوط ينهى قومه عن الفاحشة: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

ط- التهديد بالقتل: قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، لقد اجتمعت قريش لقتل الرسول ليلة الهجرة.

ي- التهديد في الرزق: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَفَّ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧] وهذا الأسلوب يظهر في عصرنا واضحًا.

ك- الإغراء بالمال والجاه والسلطان.

حاول ملك الروم إغراء عبد الله بن حذافة بالملك، فقال له وهو أسير عنده: تنصر أشركك في ملكي، فأبى ﷺ.

ولقد حاول اليهود إغراء السلطان عبد الحميد بمبالغ طائلة للدولة العثمانية وتسديد الديون مقابل التخلي عن فلسطين فرفض.

ل- إلحاق الأذى الجسماني، مثل:

التعذيب بالنار: وكان خباب بن الارت ﷺ يلقي في النار ليرتد عن دينه.

التعذيب بالخنق: فقد خنق الرسول خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حيث أخذ بمنكبه وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

إلقاء القاذورات: كان الرسول ﷺ يسجد ويلقي المشركون عليه القاذورات.

الضرب: فعند ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف استقبله أهلها بالحجارة حتى أدموا جسمه الشريف.

نزع اللحم عن العظم والنشر بالمنشار: فقد قال رسول الله ﷺ: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له حفرة في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل

نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(١).

التغطيس في الماء: فقد لقي النبي ﷺ عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عينيه ويقول: أخذك الكفار، فغطوك في الماء، فقلت كذا وكذا، فإن عادوا فقل ذاك لهم^(٢).

البصق في الوجه: طلب أبي بن خلف من عقبة بن أبي معيط - وكان قد أعلن كلمة التوحيد تأثراً بالرسول ﷺ - أن يبصق في وجه الرسول ﷺ وقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تكفر به وتتفل في وجهه^(٣).

الربط بالحبال: كان أمية بن خلف يربط برجل أبي فكيهة حبلاً ويجره في الرمضاء.

م- مصادرة الأموال: استغل المشركون رغبة صهيب الرومي ﷺ في الهجرة إلى الرسول ﷺ وأخذوا منه المال فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وكم من شاب حرم حق العمل في الوظائف الحكومية وغيرها لأنه يدعو إلى الله^(٤).

سنة الدعوات

يقول الله تعالى: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

يقول سيد قطب: إنها سنة العقائد والدعوات، لا بد من بلاء ولا بد من أذى في الأموال والأنفس، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام.

إنه الطريق إلى الجنة، وقد حفت الجنة بالمكاره، بينما حفت النار بالشهوات، ثم إنه هو

(١) البخاري، كتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ح (٦٥٤٤).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣/ ٢٤٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، أبو حاتم الرازي، ٨/ ٢٦٨٤.

(٤) انظر: الابتلاء والمحن، محمد عبد القادر أبو فارس.

الطريق الذي لا طريق غيره، لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة، وتنهض بتكاليدها. طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال. وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة.

ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودًا فهو لاء هم الذين يصلحون لحملها إذن والصبر عليها، فهم عليها مؤتمنون.

وذلك لكي تعز هذه الدعوة عليهم وتغلو، بقدر ما يصيبهم في سبيلها من عنت وبلاء، وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغال، فلا يفرطوا فيها بعد ذلك، مهما تكن الأحوال. وذلك لكي يصلب عود الدعوة والدعاة، فالمقاومة هي التي تستثير القوى الكامنة، وتنميها وتجمعها وتوجهها، والدعوة الجديدة في حاجة إلى استثارة هذه القوى، لتأصل جذورها وتعمق، وتتصل بالتربة الخصبة الغنية في أعماق الفطرة.

وذلك لكي يعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم هم أنفسهم، وهم يزاولون الحياة والجهاد مزاولة عملية واقعية ويعرفوا حقيقة النفس البشرية وخباياها، وحقيقة الجماعات والمجتمعات، وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم، مع الشهوات في أنفسهم وفي أنفس الناس، ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس، ومزالق الطريق، ومسارب الضلال!

ثم لكي يشعر المعارضون لها في النهاية أنه لا بد فيها من خير، ولا بد فيها من سر، يجعل أصحابها يلاقون في سبيلها ما يلاقون وهم صامدون، فعندئذ قد ينقلب المعارضون لها إليها أفواجًا في نهاية المطاف!

إنها سنة الدعوات، وما يصبر على ما فيها من مشقة، ويحافظ في ثنایا الصراع المرير على تقوى الله، فلا يشط فيعتدي وهو يرد الاعتداء، ولا يأس من رحمة الله ويقطع أمله في نصره وهو يعاني الشدائد... ما يصبر على ذلك كله إلا أولو العزم الأقوياء.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وهكذا علمت الجماعة المسلمة في المدينة ما ينتظرها من تضحيات وآلام وما ينتظرها من أذى وبلاء في الأنفس والأموال، من أهل الكتاب من حولها، ومن المشركين أعدائها.. ولكنها سارت في الطريق، لم تتخاذل ولم تتراجع، ولم تنكص على أعقابها.. لقد كانت تستيقن

أن كل نفس ذائقة الموت، وأن توفية الأجور يوم القيامة، وأنه من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وأن الحياة الدنيا ما هي إلا متاع الغرور. على هذه الأرض الصلبة المكشوفة كانت تقف، وفي هذا الطريق القاصد الواصل كانت تخطو، والأرض الصلبة المكشوفة باقية لأصحاب هذه الدعوة في كل زمان، والطريق القاصد الواصل مفتوح يراه كل إنسان، وأعداء هذه الدعوة هم أعداؤها، وتتوالى القرون والأجيال، وهم ماضون في الكيد لها من وراء القرون والأجيال.. والقرآن هو القرآن^(١).

نتتصر على الغرب بثباتنا

يقول الشهيد الرنتيسي -عندما كان في مرج الزهور- : في خيمة جلس صحفي محب إلى قلوبنا وعقد معي لقاء صحفيًا، ولقد أذهلني عندما توجه إليّ في نهاية اللقاء متسائلًا: هل أنت نبي؟ فقلت: لا، فقال: هي يتنزل عليكم وحي من السماء؟ فقلت: لا، ثم أنهى اللقاء. وتوجهت إليه متسائلًا بعد نهاية اللقاء: لماذا سألتني هذه الأسئلة الغريبة؟

فقال: أنا أخطب المجتمع الأمريكي، وهناك خواء روحي عجيب، وكثير منهم يعتقد أن ثباتكم بين الصخور والثلوج لا يمكن أن يكون إلا بوحي، ويعتقدون أنك نبي جديد، ولذا أردت أن أبين لهم الحقيقة. وقال لي: لو قلت إنك نبي لوجدت أعدادًا كبيرة دخلوا في هذا الدين الجديد^(٢).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٥٣٩-٥٤٠.

(٢) مذكرات الرنتيسي، ص ٥٩، ٦٠.

الأخوة في الله

هي منحة قدسية، ونعمة إلهية يقذفها الله عز وجل في قلوب المخلصين من عباده، والأصفياء من أوليائه، والأتقياء من خلقه، فالله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لا أخوة بدون إيمان ولا إيمان بدون أخوة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[الحجرات: ١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه بحديث يرفعه قال: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»^(١).

وقال النبي ﷺ: «إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى»، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»^(٢).

الأخوة طريق الجنة

قال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم أنني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك، فاجعل ذلك قربة لي إليك^(٣).

(١) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الأرواح جنود مجندة، ح (٢٦٣٨).

(٢) أبو داود، كتاب: الإجارة، باب: في الرهن، ح (٣٥٢٧)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الألباني: صحيح.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٦٠ / ٢.

وقال الفضيل في بعض كلامه: هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كتمته؟ بأي رحم قُطعت وصلتها؟ بأي زلة لأخيك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قاربته في الله؟^(١)

وقال عبد الله بن سهل: سمعت يحيى بن معاذ يقول: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه^(٢).

وقال أبو سليمان الداراني: كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهراً، ويقال: إنما الأخ الذي تعظك رؤيته قبل أن يعظك بكلامه^(٣).

ويقول ابننا: إن ذلك المهاجر الذي كان يترك أهله، ويفارق أرضه في مكة، ويفر بدينه، كان يجد أمامه أبناء الإسلام من فتيان يثرب ينتظرون، وكلهم شوق إليه وحب له وسرور بمقدمه، وما كان لهم سابق معرفة ولا قديم حيلة، وما ربطهم به وشيجة من صهر أو عمومة، وما دفعتهم إليه غاية أو منفعة.

وإنما هي عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به، ويعدونه جزءاً من أنفسهم، وشقيقاً لأرواحهم، وما هو إلا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج، كلهم يدعوه إلى بيته ويؤثره على نفسه، ويفديه بروحه وعياله، ويتشبث بمطلبه هذا حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع، حتى روى الإمام البخاري: «ما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة».

وحتى خلد القرآن للأنصار ذلك الفضل أبد الدهر، فما زال يبدو غرة مشرقة في جبين السنين في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/ ١٦٠.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص ٣٣٦.

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، ٦/ ٥٠٥.

أمر إلهي

يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يقول سيد قطب: هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً.. وهو هنا يذكرهم بهذه النعمة، يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية أعداء، وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد، وهما الحيان العربيان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعاً، ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل إلا فيه، ولا تعيش إلا معه، فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخواناً^(١).

حقوق الأخوة الخاصة

١ - في المال

يقول أبو حامد الغزالي في الإحياء: والحقوق في المال على ثلاث مراتب:

أدناها: أن تنزله منزلة خادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك، فإذا سنحت له حاجة وعندك فضل عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم توجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله بمنزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك وتسمح له بمشاطرته في المال.

الثالثة: وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه مرتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً^(٢).

وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال: إني أريد أن أؤاخيك في الله.

(١) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، ١/ ٤٤٢.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٧٣/ ٢.

فقال: أتدري ما حق الإخاء؟

قال: لا.

قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودراهمك مني.

قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد.

قال: فاذهب عني^(١).

وقال علي بن الحسين للرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه وكيسه فيأخذ منه ما

يريد بغير إذنه؟

قال: لا، قال: فلستم بإخوان^(٢).

وقال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني

لاستقلتها له، وقال أيضًا: إني لألقم اللقمة أختًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي^(٣).

ولله در علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين الوفاة قال: يا بني! إذا عرضت لك إلى

صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك

مؤنة عانك، واصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى

سيئة سدها، صاحب من إذا سأله أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك،

اصحب من إن قلت صدق قولك، وإن حاولت أمرًا أمرك، وإن تنازعتما آثرك^(٤).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أحق بالدينار

والدرهم من أخيه المسلم، وإنما في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم^(٥).

وقال يزيد بن عبد الملك: إني لأستحي من الله عز وجل أن أسأل الجنة لأخ من إخواني

وأبخل عليه بدينار أو درهم^(٦).

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٧٤/٢.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق، ١٧١/٢.

(٥) المعجم الكبير، الطبراني، ٤٣٢/١٢.

(٦) الإخوان، ابن أبي الدنيا، ص ٢٢٣.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: لعشرون درهماً أعطيتها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين^(١).

وعن الأعمش: أن خيثمة بن عبد الرحمن ورث مائتي ألف فأنفقها على إخوانه^(٢).

موقف مؤثر

بيعت عيادة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في المزاد العلني؛ لأنه رفض دفع ضرائب للاحتلال، وهذا من شجاعته لرفضه مبدأ الاحتلال، وقدر الله سبحانه أن يشتري محتويات العيادة رجل فاضل وهو ابن الداعية والمحسن الكبير الحاج «صادق الزيني»، فلما علم أنها له اتصل به ورد محتويات العيادة إليه، وأقسم أيماناً مغلظة ألا يأخذ المبلغ الذي دفعه للمزاد، وفعلًا لم يأخذ شيئاً رغم الإلحاح الشديد من الدكتور^(٣).

هل تؤثر إخوانك على نفسك؟

٢- الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات

وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه فجاء بهدية فقال: ما هذا؟
قال: لما أسديته لي.

فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى^(٤).

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم، ويردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله، فكانوا ما يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها حيث لا يعرفه أخوه، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة؛ فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها.

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٧٤/٢.

(٢) الإخوان، ابن أبي الدنيا، ص ٢١٤.

(٣) مذكرات الشهيد الرنتيسي، ص ٣٣ بتصرف.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٧٥/٢.

وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك، أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها، ولا ترى لنفسك حقًا بسبب قيامك بها.

وعن الحسن بن كثير قال: شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء إخواني. فقال: بشئ الأخ أخ يركاك غنيًا ويقطعك فقيرًا، ثم أمر غلامه فخرج كيسًا فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني^(١).

وكان رحمه الله يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، فتقول له مولاته سلمى: ما تصنع؟ فيقول لها: يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان؟

ولقى حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما -بعدما قتل الزبير- فقال: كم ترك أخى عليه من الدين؟ قال: ألف ألف.

قال: عليّ منها خمسمائة ألف^(٢).

قال الحسن: كنا نعد البخيل الذي يقرض أخاه!!^(٣)

وقال: ليس من المروءة أن يريح الرجل على صديقه^(٤).

وجاء رجل من السلف الصالح إلى بيت صديق له، فخرج إليه فقال: ما جاء بك؟

قال: عليّ أربعمائة درهم، فدخل الدار فوزنها، ثم خرج فأعطاه، ثم عاد إلى الدار باكيًا، فقالت زوجته: هلا تعللت عليه، إذا كان إعطاؤه يشق عليك؟

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١١٢/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٠/٣.

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، ٤٣٦/٧.

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، ٣٧٧/٢.

فقال: إنما أبكي لأنني لم أتفقد حاله، فاحتاج أن يقول ذلك^(١).

وقال علي: لأن أجمع نفرًا من أصحابي على صاع أو صاعين من طعام أحب إليّ من أن أخرج إلى سوقكم فأعتق نسمة^(٢).

ولله درابي سليمان الداراني حين يقول: لو أن الدنيا كلها لي في لقمة، ثم جاءني أخ لأحببت أن أضعها فيه^(٣).

ودخل مالك بن دينار ومحمد بن واسع منزل الحسن وكان غائبًا، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل، فقال له مالك: كُف يدك حتى يجيء صاحب البيت، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقًا، فدخل الحسن وقال: هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضًا حتى ظهرت أنت وأصحابك، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة، كيف وقد قال تعالى: ﴿أَوْ صَدِّيقُكُمْ﴾ وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحِهُ﴾ إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد^(٤).

وقال عبد الله بن عثمان شيخ البخاري: ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تمت وإلا قمت له بهالي، فإن تمت وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تمت وإلا استعنا له بالسلطان^(٥).

ودخل علي بن زين العابدين بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعود، فبكى ابن أسامة، فقال له: ما يبكيك؟

قال: عليّ دين.

قال: وكم هو؟

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢٥٢/٣.

(٢) الإخوان، ابن أبي الدنيا، ص ٢٣٤.

(٣) السابق، ص ٢٤٥.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٧٥/٢.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٧١/١٠.

قال: خمسة عشر ألف دينار.

فقال: هي علي^(١).

وقال الهيثم بن جميل: جاء فضيل بن مرزوق إلى الحسن بن حسين فأخبره أنه ليس عنده شيء، فقام الحسن فأخرج ستة دراهم، وأخبره أنه ليس عنده غيرها.

فقال: سبحان الله ليس عندك غيرها وأنا آخذها، فأخذ ثلاثة وترك ثلاثة^(٢).

قال ابن رجب في لطائف المعارف: كان كثير من السلف يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم، اغتنامًا لأجر ذلك: منهم: عامر بن عبد قيس، وعمرو بن عتبة بن فرقد، مع اجتهدهما في العبادة في أنفسهما، وكذلك كان إبراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه في السفر الخدمة والأذان.

وكان رجل من الصالحين يصحب إخوانه في سفر الجهاد وغيره، فيشترط عليهم أن يخدمهم، فكان إذا رأى رجلاً يريد أن يغسل ثوبه، قال له: هذا من شرطي، فيغسله^(٣).

٣- في اللسان

قال عيسى عليه السلام للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريح ثوبه عنه؟

قالوا: نستره ونغطيه.

قال: بل تكشفون عورته!

قالوا: سبحان الله، من يفعل هذا؟

فقال: أحذكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٩٤ / ٤.

(٢) السابق، ٣٤٣ / ٧.

(٣) لطائف المعارف، ابن رجب، ص ٢٥٧.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٧٨ / ٢.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه ^(١).

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم ^(٢).

ويقول أحمد بن حنبل: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى.

فقال له ابنه عبيد الله: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟
يا بني، كان الشافعي كالشمس للدين، وكالعافية للناس، فانظر هل
لهذين من خلف؟ ^(٣)

وعن أبي عبد الله بن الخطيب قال: كان لأبي حمدون (أحد القراء المشهورين) صحيفة مكتوب فيها ثلاثمائة من أصدقائه، قال: وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركه ليلة فنام، فقبل له في نومه: يا أبا حمدون! لم تسرج مصابيحك الليلة؟ قال: فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة، فدعا لواحد واحد حتى فرغ ^(٤).

وقال القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي: قال لي أحمد بن حنبل: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحرًا ^(٥).

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون مما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى ^(٦).

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ١/ ١٨١.

(٢) السابق، ٢/ ١٨٦.

(٣) السابق، ١/ ٢٦.

(٤) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٣٦٦.

(٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥١/ ٣٤٧.

(٦) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/ ١٨٦.

٤- الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة.

يقال: ما تأخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما.

وكان بشر يقول: إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه^(١).

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين، بل الوفاء له المخالفة.

فقد كان الشافعي أخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال:

مرض الحبيب فعدته فمرضت من جزعي عليه
وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه

وظن الناس من فرط محبته أنه يفوض أمر حلقة إليه بعد وفاته، فقبل للشافعي في علبته التي مات فيها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم، وهو عند رأسه ليومئ إليه.

فقال الشافعي: سبحان الله أيشك في هذا، أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن البويطي كان أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداينة^(٢).

يقول ابن عباس: أكرم الناس على جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إليّ، لو استطعت ألا يقع الذباب عليه لفعلت، وفي رواية: «إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني»^(٣).

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٨٧/٢.

(٢) السابق، ١٨٨/٢.

(٣) الأدب المفرد، البخاري، ١/٣٩١، قال الألباني: صحيح.

٥- التخفيف وترك التكلف

قال علي: شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة، وأجأك إلى اعتذار^(١).

وقالوا: من سقطت كلفته دامت ألفته، ومن خفت مؤنته دامت مودته.

وقال جعفر الصادق: أثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي^(٢).

وقال رجل للجنيد: قد عز الإخوان في هذا الزمان، أين أخ لي في الله؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثاً، فلما أكثر قال له الجنيد: إن أردت أخاً يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل، وإن أردت أخاً في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه، فعندي جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل^(٣).

٦- أخبره بحبك

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل به، فقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: «أعلمته؟» قال: لا، قال ﷺ: «أعلمه» فلحقه، فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببني له^(٤).

وعن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الشنايا (يلمع بياضاً في مقدمة أسنانه) إذ الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن قوله، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد هجرت (بكرت) فسبقني بالتهجير، ووجدته يصلي فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جثته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك فقال: الله؟ فقلنا: الله؟ فقال: الله؟، فقلت: الله، فقال: الله؟، فقلت: الله، فأخذ بحبوة رداي فجذبني إليه (ملتقى طرفيه من الصدر) فقال: أبشر، فإنني سمعت رسول الله ﷺ

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٨٩/٢.

(٢) السابق، ١٨٩/٢.

(٣) السابق.

(٤) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، ح(٥١٢٥)، قال الألباني: حسن.

يقول: قال تبارك وتعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ»^(١).

٧- إذا لقي الأخ أخاه فليبادر إلى مصافحته

قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»^(٢).
إذا لقي الأخ أخاه فليطلق وجهه عند اللقاء: عن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٣).

٨- إذا فارق الأخ أخاه فليطلب منه الدعاء في ظهر الغيب

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إنه استأذن النبي ﷺ في العمرة فقال: «أي أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا»^(٤).

٩- أن يكثر من زيارة أخيه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاه في الله، فأرصد الله على مدرجته (طريقه) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربّها، قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»^(٥).

وقال محارب بن دثار: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لقد أحببت في الله عز وجل ألف أخ كلهم أعرف اسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته، وأعرف مكان داره»^(٦).

وقال أبو سليمان الداراني: قد يعملون بطاعة الله عز وجل، ويعاونون على أمره، ولا يكونون إخواناً حتى يتزاوروا ويتباذلوا»^(٧).

(١) الموطأ، رواية يحيى الليثي، ٩٥٣/٢.

(٢) أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في المصافحة، ح(٥٢١٢)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال الألباني: صحيح.

(٣) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ح(٢٦٢٦).

(٤) الترمذي، كتاب: الدعوات، ح(٣٥٦٢)، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: ضعيف.

(٥) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الحب في الله، ح(٢٥٦٧).

(٦) الإخوان، ابن أبي الدنيا، ص ٧٧.

(٧) السابق، ص ٩٩.

وروى الخطيب البغدادي أنه قال: بلغني أن بعض أصحاب محمد بن غالب أبي جعفر المقرئ جاء في يوم وحل وطن، فقال له: كيف أشكر هاتين الرجلين اللتين تعبتا إليّ في مثل هذا اليوم لتكسباني الثواب؟ ثم قام بنفسه فاستقى له الماء، وغسل رجله! ^(١)

١٠- أن يبدي له اهتماماً في قضاء حوائجه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» ^(٢). وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما صفة من الآخر، فإن أجناس الناس كأجناس الطير.. ولا يتفق نوعان من الطير إلا لمناسبة، وفي ذات يوم رأى غراباً مع حمامة فعجب من ذلك وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذا هما أعرجان، فقال: من هنا اتفقا ^(٣).

عن مجاهد قال: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني ^(٤).

١١- حفظ السر

قال أبو سعيد الثوري: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، ثم دس عليه من يسأله عنك، وعن أسرارك، فإن قال خيراً وكنتم سرك فاصحب ^(٥).

١٢- عدم الهجر

قال إبراهيم النخعي: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه، فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً ^(٦).

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٤٣/٣.

(٢) مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح (٢٦٩٩).

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٦٢/٢.

(٤) الزهد، أحمد بن حنبل، ص ١٩٣.

(٥) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٧٩/٢.

(٦) السابق، ١٨٣/٢.

وحكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقبل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره؟

فقال: أحوج ما كان عليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده، وأتلف له في المعاتبه، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه^(١).

والقريب ينبغي ألا يهجر من أجل معصيته، حتى يقام له بواجب النصيحة، وذلك لأجل قرابته، قال الله تعالى لنييه في عشيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، ولم يقل: إني بريء منكم، مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب، لهذا أشار أبو الدرداء لما قيل: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟

فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي، وأخوة الدين أؤكد من أخوة القرابة.

وسأل الفاروق عمر رضي الله عنه عن رجل كان قد آخاه ثم خرج إلى الشام، فقالوا له: ذاك أخو الشيطان، إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر، فكتب إليه عمر: «من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو إليه المصير..»، ثم قال لأصحابه: ادعوا لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددها على نفسه حتى بكى، ثم نزع (أي تاب) فأحسن النزع، فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخوا لكم زل زلة فسدوده ووثقوه (أي افتحوا له باب الأمل والثقة) وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه^(٢).

١٣- حسن الظن

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً^(٣).

وقال أبو بكر الكتاني: يحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً، فوهبت له شيئاً بنية أن يزول

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/ ١٨٤.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي ٢/ ٣٦٧.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي، ١٦/ ٢٦٢.

ثقله من قلبي فلم يزل، فخلوت به يوماً وقلت له: ضع رجلك على خدي فأبى، فقلت له: لا بد من ذلك، ففعل ذلك فزال ما كنت أجد في باطني^(١).

وعن أبي قلابة قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهداً، فإن لم تجد له عُذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عُذراً لا أعلمه^(٢).

وقال الربيع بن سليمان: دخلت على الشافعي وهو مريض، فقلت له: قوى الله ضعفك، فقال: لو قوى ضعفي قتلتني، فقلت: والله ما أردت إلا الخير، قال: أعلم أنك لو شتمتني لم تُرد إلا الخير^(٣).

وقال أبو معاوية السواد: إخواني كلهم خير مني.

قيل: وكيف ذلك؟

قال: كلهم يرى لي الفضل عليه، ومن فضلني على نفسه فهو خير مني، ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم^(٤).

هل تحسن الظن بأخيك؟

١٣- النصيحة

روى أحد التابعين: سمعني شريح القاضي وأنا أشتكي بعض ما غمني لصديق، فأخذني من يدي وانتحى بي جانباً، وقال: يا ابن أخي، إياك والشكوى لغير الله عز وجل، فإن من تشكو إليه لا يخلو أن يكون صديقاً فتحزنه، وإما عدواً فيشمت بك، ثم قال: انظر إلى عيني هذه -وأشار إلى إحدى عيني-، فوالله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً منذ خمس عشرة سنة، ولكني ما أخبرت أحداً إلا أنت في هذه الساعة، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، فاجعل الله عز وجل مشاكك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك، فإنه أكرم مسئول وأقرب مدعو.

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ٢٥٥/٥٤.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٢/٢٨٥.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/١٣٥.

(٤) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٨/٢٧٢.

وقد رأى ذات يوم رجلاً يسأل آخر شيئاً فقال له: يا ابن أخي من سأل إنساناً حاجة فقد عرض نفسه على الرق، فإن قضاها له المستول فقد استعبده بها، وإن رده عنها رجع كلاهما ذليلاً^(١).

احرص على تقديم النصيحة لإخوانك سرّاً وبرفق.

نصح واثلة

كان واثلة بن الأسقع واقفاً في سوق، فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم، فغفل واثلة، وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال واثلة: إن بخفها نقباً - يعني جرحاً - قد رأيت، وإنها لا تتابع السير، فعاد الرجل فردها، فنقصها البائع مائة درهم، وقال لواثلة: أفسدت عليّ بيعي رحمك الله، فقال واثلة: إنا بايعنا رسول الله على النصح لكل مسلم^(٢).

وقالت أم الدرداء رضي الله عنها: من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه^(٣).

وقال سفيان: قلت لمسعر بن كدام: تحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟

قال: أما أن يجيء إنسان فيؤبختني بها فلا، وإما أن يجيء ناصحاً فنعم^(٤).

ويقول أحد السلف: أخوك من عرفك العيوب، وصديقك من حذرَكَ من الذنوب^(٥).

١٥- قبول الدعوة

زار الإمام الشهيد البنا إحدى قرى الصعيد، وأقام الإخوان احتفالاً كبيراً في هذا اليوم، وبعد انتهاء الحفل ألح أحد الفلاحين على الإمام الشهيد أن يزوره في بيته، وكان عدد الإخوان كثيراً، وكان هناك مواعيد ولقاءات، فقبل الإمام الشهيد أمام الإصرار الشديد على

(١) صور من حياة التابعين، ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٧٦/٢.

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، ١١٢/٦.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، ص ١٩٦.

(٥) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٩٥/٤.

الزيارة، بشرط أن يكون وحده، وألا تتجاوز الزيارة فنجان شاي، وتوجهها إلى البيت، وكانت الفرحة، وطلب الرجل من زوجته إعداد فنجان شاي بسرعة، وسُر الرجل، وجعل الإمام الشهيد يشرب الشاي، وكلما أخذ رشفة تبسم وأنس الرجل، ثم عاد إلى إخوانه المنتظرين وودعه الرجل بكل حفاوة، ثم رجع إلى بيته مسرعاً، وتناول فنجان الشاي، ليحظى بسؤره وما تبقى منه، فلم يجد سوى الأثر، ولكنه وجد عجباً، فوجئ بأن الشاي قد أضيف إليه الملح بدل السكر^(١).

١٦ - مراعاة الذوقيات

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان الإمام الشهيد البنا يتحسس في رقة ودقة كل ما يرضى الإخوان في الحدود المشروعة، في ذات يوم زاره الأخ الشاعر عمر الأميري أحد قادة الإخوان في سوريا؛ ليستأذنه في الذهاب إلى الإسكندرية مع والده في القطار الذي يغادر القاهرة غداً في السابعة صباحاً، وذهب عمر الأميري مع والده وقبل أن يتحرك القطار بدقيقة أو دقيقتين، إذ بعمر يرى الإمام الشهيد وهو يسرع الخطى على رصيف القطار، يحمل باقة من الورود الناضرة، يقدمها تحية لوالد عمر الأميري، وكان لهذا الموقف تأثير عميق في نفس الأميري الشاعر الكبير^(٢).

هل تحرص على تقديم الهدية لإخوانك؟

ويقول الندوي: حدثني بعض الثقات المعمرين الذين أدركوا عهد الأشراف في الحجاز، أن تجار مكة كانوا في ذلك العهد على جانب عظيم من المواساة لزملائهم، والنظر في مصالحهم، والإخلاص والإيثار لهم، قال: كان بعض التجار إذا أتاه زبون في آخر النهار وقد باع ما يكفيه لقوت يومه وما حدده من الربح والوارد، ولم يكن زميله الجار سعيد الحظ في ذلك اليوم، قال له في لطف وهدوء:

دونك هذا الدكان الذي هو بجواري! تجده عنده ما تجده عندي، وقد لاحظت قلة الزبائن عنده هذا اليوم، فهو أحق أن تشتري منه.

(١) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٥٨، ٥٩.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ٦٤.

ويتحدث الأستاذ محمد أسد النمساوي عن مدينة إسلامية عربية كبيرة (دمشق) فيذكر انطباعاته كما يلي:

وقفت على ذلك الاستقرار الروحي في حياة سكانها، إن أمنهم الباطني كان يمكن أن يُرى في الطريقة التي كان أصحاب الدكاكين يعامل بها بعضهم بعضًا، أولئك التجار في الحوانيت الصغيرة، أولئك الذين لا ينادون على المارة، أولئك كانوا يبدون وكأننا ليس فيهم أيما قدر من الخوف، والحسد، حتى إن صاحب دكان منهم ليترك دكانه في عهدة جاره ومزاحمه، كلما دعت حاجته إلى التغيب بعض الوقت، وما أكثر ما رأيت زبونًا يقف أمام دكان غاب عنه صاحبه يتساءل فيما بينه وبين نفسه، ما إذا كان ينتظر عودة البائع، أم ينتقل إلى الدكان المجاور، فيتقدم التاجر المجاور دائمًا -للتاجر المزاحم- ويسأل الزبون عن حاجته ويبيعه ما يطلب من البضاعة -لا بضاعته هو- بل بضاعة جاره الغائب، ويترك له الثمن على مقعده.

هل في أوروبا يستطيع المرء أن يشاهد مثل هذه الصفقة^(١).

نقاتل أعداءنا بالحب

روى أنه بعد الاتفاق على صلح الحديبية وقبل أن يدون في عقد، تمكن الصحابي الشاب أبو جندل بن سهيل بن عمرو من الفرار من سجن أبيه وقومه، حتى لحق بالمسلمين في الحديبية، ففرح به المسلمون وتلقوه وآووه، فأمسك به أبوه سهيل بن عمرو وهو المفاوض باسم قريش في هذا الصلح، وأخذ بتلابيبه وجعل يضرب وجهه بغصن شوك ويجره إليه، فصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني عن ديني؟ فزاد ذلك المسلمين شراً وحزناً، وجعلوا يبكون لكلام أبي جندل، وهنا قال رجل من الكفار واسمه حويطب بن عبد العزى لرجل آخر اسمه مكرز بن حفص: ما رأيت قومًا قط أشد حبا لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد، وبعضهم بعضًا، أما إني أقول: لا نأخذ من محمد نصفنا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة (أي لن تنال منه شيئًا حتى يدخل مكة بالقوة).

(١) الإيوان والحياة، ٢٣٦، ٢٣٧.

فقال مكرز: وأنا أرى ذلك.

والشاهد أن مشاعر الحب والأخوة بين المسلمين في هذا الموقف هي التي جعلت اثنين من الكفار يقرران نهاية الصراع لصالح المسلمين^(١).

يقول البنا: الأخوة الإسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض، فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم، قطعة من الأرض الإسلامية العامة التي يفرض الإسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها، فكان من ذلك أن اتسع أفق الوطن الإسلامي، وسما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية إلى وطنية المبادئ السامية، والعقائد الخالصة الصحيحة، والحقائق التي جعلها الله للعالم هدى ونورا، والإسلام حين يشعر أبنائه بهذا المعنى، ويقرره في نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الإسلام من عدوان المعتدين، وتخليصها من غصب الغاصبين، وتحصينها من مطامع المعتدين^(٢).

(١) عدة المجاهدين، ص ٨٧.

(٢) الرسائل، ص ٥٢.

الثقة

الثقة من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

أنواع الثقة:

١ - الثقة في كلام الله

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فألقت أم موسى ابنها في اليم وهو عين الثقة بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقتها بربها لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه وجريانه إلى حيث ينتهي أو يقف.

إن المسلم يوقن بأن الله لن يتركه ولن يضيعه إذا ما تحلى الجميع عنه، فثقته وبقينه بها عند الله أكبر من يقينه بها في يده، لذلك تراه دائماً هادئ البال، ساكن النفس، إذا ما ادلهمت عليه الخطوب وازدادت الغيوم، فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

وعندما فر سيدنا موسى بمن معه من فرعون فأتبعهم فرعون فأصبح البحر أمامه وفرعون خلفه، فقال له بنو إسرائيل: ﴿إِنَّا لَمُذْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] ولكنه بيقين قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وفي الهجرة عندما اقترب المشركون من غار ثور قال أبو بكر: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال الرسول ﷺ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»^(١)، ونزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا

(١) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضائلهم، ح (٣٤٥٣).

تَضَرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

لقد كان الرسول ﷺ على يقين بأن الله سينجيه من الكفار، فاستشعر معية الله سبحانه وتعالى.

عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥]، وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١-٤]. فقال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتحن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، قالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين؟ أقسم بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه، قالوا: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت ست سنين قبل أن يظهرُوا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، قال: فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين لأن الله قال: في بضع سنين ولم يقل في ست سنين، فأسلم عند ذلك ناس كثير^(١).

كان أبو بكر على يقين بما قاله الله تبارك وتعالى، فتواعد مع الكفار على موعد محدد.

اللَّهُ قَالَ هَذَا

عن أبي عبد الله مردنيش المغربي أنه أغار يوماً فغنم غنائم كثيرة، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس، فقال لأصحابه وكانوا ثلاثمائة فارس: ما ترون؟ فقالوا: نشغلهم بترك الغنائم، قال: ألم يقل الله ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فقال

(١) الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة الروم، ح (٣١٩٤)، قال الترمذي: حسن غريب، وقال الألباني: حسن.

أصحابه: يا رئيس، الله قال هذا؟ فقال: الله يقول هذا وتعدون عن لقائهم؟! قال: فثبتوا فهزموا الروم^(١).

المسلمون تذكروا الآية الكريمة، فعَلَّتْ همتهم وزاد يقينهم بأن النصر حليفهم، فقاتلوا بكل شجاعة وبسالة.

الثقة بالثواب

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيهِمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْرُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

الثقة في كلام الرسول ﷺ

قال الكفار لأبي بكر رضي الله عنه: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟! فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن قال ذلك فقد صدق، فقالوا: قد صدقته أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقهما بما هو أبعد من ذلك، أصدقهما في خبر السماء غدوه ورواحه^(٢).

لم يسبقنا أبو بكر بصلاة ولا صيام، وإنما سبقنا بشيء وقر في صدره.. هذا الشيء اسمه اليقين.

اسقه عسلاً

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتى الثانية فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتى الثالثة، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: «صدق الله وكذب بطن أخيك.. اسقه عسلاً»، فسقاه، فبرأ^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠/٢٢٣.

(٢) السيرة الحلبية، برهان الدين الحلبي، ٩٢/٢.

(٣) البخاري، كتاب: الطب، باب: الدواء بالعسل، ح(٥٣٦٠).

العسل شفاء من كل داء، ونحن علي يقين بما أخبر الرسول ﷺ عن رب العالمين، فاحرص على تناوله وأنت علي يقين بالشفاء من مرضك إن شاء الله.

شهادة رجل بشهادتين

النبى ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي واستتبعه ليقبض ثمن فرسه، فأسرع النبى ﷺ وأبطأ الأعرابي، وطفق الرجال يتعرضون للأعرابي فيسومونه بالفرس (أي يزيدون في ثمن الفرس بعد استقرار البيع) وهم لا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم في السوم على ما ابتاعه به منه، فنادى الأعرابي النبى ﷺ فقال: «إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته، فقام النبى ﷺ حين سمع نداءه فقال: «أليس قد ابتعته منك»، قال: لا والله ما بعته، فقال النبى ﷺ: «قد ابتعته منك» فطفق الناس يلوذون بالنبى ﷺ وبالأعرابي وهما يتراجعان، وطفق الأعرابي يقول: هلم شاهداً يشهد أنى قد بعته، قال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بعته، قال: فأقبل النبى ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد؟» قال: بتصديقك يا رسول الله، قال: فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين^(١).

هل أنت علي يقين بكلام الرسول ﷺ بأن النصر لمن يتمسكون بالإسلام؟!

وعن أم عمار قالت: اشتكى عمار ؓ فقال: لا أموت في مرضي هذا، حدثني حبيبي رسول الله ﷺ أنى لا أموت إلا قتيلاً بين فئتين مؤمتين^(٢).

وسمع أنس بن مالك ؓ بعض الممارين في الدين يتكلمون في الحوض، فقال لقد تركت عجائز خلفي ما تصلي واحدة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبى ﷺ^(٣).

إنهم كانوا على يقين بوجود حوض النبى ﷺ.

ولقد دعا رسول الله ﷺ لأنس بن مالك أكثر من مرة وكان من دعائه له: «اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له»، وقد استجاب الله سبحانه دعاء نبيه، فكان أنس أكثر الأنصار مالاً،

(١) النسائي، كتاب: البيوع، باب: التسهيل في ترك الأشهاد على البيع، ح (٤٦٤٧)، قال الألباني: صحيح.

(٢) كنز العمال، المتقى الهندي، ١٣ / ٥٣١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠ / ٢٨١.

وأوفرهم ذرية، حتى إنه رأى من أولاده وحفدته ما يزيد على المائة، وقد بارك الله له في عمره حتى عاش قرناً كاملاً وفوقه ثلاث سنوات، وكان أنس شديد الرجاء لشفاعة النبي ﷺ له يوم القيامة، فكثيراً ما كان يقول: إني لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ في يوم القيامة فأقول له: يا رسول الله، هذا خويدمك أنس^(١).

لقد كان على يقين في البركة في رزقه وأولاده، لأن الرسول ﷺ دعا له بذلك.

بشره بالجنة:

عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط (بستان) من حيطان المدينة، وجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة»، ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه»، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان^(٢).

وبالفعل كانت خلافة عثمان بن عفان ؓ مليئة بالفتن، وقتل شهيداً في نهاية حياته.

ثقة عمر

كان عمر بن الخطاب ؓ يعلم من رسول الله ﷺ أنه سيقتل، وسيلقى الله شهيداً، قال أنس بن مالك ؓ: إن النبي ﷺ صعد أحد وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «أثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان»^(٣).

هل أنت على يقين بأن الله سيغفر للشهيد ذنوبه مع أول دفعة من دمه؟ فهل تتمنى الشهادة وتعمل لها؟

ما احترق

جاء رجل إلى أبي الدرداء ؓ فقال: يا أبا الدرداء احترق بيتك.

(١) صور من حياة الصحابة، ص ١٤-١٦.

(٢) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب ؓ، ح (٣٤٩٠).

(٣) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح (٣٤٧٢).

قال: ما احترق.

ثم جاء آخر فقال: يا أبا الدرداء انبعثت النار حتى انتهت إلى بيتك وطفئت.

قال: قد علمت أن الله عز وجل لم يكن ليفعل.

قال: يا أبا الدرداء! ما ندري أي كلامك أعجب؟ قولك: ما احترق، أو قولك: قد علمت أن الله لم يكن ليفعل ذلك.

قال: ذاك كلمات سمعتها من رسول الله ﷺ، من قالهن حين يصبح لم تصبه مصيبة حتى يمي: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش الكريم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»^(١).

حافظ أخي على هذا الدعاء، وكن على ثقة ويقين بما قاله الرسول ﷺ.

إنه سيعود

عن أبي هريرة ؓ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» فقلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته وخلت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فرصدته الثالثة. فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود! فقال: دعني فإني

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ٦٣٨/٢.

أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختتم الآية، فإنها لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي؟» فقلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختتم الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذاك شيطان»^(١).

صدقت نبوءة الرسول ﷺ في أنه سيعود؛ ولذلك تربص به أبو هريرة، فاعلم بأن الشيطان سيعود إليك دائماً ويوسوس لك، لتفعل المعاصي، فهل تربص به، وتنبه لوساوسه؟

الثقة في القيادة

رأينا أعداء الإسلام يستخدمون سلاح التشكيك في القيادة في كل وقت، كما حدث بعد أن أمر الرسول بإحراق نخل يهود بني النضير، فقالوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وقطع الشجر، فما بالك تفعله؟

فحاك ذلك في صدور بعض المسلمين فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّبْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]^(٢).

وكان صلح الحديبية ٦هـ على خلاف أكثر الآراء والأهواء والرغبات، ولكن القيادة ذات الرؤية (الأبعد والأثقب) رأت إنفاذه، فكان من الجنود السمع والطاعة والالتزام والانضباط، وإن كانت هناك (تساؤلات) أو (ضيق قلبي) فلا بأس بشرط ألا يكون لهما آثار بعد (القرار).

وهذه الثقة في القيادة هي التي عصمت - بفضل الله - حذيفة بن اليمان في غزوة

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٣٣٣.

الأحزاب من خطأ (الاجتهاد الفردي)، حيث أمره الرسول بعبور الخندق واستطلاع أخبار الأحزاب وقال: «لا تحدث شيئاً»، وفي رواية «لا تدعهم علينا»، أي لا تهيجهم ولا تثرهم، وهناك رأي أبا سفيان - قائد جيش الكفار في هذا الوقت - يكشف ظهره ويستدفع بالنار، فهم أن يرميه بسهم، ولكنه تذكر أمر الرسول فأعاد السهم موضعه. وما أعظمه من درس! فالمسلمون في ساعة حرب، وأبو سفيان (محارب)، بل قائد المحاربين، ويستحق وقتها القتل، وهو صيد سمين سيؤثر في نفوس جيشه لو قتل.. إلخ، ولكن (المصلحة العليا) والقيادة قررت غير ذلك!^(١)

الثقة في الجنود

أرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص مدداً فيه أربعة رجال وقال له: أرسلت إليك أربعة رجال الواحد فيهم بألف. وكان خالد بن الوليد يقول لقادة الروم والفرس: «جتكم يقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».

ولما استعصى فتح الحديقة على المسلمين في معركة اليمامة ضد مسلمة الكذاب قال خالد للبراء بن مالك: إليهم يا فتى الأنصار، فكان على يديه بإذن الله^(٢).

الثقة في الأخوة

فزع أهل الأندلس من حملات النصارى عليهم والتهامهم بلداً بعد الآخر، فذهب الفقهاء والعلماء والأعيان إلى المعتمد بن عباد ليرى لهم حلاً ف عقد مجلساً للشورى، فاقترح بعضهم الاستعانة بيوسف بن تاشفين زعيم (المرابطين) في المغرب، فاعترض بعض الحاضرين، ومنهم الرشيد بن المعتمد الذي قال لأبيه: يا أبت أتستبدل عدواً بعدو؟! فقال المعتمد كلمته الرائعة المتجردة لله: والله، يا بني لا ينقص الإسلام وأنا حي؛ فالعن على مقابر المسلمين، ولأن أكون راعي إبل في إفريقية خير من أن أكون راعي خنازير في

(١) عدة المجاهدين، ص ٨٠، ٨١.

(٢) عدة المجاهدين، ص ٨١، ٨٢.

الأندلس (أي لو ضاع ملكي على يد يوسف وأخذني أسيرًا أرعى عنده الإبل خيرًا من ضياعه على يد الصليبيين) ثم أجمعوا رأيهم على الاستفادة بالأخوة الإسلامية، فعبّر المغاربة البحر وكونوا مع الأندلسيين جيشًا عظيمًا تحت راية الإسلام، فحققوا نصرًا مبینًا في معركة الزلاقة (٩٧٤هـ) حتى لقد جمعوا هاجم القتل وصعدوا عليها وأذنوا للصلاة، وبعدها رجع يوسف بن تاشفين بجيشه إلى المغرب، وما أخذوا حتى الغنائم!^(١)

هل أنت على ثقة بإخوانك في الإسلام؟

الثقة في نصر الله

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، ثلاث» قال: فقلت: إني على دين، فقال: «أنا أعلم بدينك منك»، وقال: «إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما تبعته ضعفة الناس ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟»، قلت: لم أرها وقد سمعت بها، قال: «فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة (المرأة في السفر) من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز»، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «نعم، كسرى بن هرمز، وليذلن المال حتى لا يقبله أحد»، قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف في غير جوار أحد، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها^(٢). إنه يقين بما أخبر به الرسول ﷺ.

والرسول ﷺ أخبرنا بأن الإسلام سيتنصر مهما فعل أعداء الإسلام، فلا يجوز أن يصاب المسلم بالهزيمة النفسية، ويقعد عن نصره دين الله، فكن على يقين كامل بأن الله سينصر دينه، ولكن عليك بالأخذ بكل الأسباب الممكنة.

لا تتعجل النصر

وجاء خباب بن الارت رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقال له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض

(١) عدة المجاهدين، ص ٨٤، ٨٣.

(٢) أحمد، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، ح (١٨٢٨٦)، تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن.

فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»^(١).

وسأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله، أيها أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى^(٢)، فمن الأخطاء الشائعة أن نظن أن النصر يأتي بدون ابتلاء.

فالنصر قادم لا محالة، ولكن الله قد حدد له موعدًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر، والمهم، أين المسلمون الذين سيستقبلون هذا النصر، ويحافظون عليه؟!

وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟

فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله نكتب، إذ سئل رسول الله أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال: مدينة هرقل أولاً، يعني قسطنطينية^(٣).

ورومية هي روما عاصمة إيطاليا الآن والقسطنطينية هي إستانبول، ويفهم من السؤال أن الصحابة قد علموا قبل ذلك أن الإسلام سيفتح المدينتين، ولكن يريدون أن يعرفوا: أي المدينتين تسبق الأخرى، فأجابهم أن مدينة هرقل - القسطنطينية - ستفتح أولاً.

وقد تحقق ذلك على يد الفاتح العثماني الطموح (محمد بن مراد) ابن الثالثة والعشرين، الذي عرف في التاريخ باسم (محمد الفاتح)، وفتحت مدينة هرقل في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي بالتحديد عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م.

سؤال

تسمع من يقول: ماذا نفعل ونحن مجردون من الأسباب المادية؟!

(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ١١/٣.

(٣) سنن الدارمي، باب: من رخص في كتابة العلم، ح(٤٨٦)، قال حسين سليم الأسد: إسناده قوي.

إنه تبرير الأذلاء وحجة الضعفاء، وكأن الأسباب المادية هي التي تأتي بالنصر. فماذا كان يملك نوح عليه السلام من الأسباب المادية عندما وقف أمام قومه وقال لهم: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. ونفس الموقف يتكرر مع هود عليه السلام يقف وحده أمام قومه ويتحداهم قائلاً: ﴿فَكِيدُونِي بِمِيعَاتِكُمْ لَأُنْظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥] فإني لا أخشاكم ولا أبالي بكم، فمعي قوة لا تقهر ومعني نصير لا يغلب: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، وأنتم أيها الغلاظ الشداد ما أنتم إلا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربي بناصيتها، فما خوفي إذا منكم؟ إنها حقيقة الألوهية عندما تتجلى في قلوب الصفوة المؤمنين، عندها يهتف القلب على الفور: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

الجدية والانضباط

الجدية: هي إنفاذ التكاليف الشرعية والدعوية في وقتها، مع المثابرة وتسخير الإمكانيات المتاحة، والتغلب على الصعاب والعقبات، وقد حث الإسلام على الجدية والانضباط فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ بَقْوَةٍ﴾ [مريم: ١٢] وظهرت الجدية في حياة الرسول ﷺ من خلال ثباته على الحق وقال لعنه: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»^(١) وإليك مظاهر الجدية والانضباط:

الجدية في طلب العلم:

قال مسلم في صحيحه: قال يحيى بن أبي كثير: لا ينال العلم براحة الجسم^(٢)، وقد قيل: من طلب الراحة ترك الراحة^(٣).

ويقول عمر بن الخطاب ؓ: كنت أنا وجاري من الأنصار وهو أوس بن خولى الأنصاري في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناول النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جثته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك^(٤). وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: أثقل الساعات علي: ساعة أكل فيها^(٥).

وكان عثمان الباقلاني دائم الذكر لله تعالى، فقال: إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج! لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر^(٦).

وقال عمار بن رضاء: سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٢٦٥، بتصرف.

(٢) صحيح مسلم، ١/ ٤٢٦.

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ١/ ١٠٩.

(٤) البخاري، كتاب: العلم، باب: التناوب في العلم، ح (٨٩).

(٥) الحث على طلب العلم، أبو هلال العسكري، ص ٨٧.

(٦) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص ٤٩٢.

بالليل، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث^(١).

وكان داود الطائفي يستف الفتي، ويقول: بين سف الفتي وأكل الخبز قراءة خمسين آية^(٢).

ويخرج من نفس المشكاة قول الإمام الجليل ابن عقيل: «وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفر على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها».

بل إن أحدهم ليحزن ويصيبه المرض إذا فاته شيء من العلم، فقد ذكروا لشعبة حديثاً لم يسمعه، فجعل يقول: واحزنه! وكان يقول: إني لأذكر الحديث فيفوتني، فأمرض.

عن عبد الرحمن بن تيمية عن أبيه قال: كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب، وارفع صوتك حتى أسمع^(٣).

هل تلزم نفسك بالقراءة اليومية في العلوم الشرعية وفي مجال تخصصك؟

الجدية في تحمل المسؤولية

كان عمر بن الخطاب ؓ يأتي إلى مجزرة الزبير بن العوام -وكانت الوحيدة بالمدينة- ومعه الدرة، فإذا رأى رجلاً اشترى لحماً يومين متتابعين ضربه بالدرة، وقال له: ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك؟!

ورأى عمر سائلاً، وعلى ظهره جراب مملوء طعاماً، فأخذ الطعام ونثره لإبل الصدقة، ثم قال له: الآن سل ما بدا لك.

واهتم الخليفة عمر بصحة الرعية، فكان يحذرهم من مغبة السمنة ومخاطرها، ويدعوهم إلى تخفيف أوزانهم لما فيه من القوة على العمل، والقدرة على أداء الواجبات، فكان يقول: أيها الناس، إياكم والبطنة عن الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم، مورثة للسقم، وإن الله عز وجل يبغض الحبر السمين، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم فإنه أدنى من

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٥٩/١١.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص ٤٩٢.

(٣) علو الهمة: محمد إسماعيل المقدم.

الصلاح وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. ويذكر ابن الجوزي: أن عمر رأى رجلاً عظيم البطن فقال: ما هذه؟ قال: بركة من الله، فقال: بل عذاب من الله^(١).

تنفيذ الأوامر

استدعى أبو موسى الأشعري مجزأة بن ثور السدوسي -رضي الله عنهما- فقال له: أعني برجل من قومك له عقل وحزم، وقدرة على السباحة، فقال مجزأة: اجعلني ذلك الرجل أيها الأمير، فطلب منه أبو موسى الذهاب مع دليل فارسي لمعرفة منفذ لفتح تستر، ثم أوصاه أن يحفظ الطريق، وأن يعرف وضع الباب، وأن يحدد مكان الهرمزان، وأن يتثبت من شخصه، وألا يحدث أمراً غير ذلك.

مضى مجزأة بن ثور تحت جناح الظلام مع الدليل الفارسي، فأدخله في نفق تحت الأرض يصل بين النهر والمدينة، فكان النفق يتسع تارة حتى يتمكن من الخوض في مائه وهو ماش على قدميه، ويضيق تارة أخرى حتى يحمله على السباحة حملاً، وكان يتشعب ويتعرج مرة، ويستقيم مرة أخرى، وهكذا حتى بلغ به المنفذ الذي ينفذ منه إلى المدينة، وأراه الهرمزان قاتل أخيه، والمكان الذي يتحصن فيه، فلما رأى الهرمزان همّ بأن يرديه بسهم في نحره، لكنه ما لبث أن تذكر وصية أبي موسى له بألا يحدث أمراً، فكبح جراح هذه الرغبة في نفسه، وعاد من حيث جاء قبل بزوغ الفجر.

أعد أبو موسى ثلاثمائة من أشجع جند المسلمين قلباً، وأشدّهم جلدًا وصبراً، وأقدرهم على العوم، وأمر عليهم مجزأة بن ثور وودعهم وأوصاهم وجعل التكبير علامة على دعوة جند المسلمين لاقترحام المدينة، أمر مجزأة رجاله أن يتخففوا من ملابسهم ما استطاعوا حتى لا تحمل من الماء ما يثقلهم، وحذرهم من أن يأخذوا معهم غير سيوفهم، وأوصاهم أن يشدوها على أجسادهم تحت الثياب، ومضى بهم في الثلث الأول من الليل.. ظل مجزأة بن ثور وجنده البواسل نحو من ساعتين يصارعون عقبات هذا النفق الخطير، فيصرعونها تارة وتصرعهم تارة أخرى، ولما بلغوا المنفذ المؤدي إلى المدينة وجد مجزأة أن النفق قد ابتلع مائتين وعشرين

(١) عمر بن الخطاب، الصلابي، ص ١٦٣، ١٦٤.

رجلا من رجاله وأبقى له ثمانين، وما إن وطئت أقدام مجزأة وصحبه أرض المدينة حتى جردوا سيوفهم، وانقضوا على حماة الحصن، فأغمدوها في صدورهم، ثم وثبوا إلى الأبواب وفتحوها وهم يكبرون، واستشهد مجزأة وأسر الهرمزان^(١).

طاعة بعد الموت

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال لها: يا أمة الله لو قعدت في بيتك، لا تؤذين الناس، فقعدت فمر بها رجل -بعد ذلك بزمان- فقال: إن الذي نهاك قد مات فاخرجي، فقالت: والله ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا^(٢).

العزيمة

لما لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وآلت الخلافة إلى أبي بكر رضي الله عنه وارتدت بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب مع المرتدين، جهز خليفة رسول الله ﷺ جيشا لحرب مسيلمة، وإعادة قومه بني حنيفة إلى دين الله، فقال وحشي بن حرب في نفسه: هذه والله فرصتك يا وحشي فاغتنمها، ولا تدعها تفلت من يديك.

يقول: ثم خرجت مع جيوش المسلمين، وأخذت معي حربتي التي قتلت بها حمزة بن عبد المطلب، وآليت على نفسي أن أقتل بها مسيلمة أو أظفر بالشهادة، فلما اقتحم المسلمون على مسيلمة وجيشه حديقة الموت، والتحموا بأعداء الله، جعلت أترصد مسيلمة فرأيته قائما والسيوف في يده، ورأيت رجلا من الأنصار يتربص به مثلما أتربص به كلانا يريد قتله، فلما وقف منه موقفا أرضاه، هزرت حربتي حتى إذا استقامت في يدي دفعت بها نحوه فوقعت فيه^(٣).

فورية التنفيذ

أعد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه جيشا لفتح منازر من أرض الأهواز بناء على أمر الخليفة، وجعل في الجيش الربيع بن زياد وأخاه المهاجر.

(١) صور من حياة الصحابة، ص ١٦٣-١٦٥.

(٢) الموطأ، رواية يحيى الليثي، ١/٤٢٤.

(٣) صور من حياة الصحابة، ص ٣٤٦.

ولما رأى المهاجر أخو الربيع بن زياد أن القتل قد كثر في صفوف المسلمين عزم على أن يشري (يبيع) نفسه ابتغاء مرضاة الله، فتحنط وتكفن وأوصى أخاه.

فمضى الربيع إلى أبي موسى وقال: إن المهاجر قد أزمع أن يشري نفسه وهو صائم، والمسلمون قد اجتمع عليهم من وطأة الحرب، وشدة الصوم ما أوهن عزائمهم، وهم يأبون الإفطار، فافعل ما ترى، فوقف أبو موسى الأشعري، ونادى في الجيش: يا معشر المسلمين، عزمت على كل صائم أن يفطر، أو يكف عن القتال، وشرب من إبريق كان معه ليشرب الناس بشربه، فلما سمع المهاجر مقالته جرع جرعة من الماء وقال: والله ما شربتها من عطش ولكنني أبررت عزمة أميرى (أفضيت قسم أميرى) ثم امتشق حسامه وطفق يشق به الصفوف، فلما أوغل في جيش الأعداء أطبقوا عليه من كل جانب، وتعاورته (تداولته) سيوفهم حتى خر صريعا، ثم إنهم اجتزوا رأسه ونصبوه على شرفة مطلة على ساحة القتال.

فنظر إليه الربيع وقال: طوبى لك، وحسن مآب! والله لأنتقمن لك ولقتلى المسلمين إن شاء الله، فلما رأى أبو موسى ما نزل بالربيع من الجزع على أخيه، وأدرك ما ثار من الحفيظة في صدره على أعداء الله، تخلى له عن قيادة الجيش، ومضى إلى السوس يفتحها^(١).

إذن ننشئ له مدرسة

في مغاعة مدرسة خاصة تملكها جمعية قبطية، وكان ناظر المدرسة من الإخوان، وقد خدم في هذه المدرسة ثمانية عشر عاما، ولكن الإدارة بيتت أمرا خبيثا، فقد فاجأته بالاستغناء عنه قبل انتهاء الإجازة الصيفية بقليل، وقد استوفت كل المدارس حاجتها من المدرسين والنظار، فوصل الخبر للإمام الشهيد، فقال لإخوان مغاعة وهو يتسم بثقة وطمأنينة:

لا بأس إذن ننشئ له مدرسة يكون هو ناظرها وصاحبها. فتعجب الناس؛ إذ لم يبق على بدء الدراسة إلا أقل من شهر ولا يوجد رأس مال، فوضع الإمام الشهيد خطة، وأصدر الأوامر، ووزع الأعمال، وتحقق الأمل، وأنشئت المدرسة بفضل الله وعونه^(٢).

(١) صور من حياة الصحابة، ص ٤٣٥.

(٢) الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢٢٦ - ٢٢٢.

تسخير الإمكانيات

شهد اليرموك ألف من صحابة رسول الله ﷺ من بينهم نحو من مائة شهدوا بدرًا، وكان معاذ بن جبل يصحبه ابنه عبد الرحمن، وقبل أن يحدث القتال كان معاذ بن جبل يطوف بين صفوف المسلمين يحرضهم على القتال، ويذكرهم بأيام الله، ويمنيهم بالجنة ونعيمها، وكان أحد قادة الروم يرقب معاذًا. فلما بدأ القوم ينادي بعضهم بعضًا للنزال، خرج هذا الرومي، ينادي بالمسلمين: ليخرج إليّ فارسكم ذاك وهو يومئ بسيفه إلى معاذ، ويتقدم معاذ بن جبل من قائده أبي عبيدة ليستأذنه بالخروج لمنازلة ذلك الرومي، فيقول له أبو عبيدة: يا معاذ، سألتك بحق رسول الله أن تلزم رايتك، فوالله إن لزومك الراية أحب إلي من قتلك لهذا العليج. وينزل معاذ عند رأي قائده، وينادي في الناس: يا معشر المسلمين، من أراد فرسا يقاتل عليه في سبيل الله فهذا فرسي، وهذا سلاحي فليأخذهما، وما كاد معاذ ينهي كلامه حتى كان عبد الرحمن يقف أمامه ويقول: يا أبتاه، إني خارج إلى هذا العليج، فإن صبرت فإن المنه لله، وإن قتلتني، فالسلام عليك يا أبتاه، وإن كان لك إلى رسول الله حاجة فأوصني بها. هنالك أطرق معاذ، وبدأت تحتدم في نفسه معركة بين عاطفة الأبوة التي تغريه بمنع ولده من المخاطر، وعاطفة الإيمان التي تغريه بأن يخلي بين ولده وبين ما يريد من ابتغاء مرضاة الله.

ثم لم يلبث أن يحسم الأمر، فيربت على كتف ولده وهو يقول: يا بني، دونك وما عزمت عليه، فإن رزقك الله الشهادة، ولحقت برسول الله فأقرئه مني السلام، وقل له: جزاك الله عن أمتك خيرًا يا رسول الله.

وينطلق عبد الرحمن بن معاذ بن جبل -رضي الله عنهما- نحو عليج الروم، فيناوشه ويصاوله، ثم يضربه ضربة سيف كادت تجندله، لولا أن الرومي قفز بعيدًا فاختل توازن عبد الرحمن، فعالجه الرومي بضربة من سيفه قطعت عمامته، وشجرت رأسه، وظن الرومي أنه قتل عبد الرحمن، فراجع عنه فانكفأ عبد الرحمن إلى المسلمين، فاستقبله أبوه معاذ بن جبل يقول له: ما بك يا بني؟ فيقول عبد الرحمن: قتلني العليج يا أبتاه، فيقول معاذ: وما الذي تريد من الدنيا يا بني، وليس بينك وبين الجنة إلا خطوات؟ عد إلى العليج فقاتله. ويتحامل عبد الرحمن على جرحه العميق وينطلق من جديد ليقاتل الرومي، لكن مشيئة الله تسبق به إلى الجنة قبل أن

يصل إلى الرومي^(١).

**هل تعمل على تسخير إمكاناتك
لنصرة دين الله حتى ولو كانت التضحية بابنك؟**

الالتزام بالعبادة

ذهب الإمام الشهيد البنا إلى مؤتمر بالمنزلة - دقهلية، وبعد الفراغ من المؤتمر، والذهاب إلى النوم، توجه الإمام وفي صحبته الأستاذ عمر التلمساني إلى حجرة بها سريران، ورقد كل على سريره، وبعد دقائق قال الأستاذ: أنمت يا عمر؟ قال: لا، وتكرر السؤال وتكرر الرد، وقال الأخ عمر في نفسه إذا سأل فلن أرد، وظن الأستاذ أن الأخ قد نام، فتسلل على أطراف أصابعه، وخرج من الحجرة، وأخذ نعليه في يديه، وذهب إلى دورة المياه حافيا، حيث جدد وضوءه، ثم اتجه إلى آخر الصالة، وفرش سجادة، وأخذ يتهجّد^(٢).

هل تحافظ على قيام الليل مهما كانت الأعداء؟

قطع شجرة الرضوان

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن قوما يأتون شجرة الرضوان فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت.

فهذا موقف لأمر المؤمنين عمر في حماية التوحيد والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك التابعون بعمل لم يعملهم الصحابة، فهو أمر مبتدع، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادة، فأمر بها فقطعت.

إلغاء الرحلة

أعلن الإمام الشهيد عن رحلة إلى الإسماعيلية فجاء الإخوان المشتركون في الموعد المحدد، وجاء الأتوبيس، وكان عدد الإخوان أكثر من عدد المقاعد، فلما أذن الأستاذ بصعود الأتوبيس، إذ بمجموعة من الشباب تسارع وتزاحم ليحجز كل واحد مقعدا يجلس عليه، فلما رأى الأستاذ هذا المشهد ألغى الرحلة، وكان درسا عمليا في مراعاة النظام، والتدريب

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام، ص ٣١-٣٣، بتصرف.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١١.

على الإيثار واحترام الكبار.

معاسبة النفس

عاش محمد بن واسع حياته كلها في وجل من ذنوبه وإشفاق من العرض على ربه، فكان إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

أجاب قائلا: أصبحت قريبا أجلي، بعيدا أمني، سيئا عملي^(١)، فإذا رأى شيئا من الدهشة يبدو على ملامح سائليه قال: ما ظنكم برجل يقطع إلى الآخرة كل يوم مرحلة^(٢).

هل تحاسب نفسك وتستعد للآخرة؟

الانضباط المالي

يروى أحد الشعراء «دكين بن سعيد الدارمي» قال: امتدحت عمر بن عبد العزيز يوم كان واليا على المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة من كرائم الإبل، كرهت أن أمضي بهن وحدي، ولم تطب نفسي ببيعهن، وفيما أنا كذلك، قدمت علينا رفقة تبتغي السفر نحو ديارنا في نجد، فسألتهم الصحبة، فقالوا: مرحبا بك، ونحن نخرج الليلة، فأعد نفسك للخروج معنا، فمضيت إلى عمر بن عبد العزيز مودعا، فلما هممت بالانصراف قال: يا دكين إن لي نفسا تواقا، فإن عرفت أنني بلغت أكثر مما أنا فيه الآن، فأتني ولك مني البر والإحسان، فقلت: اشهد لي بذلك أيها الأمير، فقال: أشهد الله تعالى على ذلك، فقلت: ومن خلقه، فقال: هذين الشيخين اللذين في مجلسي، فأقبلت على أحدهما وقلت: بأبي أنت وأمي، قل لي ما اسمك حتى أعرفك؟ فقال: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فالتفت إلى الأمير وقلت: لقد ظفرت بشاهد مسموع الكلمة، ثم نظرت إلى الشيخ الآخر، وقلت: ومن أنت جعلت فداك؟ فقال: أبو يحيى مولى الأمير، فقلت: وهذا شاهد من أهله، ثم حييت وانصرفت بالنوق إلى ديار قومي، ثم دارت الأيام وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، ودخلت عليه فنظر إلى مولاه أبي يحيى نظرة طويلة، ثم التفت إليه وقال: يا أمير المؤمنين إن عندي لهذا البدوي شهادة عليك، فقال عمر: أعرفها، ثم التفت إلي وقال: ادن مني يا دكين، فلما صرت بين يديه مال

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ١٥٧/٥٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص ٣٨٢.

علي وقال: أتذكر ما قلته لك في المدينة من أن نفسي ما نالت شيئاً قط إلا تافت إلى ما هو أعلى منه، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: وها أنا ذا قد نلت ما في الدنيا وهو الملك، فنفسي تتوق إلى غاية ما في الآخرة وهو الجنة، وتسعى إلى الفوز برضوان الله تعالى، ولئن كان الملوك يجعلون الملك سبيلاً لبلوغ عز الدنيا، فلا جعلته سبيلاً إلى بلوغ عز الآخرة، ثم قال: يا دكين، إني - والله - ما أخذت شيئاً من مال المسلمين منذ وليت هذا الأمر، وإنني لا أملك إلا ألف درهم فخذ نصفها واترك نصفها لي.

فأخذت المال الذي أعطانيه، فوالله ما رأيت أعظم منه بركة^(١).

(١) صور من حياة التابعين، ص ٣٢٦ - ٣٣٠، بتصرف.

القوة

نصح الله قوم هود فأرشدهم إلى أسباب القوة الصحيحة، وكانوا عمالقة جبارين، فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وأراد نبي الله أن يزين الطاعات للناس، وأن يغيرهم بأدائها، وأن يشرح لهم عظمة الإنسان عندما يفعل الخير ويراعم الشيطان ويسمو إلى الملأ الأعلى.

القوة في الحق

من عناصر القوة أن يكون المسلم صريحاً، يواجه الناس بقلب مفتوح ومبادئ معروفة، ولا يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته وكرامة أنصاره، بل يجعل قوته من قوة العقيدة التي يمثلها ويعيش لها، ولا يحيد عن هذه الصراحة أبداً في تقرير حقيقة ما.

وقد كره الإسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء، وأن يناديهم بالفاظ التكريم، ومن فضائل القوة أن تكون قوى العزم للوصول إلى هدفك بالوسائل الصحيحة.

والتردد في الأمور من صفات الضعيف، وليس من خلق المسلم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولو شاء الله هزمهم بالكلام وبحفنة من التراب كما فعل الرسول ﷺ، لكنه أراد أن يتلي بعض الناس ببعض طبيعة الإيمان إذا تغلغل، إنه يضيف على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله، إذا تكلم كان واثقاً من قوله، وإذا اشتغل كان راسخاً في عمله، وإذا اتجه كان واضحاً في هدفه، وما دام مطمئناً إلى الفكرة التي تملأ عقله، وإلى العاطفة التي تغمر قلبه، فقلما يعرف التردد سبيلاً إلى نفسه، وقلما تزعزحه العواصف العاتية عن موقفه، بل لا عليه أن يقول لمن حوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * [الزمر: ٣٩، ٤٠].

استحضارية الجهاد

أقبل ثابت بن قيس على الجهاد، لطلب الشهادة ودخول الجنة، ومضى به الأجل إلى حروب الردة ضد مسيلمة الكذاب ومدعى النبوة، وفيها تحنط ثابت وتكفن ووقف على رءوس الأشهاد وقال: يا معشر المسلمين، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله، بثس ما عودتم أعداءكم من الجرأة عليكم، وبثس ما عودتم أنفسكم من الانخزال لهم، ثم رفع طرفه إلى السماء، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء من الشرك - يعني مسيلمة وقومه - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - ثم هبَّ هبة الأسد الضاري كتفا لكتف مع البراء بن مالك وزيد بن الخطاب، وما زال يجالّد حتى خر صريعاً^(١).

قوة بدنية فائقة

وهذا أبو أيوب الأنصاري يبلغ ثمانين سنة، ولم يمنعه ذلك من الخروج مع جيش المسلمين لفتح القسطنطينية تحت قيادة يزيد بن معاوية، لكن لم يمض غير وقت قليل على منازلة العدو حتى مرض أبو أيوب مرضاً أقعده عن مواصلة القتال، فجاء يزيد ليعوده ويسأله: ألك حاجة يا أبا أيوب؟

فقال: اقرأ عني السلام على جنود المسلمين، وقل لهم: يوصيكم أبو أيوب أن توغلوا في أرض العدو إلى أبعد غاية، وأن تحملوه معكم، وأن تدفنوه تحت أقدامكم عند أسوار القسطنطينية. ولفظ أنفاسه المطهرة.

استجاب جند المسلمين لرغبة أبي أيوب، وكروا على جند العدو الكرّة بعد الكرّة، حتى بلغوا أسوار القسطنطينية وهم يحملون أبا أيوب معهم، وهناك حفروا له قبراً وواروه فيه، رضي الله عنهم جميعاً^(٢).

قوة في الرمي

أقبل وهب بن قابوس ومعه ابن أخته الحارث بن عقبة بغنم لهم من مزينة فوجدا المدينة خالية، فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد، خرج رسول الله يقاتل المشركين فقالا: لا نسأل أثراً

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ١/ ٣٩٥.

(٢) الناطقون بالحق، ص ٢٤٣.

بعد عين، فأسلمها ثم خرجا، فأتيا النبي بأحد، فإذا الدولة للمسلمين، فأغاروا مع المسلمين في النهب، وقاتلا أشد القتال، وكانت قد انفردت فرقة من المشركين، فقال النبي: «من لهذه الفرقة؟»، قال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجع فانفردت أخرى، فقال النبي: «من لهذه؟» فقال المزني: أنا، فقام فذبحها بالسيف حتى ولوا ورجع المزني، ثم طلعت كتبية أخرى فقال: «من يقوم لهؤلاء؟»، فقال المزني: أنا، فقال: «قم وأبشر بالجنة».

فقام المزني مسرورا يقول: والله لا أقبل ولا أستقبل، فجعل يقوم فيها فيضرب بالسيف حتى يخرج من أقصاهم، حتى قتلوه ومثلوا به، ثم قام ابن أخته الحارث، فقاتل كنحو قتاله حتى قتل، فوقف عليها رسول الله وهما مقتولان فقال: «رضي الله عنك فإني عنك راض» - يعني: وهبا - ثم قام على قدميه وقد ناله ما ناله من الجرح، وإن القيام ليشق عليه، فلم يزل قائما حتى وضع المزني في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حال نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله على حال المزني^(١).

قوة الرد الحق لأهله

نهب أحد الأمراء المماليك وجنوده دارا لأحد المصريين، فذهب الناس يشكون أمرهم إلى الشيخ الدرديري فنأدى فيهم: أنا معكم وغدا نجتمع الشعب من كل مكان في الحارات والضواحي وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم، ونهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم.

وبالفعل أمر بدق الطبول إيذانا بالاستعداد للقتال، وأسرع الناس نحو الأزهر ملبين للجهاد، ولما علم الأمير إبراهيم بك أرسل نائبه يعتذر للشيخ الدرديري ويطلب منه قائمة بما نهبه الأمراء لردها فوافق الشيخ^(٢).

الكلوب الخطير

دعى الإمام الشهيد إلى حفل في مدينة الزقازيق، وكانت الإضاءة بواسطة الكلوبات، فهوى أحدها إلى الأرض محشرا مدخنا، يكاد ينفجر، ولو انفجر لدمر السرادق، ولكان

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٦٠٧/١، ٦٠٨.

(٢) مائة موقف من حياة العظماء، ص ١٣١.

الحريق مروعا، وهروا الناس مبتعدين عن هذا الكلوب الخطر، وفي كل بساطة، وثقة، وشجاعة، وهدوء، ترك الإمام المنصة، وأخرج مدية الجواله من جيبه، وتقدم إلى الكلوب في غير هرولة، وفصله عن السقف وحمله خارج السرادق، وعاد الهدوء والأمن واستكمل الحفل على خير وجه.

الجلوس المتعب

أثناء محاكمة المرشد الهضبي، وقف ليواجه الاتهامات، فأشار إليه رئيس المحكمة قائد الجناح جمال سالم أن يجلس فأبى الرجل إلا أن يظل واقفا قرابة ٦ ساعات قاصدا بذلك رفع الروح المعنوية للإخوان، كرر رئيس المحكمة عرضه، فأصر المرشد على أنه يستريح واقفا رغم تخطيه سن الستين.

فلم يجد رئيس المحكمة بدا من إعلان فترة استراحة ربما ليستريح هو وهيئة المحكمة، ولما استؤنفت الجلسة وجه جمال سالم إلى المرشد كلامه قائلا: لعلك استرحت!

فكان الرد البديهي أن يقول المرشد: الحمد لله كتر خيرك، لكن الرجل القائد فاجأ الجميع بما لم يكن في الحسبان، قال وكاهله ينوء بـ ٦٠ عاما ختمت بأيام عصية تربو على مصاعب الستين: هيه.. الظاهر لما الواحد يقعد بيحل عليه التعب^(١).

نماذج للأقوياء

قتل علي بن أبي طالب وهو شاب في يوم بدر شيبة بن ربيعة، واشترك في قتل الوليد بن عتبة، وقتل بعدهما في بدر: العاص بن سعيد، وعامر بن عبد الله، وطعيمة ابن عدي، وزمعة بن الأسود، ونوفل بن خويلد، وعقيل بن الأسود، والنضر بن الحارث، وعمير بن عثمان، ومسعود بن أمية، وأبا القيس بن الفاكه، وحاجب بن السائب، وعبد الله بن المنذر، والعاص بن منبه، وأوس بن معير، خمسة عشر رجلاً قتلهم علي في يوم بدر.

وفي يوم أحد يقتل علي: أبا أمية بن أبي حذيفة وعبد الله بن حميد بن زهير.

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة، ص ٦٢.

وفي يوم الأحزاب يقتل عمرو بن عبد ود، فارس قريش في يوم الأحزاب «كباش الكتبية»^(١).

أسامة بن زيد

في سن مبكرة، لم تجاوز العشرين، أمّر الرسول ﷺ أسامة بن زيد على جيش، بين أفرادهِ وجنوده أبو بكر وعمر، وسرت هممة بين نفر من المسلمين لتعاظمهم الأمر، واستكثروا على الفتى الشاب إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار وكبار المهاجرين، فقال رسول الله: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعتم في إمارة أبيه من قبله، وإيم الله لقد كان خليقا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»^(٢).

بعث رسول الله أسامة على جيش المسلمين إلى حيث قتل أبوه والصحابة، وأمره أن يغير على «أبني» بالسراة ناحية البلقاء، وقيل إلى «أبل الزيت» بالجهة نفسها وعقد له لواء في آخر يوم من صفر سنة ١١هـ، ولكن مرض الرسول مرضه الذي قبضه الله إليه فيه، فتأخر خروج الجيش حتى هلال ربيع الآخر سنة ١١هـ، وسار أسامة بجيشه «ثلاثة آلاف» يسرع السير على طريق ذي المروعة ووادي القرى في اتجاه «أبني» و«أبل الزيت» من نواحي مؤتة، حتى إذا توسط مواطن قضاة توقف يسيرا، وبعث فرسانه لينهضوا الثابتين منهم على إسلامهم، ويعينهم على من ارتاب، وهرب المرتدون إلى مكان بعيد.. إلى دومة الجندل من أهداف جيش أسامة، ولا على طريقه، فما إن عادت إلى خيوله، حتى مضى بجيشه إلى «الحمقتين» فأغار عليها، وكان بها بنو الضبيب من جذام، وبنو خليل من لخم فهزم من هناك حتى «أبل» في إغارة شديدة سريعة، وسبى وحرقت بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم، حتى صارت أعاصير من الدخان، وأجال الخيل في نواحيهم، وقضى يوسه في تعبئة ما أصابوا من غنائم، ثم لم يقم وإنما كر راجعا من مساء يومه، حتى قدم وادي القرى في تسع ليال، ثم قدم المدينة سالما غانما، وقد غاب عنها خمسة وثلاثين يوما، وقيل: غاب شهرين وأياما، وعاد الجيش بلا ضحايا، وقال عنه المسلمون يومئذ: «ما رأينا جيشا أسلم من جيش أسامة»^(٣).

(١) من يظلمهم الله، ١/ ٢٦٨.

(٢) البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة زيد بن حارثة رضي الله عنه، ح (٤٠٠٤)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) من يظلمهم الله، ١/ ٢٧٣، ٢٧٤.

مواقف بطولية

قال محمد بن سيرين: إن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه رجال من المشركين، فجلس البراء رضي الله عنه على ترس فقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم، فرفعوه برماحهم فألقوه من وراء الجدار، فأدركوه قد قتل عشرة منهم^(١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: رأيت عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر! أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تنذب وهو يقاتل أشد القتال^(٢).

وفي غزوة الطائف أرسل الرسول ﷺ حنظلة بن الربيع رضي الله عنه إلى أهل الطائف يعرض عليهم الإسلام، فلما ذهب حنظلة إليهم ظل يدعوهم من خارج حصنهم فلم يستجيبوا له، واعتدوا عليه، واختطفوه، وحاولوا أن يدخلوه الحصن، فلما علم الرسول بالأمر طلب من الصحابة أن يذهب أحدهم ليخلص حنظلة من أيدي الأعداء، قال: «من هؤلاء، وله مثل غزائنا هذه؟»، فلم يبق إلا العباس بن عبد المطلب فذهب إليهم، ولحق بحنظلة وهو في أيديهم، وقد كادوا يدخلون به الحصن، فاحتضنه واختطفه من أيديهم، ولم يخش ما يقذف به من الحجارة، ورجع العباس ومعه حنظلة فوجد النبي ﷺ ما يزال يدعو لهما بالنجاة^(٣).

في وقعة الجسر

أرسل رستم جيشاً كثيفاً وأمر عليه ذا الحجاب بهمن جاذويه، وأعطاه راية كسرى لملاقاة المسلمين في موقعة الجسر، ووصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه الجسر، فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال المسلمون لأمرهم أبي عبيد: مرهم فليعبروا هم إلينا، فقال: ما هم بأجراً على الموت منا، ثم اقتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله، والمسلمون في نحو عشرة آلاف، وقد جاء الفرس معهم بأفيلة كثيرة

(١) السنن الكبرى، البيهقي، ٩/ ٤٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣/ ٢٥٤.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ٢٦/ ٣٤٠.

عليها الجلاجل لتذعر خيول المسلمين، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة، ولا يثبت منها إلا القليل على قسر، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة، ورشقهم الفرس بالنبل فنالوا منهم خلقا كثيرا، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف، وقد جفلت خيول المسلمين من أصوات الأجراس المعلقة بالفيلة، وصار المسلمون لا يستطيعون الوصول إليهم والفيلة تجوس فلاهم، فترجل أبو عبيد وترجل الناس معه، وتصافحوا معهم بالسيوف، وفقد المسلمون خيلهم فأصبحوا رجالا يقاومون سلاح الفيلة والفرسان والمشاة من الفرس إلى جانب الرماة الذين أضروا بالمسلمين وهم يدفعون بخيولهم نحوهم فلا تندفع، فكان موقفا صعبا أظهر المسلمون فيه من البسالة والتضحية ما يندر أن يوجد له مثيل في التاريخ، وصمدوا للفرس رغم تفوقهم عليهم في كل وسائل القتال، وكانت الفيلة أشد سلاح واجهه المسلمون، وبدأ هو بالفيل الأبيض فتعلق بحزامه وقطعه ووقع الذين عليه، وفعل المسلمون مثل ذلك فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه، ولكن الفيلة استمرت في الهجوم لأنها كانت مدربة، وهجم أبو عبيد على الفيل الأبيض، ولكن الفيل أطاح به وقتله^(١).

من الشجاعة ابتكار أساليب لمواجهة بطش الباطل.

فتح مصر

أرسل عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده فأمدّه أمير المؤمنين بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل يقوم مقام الألف، وهم الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال عمر في كتابه له: اعلم أن معك اثني عشر ألفا، ولن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة.

وقد خرج الروم مع الأقباط لمواجهة المسلمين، وجرت بينهم معركة حامية استعمل فيها عمرو بن العاص دهاء الحربي كما صنع خالد بن الوليد في العراق، وذلك أنه جعل جيشه ثلاثة أقسام، حيث أقام كميناً للأعداء في الجبل وأقام كميناً آخر على النيل قريبا من أم دنين، وقابل أعداءه ببقية الجيش، ولما نشب القتال بين الفريقين خرج الكمين الذي في الجبل الأحمر

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٣٦٦/٢.

وانقض على الروم فاختل نظامهم وانهزموا، وقابلهم الكمين الآخر ففرق جيشهم، وهكذا كسب المسلمون المعركة.

هناك رجال في الإسلام يعد الرجل منهم بألف رجل.. هل أنت منهم؟

عبد الله بن الزبير

في السادسة والعشرين من عمره، يقتل ابن الزبير ملك إفريقية «جرجير»، فقد شهد ابن الزبير فتح إفريقية أيام عثمان بن عفان تحت لواء عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان الفتح على يديه.

سير عثمان بن عفان ابن الزبير في جماعة إلى إفريقية، سنة ست وعشرين هجرية، ليأتيه بأخبار الفتح، فسار مجدا حتى وصل إلى المسلمين هناك وأقام معهم، ولما وصل كثر الصباح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير ملك إفريقية عن الخبر، ف قيل: قد أتاهم عسكر، ففت ذلك في عضده، ورأى عبد الله قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر، فلما أذن سمع منادي جرجير، يقول: من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار، وأزوجه ابنتي.

فخاف عبد الله على نفسه، فحضر ابن الزبير عند عبد الله بن سعد وقال له: تأمر مناديا ينادي: من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته، واستعملته على بلاده، ففعل فصار «جرجير» يخاف أشد من عبد الله بن سعد، ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد: إن أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متصلة، وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غدا جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن ينضجروا ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون، ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال، وهم مستريحون، ونقصدهم على غرة، فلعل الله ينصرنا عليهم، فأحضر ابن سعد جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوا على ذلك.

وفي صباح الغد نفذ ابن سعد خطة ابن الزبير هذه، فأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم، وخيولهم عندهم مسرجة، ومضى الباقيون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالا شديدا، وهم الروم بالانصراف على العادة، لم يتركهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد

عنهم هو والمسلمون، فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً.. عند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين، وقصد الروم، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم، وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون، ونظر عبد الله فرأى «جرجير» وقد خرج من عسكره فأخذ جماعة من المسلمين وقصده فقتله^(١).

أضرار عدم ممارسة الرياضة

يقول مؤلف كتاب «المؤمن القوي»: من أضرار عدم ممارسة الرياضة:

- ١- تؤدي قلة الحركة إلى زيادة الوزن الذي يصبح عبئاً ثقيلاً على أجهزة الجسم المختلفة والمفاصل والأربطة.
- ٢- ضمور العضلات ونقص حجمها مما يجعلها غير قادرة على العمل بكفاءة.
- ٣- ظهور آلام الظهر والخشونة في المفاصل والعمود الفقري.
- ٤- يصبح القلب أصغر حجماً وأقل كفاءة، فضلاً عن احتمال ظهور أمراض القلب مثل ارتفاع أو انخفاض ضغط الدم.
- ٥- حدوث أمراض كثيرة مثل القرحة وعسر الهضم والقلق المزمن والتوتر.
- ٦- ينقص مخزون الطاقة الكيميائية لذلك يصبح الجسم أقل مقدرة على مواجهة المتطلبات البدنية.
- ٧- يقل عدد ساعات إنتاج الفرد إثر أي مجهود يقوم به.
- ٨- يزداد عدد ضربات القلب وكذلك سرعة التنفس عند بذل أي مجهود بدني.
- ٩- يصاب الفرد بالإجهاد والتعب لأي مجهود يبذله.
- ١٠- يصبح الفرد أكثر اكتئاباً وانطواء لعدم ممارسته الرياضة.
- ١١- تقل قدرة الجسم على امتصاص الأكسجين عنه في الفرد الرياضي مما يعني

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢/ ٤٨٣.

انخفاض مستوى الكفاءة البدنية.

١٢ - تنخفض المرونة والقوة العضلية وبالتالي يقل تحمل الفرد ومقاومته عن الفرد الرياضي.

١٣ - زيادة نسبة الدهون في الجسم مما يجعلها عبئاً على الجسم والأجهزة الحيوية.

١٤ - زيادة نسبة الكوليسترول في الدم، مما يصيب الفرد بتصلب الشرايين ويجعل الجسم معرضاً للمخاطر.

١٥ - تدلي البطن (الكرش) الذي يؤدي إلى مشكلات عديدة معقدة (مشكلة الهضم - آلام أسفل الظهر - تقوس المنطقة السفلية من الظهر - الضغط على الحجاب الحاجز).

١٦ - مشاكل في الجهاز التنفسي مثل احتقان الرئة - انسداد الشعب الهوائية - صعوبة في التنفس.

١٧ - اختلال وظيفة كل من المثانة والأمعاء والكبد وأجهزة الجسم الحيوية.

١٨ - زيادة نسبة السكر في الدم مما يؤدي إلى إصابة الشخص بأمراض كثيرة.

١٩ - عموماً يصاب الجسم بالضعف العام وعدم الشعور بالحياة والشباب.

نصائح لقوة الجسم:

١ - عمل كشف دوري عام كل سنة، يشمل تحاليل، وأشعات للاطمئنان المبكر على الحالة الصحية للجسد.

٢ - المسارعة بالعرض على الطبيب عند المرض، والالتزام بالعلاج.

٣ - عدم الاعتماد على الصيدلي في وصف العلاج، وعدم الاعتماد على نصائح المجربين في تناول الأدوية وندعوك لرفض المثل القائل: أسأل مجرب، ولا تسأل طبيباً.

٤ - عدم الإسراف في استخدام الدواء إلا بتوجيه الطبيب.

٥ - استعمال السواك وفرشاة الأسنان ثلاث مرات يومياً على الأقل.

- ٦- الالتزام بآداب الإسلام في الطعام والنوم.
- ٧- التعود على صيام يومين في كل أسبوع، أو ثلاثة كل شهر، والإفطار على طعام خفيف غير ثقیل.
- ٨- القيام قبل صلاة الفجر، ففي ذلك فوائد صحية كثيرة، وخاصة للجهاز التنفسي، لوجود نسبة عالية من الأوزون في الجو.
- ٩- لا تهمل وجبة الإفطار، وقلل في وجبة العشاء.
- ١٠- عدم الإسراف في شرب الشاي والقهوة.

قادر على الكسب

إن كل إنسان في مجتمع الإسلام مطالب أن يعمل، وأن يكون قادرًا على الكسب ومأمور أن يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله.

قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

يقول الدكتور القرضاوي: إن الإسلام يفتح أبواب العمل أمام المسلم على مصراعها، ليختار منها ما تؤهله له كفايته وخبرته وميوله، ولا يفرض عليه عملاً معيناً إلا إذا تعين ذلك لمصلحة المجتمع.

كما لا يسد في وجهه أبواب العمل إلا إذا كان من ورائه ضرر لشخصه أو للمجتمع - مادياً كان الضرر أو معنوياً - وكل الأعمال المحرمة في الإسلام من هذا النوع.

الحث على العمل

قال الرسول ﷺ يحث على التجارة: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»^(١).

وقال ﷺ في الحث على الزراعة: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»^(٢).

وحث على الصناعات والحرف فقال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده...»^(٣).

(١) الترمذي، كتاب: البيوع، باب: التجارة وتسمية النبي ﷺ إياهم، ح (١٢٠٩)، عن أبي سعيد، قال الترمذي: حسن، وقال الألباني: ضعيف.

(٢) البخاري، كتاب: المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ح (٢١٩٥)، عن أنس بن مالك.

(٣) البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله يده، ح (١٩٦٦)، عن المقدم.

وقرن الله بين العمل والجهاد، فقال تعالى: ﴿وَأَخْرُؤْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُؤْنَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

سئل إبراهيم النخعي أحد أئمة التابعين عن التاجر الصدوق: أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة؟

فقال: التاجر الصدوق أحب إليّ، لأنه في جهاد، يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان، ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده^(١).

وكان الشيخ الشعراي -وهو من دعاة التصوف- يفضل الصنّاع على العباد؛ لأن نفع العبادة مقصور على صاحبها، أما الحرف فنفعها لعامة الناس.. وكان يقول: ما أجل أن يجعل الحياط إبرته سبحته، وأن يجعل النجار منشره سبحته!

يقول الراشد: شفعت مرة لداعية أن يقبله الأستاذ (فؤاد سزكين) طالباً بمعهد في فرانكفورت، ومعهد تاريخ العلوم الإسلامية، فاشترط الأستاذ سزكين أن يعمل الطالب ١٦ ساعة يومياً، ثم أراني الأستاذ سزكين من بُعد عدداً من الطلاب اليابانيين في معهده، وقد انكبوا على المخطوطات العربية يدرسونها ويبحثونها إلى الحياة وقد رضوا بهذا الشرط، فتأمل^(٢).

وهذا أديسون يعمل ١٨ ساعة يومياً فاخترع المصباح الكهربائي بعد (٩٠٠٠) تسعة آلاف تجربة.. ثم واصل هذا الكفاح عشر سنوات أخرى ينفق فيها ثلاثة ملايين دولار ليخترع بطارية السيارة بعد تجارب وصلت إلى (٥٠٠٠٠) خمسين ألف تجربة^(٣).

فهم خاطئ

قيل لأحمد بن حنبل: ما تقول فيمن جلس في بيته أو في المسجد، وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٦٢/٢.

(٢) صناعة الحياة، ص ١١١.

(٣) إيقاظ الغافلين، ص ٢٧٠.

قال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي: «جُعِلَ رزقي تحت ظل رحمي»^(١).

وقال عمر بن الخطاب: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة^(٢).

إن التوكل على الله لا ينافي العمل والأخذ بالأسباب، وشعار المسلم ما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي ترك الناقة سائبة -متوكلاً على الله- فقال له: «اعقلها وتوكل»^(٣).

وعن الزبير بن العوام أن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير من أن يسأل الناس، أعطوه أم منعوه»^(٤).

وكان داود زرادًا (يصنع الزرد والدروع)، وكان آدم حراثًا، وكان نوح نجارًا، وكان إدريس خياطًا، وكان موسى راعيًا.

والرجل غير القادر على الكسب لا تستطيع أن تستشير.

يقول الشافعي: لا تشاور من ليس في بيته دقيق فإنه موَّلُه العقل^(٥).

وروي أن شقيق البلخي أحد الصالحين ذهب في رحلة تجارية يضرب في الأرض، ويبتغي من فضل الله، وقبل سفره ودع صديقه الزاهد المعروف إبراهيم بن أدهم. حيث يتوقع أن يمكث في رحلته مدة طويلة، ولكن لم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد شقيق، ورآه إبراهيم في المسجد، فقال له متعجبًا: ما الذي عجل بعودتك؟

قال شقيق: رأيت في سفري عجا، فعدلت عن الرحلة.

قال إبراهيم: خيرًا وماذا رأيت؟

(١) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري، ١٢٣/٣.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٦٢/٢.

(٣) الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرفائق والورع، ح(٢٥١٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: غريب، وقال الألباني: حسن.

(٤) البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، ح(١٤٠٢).

(٥) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، القرطبي، ص ٨٧.

قال شقيق: أويت إلى مكان خرب لأستريح فيه فوجدت به طائرًا كسيحًا أعمى، وعجبت فقلت في نفسي: كيف يعيش هذا الطائر في هذا المكان النائي، وهو لا يبصر ولا يتحرك؟ ولم ألبث إلا قليلًا حتى أقبل طائر آخر يحمل له الطعام في اليوم مرات حتى يكتفي، فقلت: إن الذي رزق هذا الطير في هذا المكان قادر على أن يرزقني، وعدت من ساعتني.

فقال إبراهيم: عجبًا لك يا شقيق، ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى الكسيح الذي يعيش على معونة غيره، ولم ترض لها أن تكون الطائر الآخر الذي يسعى على نفسه، وعلى غيره من العميان والمقعدين؟ أما علمت أن اليد العليا خير من اليد السفلى؟! فقام شقيق إلى إبراهيم وقبل يده وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق! ^(١)

انتبه

لا يجوز التكاسل عن العمل بحجة أخذ الصدقات لقول الرسول ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي» ^(٢). ومعنى المرة: القوي، والسوي: السليم الأعضاء. ويقول القرضاوي: لم يجعل الرسول لمبتطل كسول حقًا في صدقات المسلمين، وذلك ليرفع القادرين إلى العمل والكسب الحلال.

اجتهاد الإمام أحمد

قال ابن الجهم: كان لنا جار، فأخرج لنا في يوم من الأيام كتابًا، فقال: أتعرفون هذا الخط؟

قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل، فكيف كتب ذلك؟

قال الجار: كنا بمحلة مقيمين عند سفيان بن عيينة، ففقدنا أحمد بن حنبل أيامًا، ثم جئنا لنسأل عنه، فإذا الباب مردود عليه، فقلنا: ما خبرك؟

قال: سرقت ثيابي. فقلت: معي دنائير، فإن شئت أخذت، وإن شئت أقرضتك، فرفض،

(١) مشكلة الفقر وكيف عاجلها الإسلام، ص ٤٠، ٣٩.

(٢) الترمذي، كتاب: الزكاة، باب: من لا تحل له الصدقة، ح (٦٥٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال الترمذي: حسن، وقال الألباني: صحيح.

فقلت: هل تكتب لي بأجرة؟

قال: نعم، فأخرجت دينارًا، فقال لي: اشتر لي ثوبًا، واقطعه نصفين (يعني إزارًا ورداء) وجئني بورقي، فكتب لي هذا^(١).

وقال ابن خزيمة: كنا مع أبي عبد الله في الكتاب، فكان النساء يبعثن إلى المعلم: ابعث إلينا بابت حنبل ليكتب جواب كتبهم، وكان نظير أجر زهيد، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع طرفه أبدًا، ولا ينظر إلى امرأة منهن أبدًا^(٢).

وروي أنه اقترض من بعض الصالحين نقودًا، وذهب إليه يردّها فقال له الرجل: يا أبا عبد الله! ما دفعتها إليك وأنا أنوي أن آخذها منك، فاحتفظ بهذا المال لك.

فقال أحمد بن حنبل: أنا ما آخذتها إلا وأنا أنوي أن أردّها عليك، فخذ مالك وشكرًا لله ثم لك^(٣).

قال الواسطي: قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة، فنقدت نفقاتهم فبررتهم فأخذوا، وجاءني أحمد بن حنبل بفروة، فقال: قل لمن يبيع هذه، ويجيئني بثمانها فأتسع به؟ قال: فأخذت صرة دراهم فمضيت بها إليه، فردّها، فقالت امرأتي: هذا رجل صالح، لعله لم يرضها، فضاءفها، فضاءفها، فلم يقبل، وأخذ الفروة مني وخرج^(٤).

معنى العبادة الشامل

قال أيوب السخيتاني: الزم سوقك، فإنك لا تزال كريبًا على إخوانك ما لم تحتج إليهم^(٥).

ويقول أبو سليمان الداراني: ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يفت لك، ولكن ابدأ برغيفك فأحرزه ثم تعبد، ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب يتوقع إنسانًا يجيئه

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٧٧/٩.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٣٣٧/٢.

(٣) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ١٧٥/٩.

(٤) السابق، ١٧٧/٩.

(٥) السابق، ١١/٣.

يعطيه شيئاً^(١)

وروى أن سلمان الفارسي اشترى وسقاً من طعام، فلقه زيد بن صوحان ومولاه سالم، فقال له زيد: يا أبا عبد الله، تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله؟ قال: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت للعبادة ويش منها الوسواس^(٢)

مكتب محاماة بالقاهرة

يقول الأستاذ عمر التلمساني: عرض على الإمام الشهيد أن أتخذ مكتباً في القاهرة، فلم أقبل مبرراً رفضي بأني قد أنجح في المكتب ويدر عليّ دخلاً وفيراً، فيقول البعض: إن الإخوان هم الذين أوجدوا لي كيأناً في عالم المهنة، وهذا ما تاباه عليّ أخلاقي ونشأتي وتربيتي.

استغل الإجازات

يقول حسن البنا: جاءت الإجازة الصيفية وكان لزاماً عليّ أن أقضيها بالمحمودية، فلا بد من إيجاد سبب للإقامة هناك طوال الإجازة، فعرضت على الوالد أن أذهب لأفتح دكاناً لنا هناك أعمل فيه بنفسى كساعاتي مستقل، لأتمرن تمريناً عملياً استقلالياً على الصنعة، وسافرت، وفتحت الدكان، واشتغلت فعلاً بإصلاح الساعات، وكنت أجد سعادتين في هذه الحياة، سعادة الاعتماد على النفس والكسب من عمل اليد، وسعادة الاجتماع بالأخ أحمد أفندي وقضاء الوقت معه، ومع الحصافية، وقضاء الليالي معهم نذكر الله، ونتذكر العلم في المسجد تارة، وفي المنازل تارة^(٣)

هل تحرص على استغلال أوقات الفراغ في أعمال مفيدة؟

هكذا كانوا

يروى بغية بن الوليد، يقول: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعامه، فأتيته، فجلس، ثم قال: كلوا باسم الله. فلما أكلنا، قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبتته.

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٩/ ٢٦٥.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٥٥٠.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية، ٥١ بتصرف.

قال: كنا صيامًا، فلم يكن عندنا ما نفطر عليه، فأصبحنا، فقلت: هل لك يا أبا إسحاق أن تأتي الرستن (بلدة بالشام كانت بين حماة وحمص) فنكري (فنؤجر) أنفسنا مع الحصادين؟ قال: نعم، قال: فاكتراني رجل بدرهم، فقلت: وصاحبي؟ قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفًا. فما زلت بالرجل حتى اكتراه بثلاثي درهم، فلما انتهينا، اشترت من أجرتي طعامي وحاجتي، وتصدقت بالباقي، ثم قربت الزاد، فبكى إبراهيم وقال: أما نحن فاستوفينا أجورنا، فليت شعري، أوفينا صاحبه حقه أم لا؟ فغضبت، فقال: أتضمن لي أنا وفيناه، فأخذت الطعام فتصدقت به^(١).

حج هارون الرشيد ذات مرة، فسأله أحد أصحابه أن يدلّه على رجل يسأله، فدلّه على الفضيل، فذهبا إليه، فقابلهما الفضيل، وقال للرشيد: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا أناسًا من الصالحين فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء (يعني الحكم) فأشيروا عليّ، فعد عمر الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فبكى الرشيد، فقال له صاحب الرشيد: ارفق بأمر المؤمنين.

فقال الفضيل: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا (يقصد أن عدم نصحه كقتله).

فقال له الرشيد: زدني يرحمك الله. فأخذ يعظه وينصحه، ثم قال له: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيّتك، فإن النبي ﷺ قال: «ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة»^(٢).

فبكى هارون وقال له: أعليك دين أقضيه عنك؟

فقال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي.

قال: إنها أعني من دين العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمر لي أن أصدق وعده وأطيع أمره.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٩١/٧.

(٢) البخاري، كتاب: الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح، ح (٦٧٣٢)، عن معقل بن يسار.

فقال الرشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادة ربك.
فقال الفضيل: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا، فخرج الرشيد وصاحبه^(١).

شيخ يعمل

مر رجل على أبي الدرداء وهو يزرع، فقال: أغرس هذه وأنت شيخ كبير؟ هذه لا تطعم إلا في كذا وكذا عامًا.

فقال أبو الدرداء: ما علي أن يكون لي أجرها ويأكل منها غيري.

ويقول البنا: حرام على الأمة التي تقرأ في كتابها من الثناء على داود عليه السلام ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١١٠]، وأن اعمل سابيغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير ﴿[الأنبياء: ٨٠]، ثم لا يكون فيها مصنع للسلاح؟ ثم تقرأ في كتابها ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣]، ثم لا يكون فيها مسبك عظيم، ولا مصنع كامل للأدوات المعدنية.

ثم تقرأ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] ثم تهمل ما عندها من هذا المعدن هذا الإهمال، وهو من أجود الأنواع، ويكفي العالم مائتي عام كما قدر الخبراء.. حرام هذا كله!!^(٢)

الزهد والتجارة

قال محمد بن الحسين لابنه: يا بني إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقاً وإن ضجرت لم تصبر على حق^(٣).

(١) أعلام المسلمين، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) الرسائل، ص ٣٤٨.

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٣٩٥.

وأتى رجل عبد الله بن المبارك، وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلاً لعبد الله: أنت تأمرنا بالزهد، ونراك تأتي بالبضائع من «خراسان» إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال له عبد الله بن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعل ذلك لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به. وكان عبد الله بن المبارك لا يخل على أحد بهاله، بل كان كريماً سخياً ينفق على الفقراء والمساكين في كل سنة مائة ألف درهم^(١).

وعاش أحمد بن حنبل عيشة فقيرة، فلم يترك له والده غير منزل ضيق، مما دفعه إلى العمل وهو طفل صغير، فكان يلتقط بقايا الزروع من الحقول بعد استئذان أهلها، وينسج الثياب ويبيعها، ويضطر في بعض الأوقات أن يؤجر نفسه ليحمل أمتعة الناس في الطريق، وكان ذلك عنده أفضل من أن يمد يده إلى غيره^(٢).

كن أميناً في كسبك

قال بعض السلف الصالح: دخلت على مريض وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها!

فلما أفاق قلت له: يا أخي، مالي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟!

قال: يا أخي، لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها.

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصاً؟!

قال: لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني.

فهذا حال من لا يختبر صحة ميزانه، فكيف حال من يزن ناقصاً^(٣).

وقال علي بن أبي طالب: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرّاً، فظننتها تريد بله (المدر: الطين اليابس، تريد بله:

(١) أعلام المسلمين، ص ١٦٤.

(٢) السابق، ص ٩٩.

(٣) الكبائر، الذهبي، ص ٢١٩، ٢٢٠.

يعني الماء) فأتيها فقاطعتها (اتفقت معها على أجره) كل ذنوب (دلو) على ثمرة، فمددت ستة عشر ذنوبًا، حتى مجلت يداي (أي تورمت من العمل) ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها (يعني بسطهما وضمهما) فعدت لي ست عشرة ثمرة، فأتي النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها، في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها علي بن أبي طالب في المدينة، ونأخذ منه صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد، حيث خرج علي للعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظرًا ما تجود به أيدي المحسنين. وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع مما يضعف قوته. وصورة أخرى من إثارة الأجرة والوفاء لهم، فهو مع ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق فقد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه^(١).

دعابة

كان الأستاذ البنا يحسن إصلاح الساعات، وتجليد الكتب، فكان يفخر بأنه عامل، وكثيرًا ما كان يداعب الإخوان ويهددهم، بأنه سيتركهم، ويفتح محلاً، ويقول مبتسماً: صنعة في اليد أمان من الفقر^(٢).

التوازن

عن أم سلمة قالت: خرج أبو بكر الصديق تاجرًا إلى بصرى (قرية بالشام) في عهد النبي ﷺ، ما منع أبا بكر حبه لملازمة النبي ﷺ، ولا منع النبي ﷺ حبه لقرب أبي بكر عن ذلك (أي عن الخروج) لمحبتهم في التجارة^(٣)، وللحرص على التوازن كان عمر يتناوب النزول على النبي ﷺ هو وجار له من الأنصار كما ثبت في البخاري ويقول القرضاوي: ورأينا كثيرًا من علماء الإسلام المشاهير أصحاب حرف، بل إنهم نسبوا إليها وعرفوا بها، ولم يعرفوا بأسمائهم ولا أسماء آبائهم، وذلك مثل البزار والزيجاج والحزاز والخواص والخصاص

(١) علي بن أبي طالب، الصلابي، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) مواقف إيمانية، أحمد عيد، ص ٣٠.

(٣) الطراز الرباني، ص ١٠٢.

والصبان والقطان.. إلخ^(١).

بين الدنيا والآخرة

قال الإمام ابن عساكر: حضرت مجلس يزيد بن هارون فأملى ثلاثين حديثاً فحفظتها، فجئت إلى منزلي أعلق، فعلقت منها ثلاثة، فجاءت الجارية وقالت: مولاي: فنى الدقيق، فنسيت سبعة وعشرين وبقيت ثلاثة^(٢).

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص ٤١.
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥/ ١٥٥.

سليم العقيدة

العقيدة الصحيحة هي أساس الإيمان العميق، وكثرة الشبهات تؤثر سلباً على عقيدة المسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] والإيمان يصنع المعجزات.. وإليك صور من سلامة العقيدة:

صبر على عقيدته

لما وجد الفتى المؤمن عبد الله المزني أن صبره قد طال، وأن عمه بعيد عن الإسلام، وأن المشاهد مع رسول الله تفوته واحداً بعد أخرى، حزم أمره غير غافل عن عواقب ما أقدم عليه وأقبل على عمه، وقال: يا عم، لقد انتظرت إسلامك طويلاً حتى نفذ صبري، فإن كنت ترغب في أن تسلم ويكتب الله لك السعادة، فنعم ما تصنع، وإن كانت الأخرى فائذن لي بأن أعلن إسلامي بين الناس.

ما كادت كلمات الفتى تلامس أذني عمه حتى استشاط غضباً وقال: أقسم باللات والعزى لئن أسلمت لأنزعن من يدك كل شيء كنت أعطيته لك، ولأسلمتك للفاقة، ولأتركك فريسة للعوز والجوع، فلم يحرك هذا التهديد في الغلام المؤمن ساكناً، ولم يفت من عزمه شيئاً، فاستعان عمه عليه بقومه، فهبوا يرهبونه ويرغبونه، وطفقوا يهددونه ويتوعدونه، فكان يقول لهم: افعلوا ما شئتم، فأنا والله متبع محمدًا، وتارك عبادة الأحجار، ومنصرف إلى عبادة الواحد القهار، وليكن منكم ومن عمي ما يكون، فما كان من عمه إلا أن جرده من كل ما أعطاه، وقطع عنه رفده، ولم يترك له غير بجاد يستر به جسده.

مضى الفتى المزني مهاجراً بدينه إلى الله ورسوله، خلفاً وراءه مغاني الطفولة ومراتع الصبا، معرضاً عما في يد عمه من الثراء والنعمة، راغباً فيما عند الله من الأجر والثوبة، وجعل يحث الخطى نحو المدينة تحذوه إليها أشواق باتت تفري فواده فرياً. فلما غدا قريباً من «يثرب»

شق بجاده شقين، فاتزر بأحدهما وارتدى الآخر.

ثم مضى إلى مسجد الرسول وبات فيه ليلته تلك، فلما انبلج الفجر وقف قريباً من باب حجرة النبي عليه الصلاة والسلام، وجعل يترقب - في لهف وشوق - طلعة الرسول الأعظم من حجرته، فما أن وقع بصره عليه حتى تهلت على خديه دموع الفرح، وشعر كأن قلبه يريد أن يقفز من بين جنبيه لتحيته والسلام عليه. ولما قضيت الصلاة قام النبي ﷺ على عادته يتصفح وجوه الناس فنظر إلى الفتى المزني، وقال: «من أنت يا فتى؟» فانتسب له، فقال له: «ما اسمك؟»، فقال: عبد العزى، فقال له: «بل عبد الله»، ثم دنا منه وقال: «انزل قريباً منا وكن في جملة أضيافنا»، فصار الناس منذ ذلك اليوم ينادونه عبد الله، ولقبه الصحابة الكرام «بذي البجادين» بعد أن رأوا بجاده، ووقفوا على قصته^(١).

الإيمان الحق

أخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ دخل المسجد والحارث بن مالك راقد، فحركه برجله وقال: «ارفع رأسك» فرفع رأسه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: «كيف أصبحت يا حارث بن مالك؟»، قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً حقاً، قال: «إن لكل حق حقيقة فما حقيقة ما تقول؟» قال: عزفت نفسي عن الدنيا، وأظلمات نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة وهم يتزاورون، وإلى أهل النار يتعاوون، فقال له النبي ﷺ: «أنت امرؤ نور الله قلبك، عرفت فالزم»^(٢).

هل نظرت إلى حقيقة إيمانك وحاسبت نفسك قبل أن تحاسب؟

رجل من أهل خيبر

جاء أن عبداً حبشياً لرجل من أهل خيبر كان يرعى غنماً لهم، عمد بغنمه إلى رسول الله ﷺ فكلمه رسول الله ما شاء الله أن يكلمه، فقال الرجل: ماذا تقول وماذا تدعو إليه؟ قال: «أدعوك إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وألا تعبد إلا الله». قال العبد: وماذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله تعالى؟ قال رسول الله: «لك الجنة على ذلك».

(١) صور من حياة الصحابة، ص ٣٧٩.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٧٤/٣٨.

فأسلم العبد، وقال: يا رسول الله، إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، متن الريح، لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: «نعم»، قال: يا رسول الله، إن هذه الغنم عندي أمانة فكيف بها؟ فقال رسول الله: «أخرجها من العسكر وارمها بالحصا، فإن الله عز وجل سيؤدي عنك أمانتك»، ففعل، وأعجب رسول الله كلمته، فخرجت الغنم تشد كأن سائقاً يسوقها، حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم، ثم تقدم العبد الأسود الصف، فأصابه سهم فقتله ولم يصل سجدة قط، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم فقال رسول الله: «أدخلوه الفسطاط»، فأدخلوه حتى إذا فرغ رسول الله دخل عليه ثم خرج فقال: «لقد حسن إسلام صاحبكم، وإن عنده لزوجتين من الحور العين، ولقد حسن الله وجهه، وطيب ريحه، وكثر ماله، ولقد رأيت زوجتيه من الحور العين ينزعان جبهته، وينفضان التراب عن وجهه ويقولان: ترب الله من تربك، وقتل من قتلك»^(١).

أي عقيدة هذه التي جعلت العبد الأسود، الذي هو قبيح الوجه، نتن الرائحة، لا مال له، جعلته ولياً لله لم يسجد لله سجدة، ورزق الشهادة.

إبليس الملعون

جاء إبليس إلى عيسى، فقال له: أأست تعلم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟

قال عيسى: بلى.

فقال إبليس: فارم بنفسك من هذا الجبل، فإنه إن قدر لك السلامة تسلم.

فقال عيسى: يا ملعون، إن الله عز وجل يختبر عباده، وليس لعبد أن يختبر الله عز وجل^(٢).

آية ربانية

تروي إحدى الأخوات المسلمات فتقول: قبض على زوجي وسبق إلى الاعتقال وترك وراءه أربعة من الأطفال. وذات مساء مرض ابني الصغير (بالحمى) ووقعت في ذهول ليس

(١) سبل المهدى والرشاد في هدي خير العباد، يوسف صالح الشامي، ١٢٩/٥.

(٢) الأذكياء، ابن الجوزي، ص ٦.

لي حيلة ولا صلة وثيقة بالجيران، فاستعنت بالله أدعوه وألح في الدعاء أن ينقذني ويرحم ضعفي وغرأتي.. ولم تمض ساعة أو يزيد.. حتى طُرق الباب ففتحت فإذا الذي أمامي طبيب.. جاء يسأل عن المريض!! وبعد أن أتم الكشف وقدم بعض الدواء الذي يكون معه عادة، نزل بعد أن أدرك حالة الأسرة وظروفها، وحين عاد الطبيب إلى منزله دق التليفون ليستعجلوا الطبيب، فتعجب الطبيب وقال: لقد عدت من عندكم لتوي الآن. وتبين للطبيب بعد ذلك أن السكن الذي كان يقصده في نفس المنزل يقع أمام التي طرق عليها الباب خطأ، فسبحان من له الكون كله يسيره حيث يشاء.. فاعتبروا يا أولي الأبواب؟^(١)

عاقبة الخوف من الله

دخل ثابت بن النعمان إحدى المزارع، وكان جائعًا متعبًا، فشدته نفسه لأن يأكل وبدأت المعدة تقرقر، فأطلق عينيه في الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، لكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع وقال لنفسه: ويحك كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان، وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة ويطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة، فبحث حتى وجد داره فطرق عليه الباب، فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عما يريد، قال ثابت: دخلت بستانك الذي بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها، ثم تذكرت أنها ليست لي وأريد منك أن تعذرني في أكلها، وأن تسامحني عن هذا الخطأ.

فقال الرجل: لا أسامحك، ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد.

قال ثابت: وهو ثابت بن النعمان: وما هو هذا الشرط؟

قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتي.

قال ثابت: أتزوجها.

قال الرجل: ولكن انتبه! إن ابنتي عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، صماء لا تسمع. وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وتربيتها

وخدمتها خير من أن يأكل الصديد في جهنم جزاء ما أكله من التفاحة. وما الأيام وما الدنيا إلا أيام معدودات، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر والثواب من رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم صاحبنا، كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع، فاضطرب حاله وتمنى أن لو تبتلعه الأرض قبل هذه الحادثة، ولكنه توكل على الله وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ودخل عليها يوم الزفاف، فإذا بهذه المرأة تقوم إليه وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحور العين في الجنة، وقال بعد صمت: ما هذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر، فأخبرها بما قال عنها أبوها.

قالت: صدق أبي ولم يكذب.

قال: اصدقيني الخبر.

قالت: أبي قال عني إنني خرساء لأنني لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لي، وإنني صماء لأنني صماء ما جلست في مجلس في غيبة ونميمة ولغو، وإنني عمياء لأنني لم أنظر إلى أي رجل لا يحل لي. فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقى، وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما^(١).

يؤثرون على أنفسهم

كان شيخ كريم، فقير في حاله، لكنه لا يرد سائلاً قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقي بردان يرتجف، فنزعها فدفعتها إليه، وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ الطعام من بين أولاده ليعطيه للسائل، وفي يوم من أيام رمضان وقد وضعت المائدة انتظاراً للأذان فجاءه سائل يقسم أنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته وفتح له، وأعطاه الطعام كله، فلما رأت ذلك امرأته صرخت وأقسمت من الغضب أنها لا تبقى عنده، بينما هو ساكت، ولم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب وجاء من يحمل أطباقاً فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا هو أحد الأغنياء كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا، فغضب وحلف

(١) قصص وعبر، ٢/ ١٩-٢١.

ألا يأكل أحد من الطعام، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ الفقير الكريم.
أخي الحبيب: أنفق ولا تحش الفاقة، قد قال جل وعلا: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩] ^(١).

توقف مع القرآن

يقول الدكتور زغلول النجار: هذا أستاذ مصري للقانون، يعمل بإحدى الجامعات
الأمريكية.. يقول: كنا في حوار قانوني، وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ
يتكلم، ثم بدأ يخوض في الإسلام وتندر بالإسلام والمسلمين، فأردت أن أسكته، فسألته: هل
تعلم حجم قانون الموارث في الدستور الأمريكي؟

قال: نعم، أكثر من ثمانية مجلدات.

فقلت له: إذا جئتكم بقانون للموارث فيما لا يزيد على عشرة سطور، فهل تصدق أن
الإسلام دين صحيح؟

قال: لا يمكن أن يكون هذا. فأتيت له بآيات الموارث من القرآن الكريم، وقدمتها له،
فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربى بهذا
الشمول الذي لا ينسى أحداً، ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحداً. ثم
أسلم هذا الرجل. فكانت آيات الموارث وحدها سبيلاً إلى اقتناع هذا الرجل اليهودي
بالإسلام ^(٢).

ويقول أيضاً: التقيت بشاب بريطاني، كان يعمل بجامعة الملك فهد، يقول: ظللت ثلاثة
عشر عاماً، وأنا أقرأ عن الإسلام، ومع ذلك ما كنت قادراً على اتخاذ القرار بشأن إشهار
إسلامي وإعلان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بسبب الضغوط الاجتماعية
والمعيشية، والمجتمع العام، ومشاكل الحياة المختلفة.

يقول: إنه في يوم تطهر وأوى إلى فراشه، ودعا ذلك الخالق العظيم أن يلهمه الصواب،

(١) قصص وعبر، ١٨/٢، ١٩.

(٢) الذين هدى الله، ص ٤٨، ٤٩.

وأن يشرح صدره للطريق الصحيح يقول: وإذا بمنادٍ يناديه في المنام: «يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله الواحد، الذي خلقكم وخلق هذا الكون وكل ما فيه» فقام من منامه منتفضاً، وهو يبكي ويقول: هذه علامة من الله أنه هو الطريق الصحيح، ولم ينم حتى اتصل بالمركز الإسلامي بأوكسفورد، وأعلن إسلامه على الفور^(١).

احذر المعصية

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وقد كان من أطباء القلوب، وقال له: إني مسرف على نفسي، فأعرض عليّ ما يكون زاجراً لها.

فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة.

فقال الرجل - وكان متشوقاً لسماع موعظته: هات ما عندك يا إبراهيم.

فقال: الأولى: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل شيئاً من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم، والأرزاق كلها عند الله؟

فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه.

قال: لا، يا إبراهيم هات الثانية.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والبلاد كلها ملك الله؟

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟

قال: لا، يا إبراهيم هات الثالثة.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فانظر مكاناً لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه؟

قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني إلى أجل معدود .

فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة.

قال: نعم، هات الخامسة يا إبراهيم.

فقال: إذا جاءتك الزبانية - وهم ملائكة جهنم - ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب إليه، ولزم العبادة حتى فارق الحياة^(١).

زيادة الإيمان بالتفكر

في إيران أنهار عندما تلتقي بمياه البحر ترجع مياهها عائدة إلى مجاريها التي أتت منها.

ونهر الأمازون يجعل مياه المحيط الأطلسي عذبة لمئات الكيلو مترات من مصبه فيه، فلا يختلط بمياه المحيط الأطلسي.

وتلتقي مياه المحيط الأطلسي بمياه البحر الأبيض، فتبقى مياه البحر الأبيض أسفل لثقلها، ولكثرة ملحها، وتعلو مياه المحيط لخفتها... وكل في مجراه، وكذلك لا تختلط مياه البحر الأسود بمياه البحر الأبيض عندما تلتقيان، بل تشكلان بحرين متلاصقين فوق بعضهما البعض، فمياه الأسود تجري في الأعلى نحو البحر الأبيض، لأنها أخف، ومياه البحر الأبيض تجري في الأسفل، متجهة نحو البحر الأسود لأنها أثقل^(٢).

التجرد لله

دعا الإمام البنا أحمد محمد حسنين باشا رئيس الكشافة المصرية لحضور استعراض

(١) التوابين، ابن قدامة، ص ٢٨٦.

(٢) دعوة للتأمل، ص ٥١، ٥٢.

لكشفافة الإخوان المسلمين، فحضر الرجل وشاهد الاستعراض، ولاحظ وجود تشكيلة من الشباب والرجال والعجائز وذوي اللحى وكان عددهم كبيراً يتقدمهم حملة المصاحف الكبرى.

فقال أحمد حسنين باشا للشيخ حسن البنا: بالله عليكم كيف جمعتهم كل هؤلاء من أقصى البلاد؟ إننا في الكشفافة المصرية نقدم لهم كل التسهيلات والملابس والنفقات، ومع ذلك لا يجتمعون علينا إلا بشق النفس، فماذا فعلت مع كل هؤلاء؟

فضحك الإمام البنا وقال لرئيس الكشفافة المصرية: شيء يسير جداً.. قلنا لهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فجاءوا وعلى نفقتهم الخاصة.. فسكت الرجل^(١).

يقول البنا: لقد آمنا إيماناً لا جدال فيه ولا شك معه، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسي، وأعمق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنفذ الدنيا المعذبة، وترشد الإنسانية الحائرة، وتهدي الناس سواء السبيل، وهي لذلك تستحق أن يضحى في سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال، وكل رخيص وغال، هذه الفكرة هي الإسلام الحنيف الذي لا عوج فيه، ولا شر معه، ولا ضلال لمن اتبعه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ففكرتنا لهذا إسلامية بحتة، على الإسلام ترتكز، ومنه تستمد، وله تجاهد، وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل، لا تعدل بالإسلام نظاماً، ولا ترضى سواء إماماً، ولا تطيع لغيره أحكاماً ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

لا تحزن والله معك

قال محمد بن أبي عمران: سأل رجل حاتم الأصم: على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟

(١) مائة موقف من حياة العظماء، ص ١٠٨.

قال: على خصال أربع:

- علمت أن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأنت به نفسي.
- وعلمت أن عملي لن يعمل به غيري فأنا مشغول به.
- وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره.
- وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه ^(١).

وعن عبد الله بن سهل قال: سمعت حاتم الأصم يقول: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة، فقال لي يوماً: أي شيء تعلمت؟

فقلت: رأيت رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي، ورأيت الله تعالى وكل بي ملكين يكتبان عليّ كل ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والرب تعالى ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقطت عني رؤية الخلق، ورأيت أن الله مستحشاً يدعو الخلق إليه فاستعددت له ^(٢).

صلاح الدين

كان صلاح الدين سليم العقيدة، متوكلاً على الله، حذره المنجمون يوماً من أن فتح القدس سيؤدي - حسب زعمهم وتنجيمهم - إلى فقد إحدى عينيه فقال: رضيت أن أعمي وافتح القدس، ففتحها بعد أن كانت بأيدي الفرنج أكثر من تسعين سنة، وأبطل تخرصات المنجمين ^(٣).

ذاك هو الله

سأل رجل أحد السلف عن الله، فقال له: ألم تركب البحر؟

قال: بلى.

قال: فهل حدث لك مرة أن هاجت بك الريح عاصفة؟

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٣٦٠.

(٢) السابق.

(٣) عدة المجاهدين، ص ٧٣.

قال: نعم.

قال: وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة؟

قال: نعم.

قال: فهل خطر ببالك وانفتح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء؟

قال: نعم.

قال: فذاك هو الله^(١).

التمسك بالعقيدة الصحيحة

يقول سيد قطب: لقد كان رسول الله ﷺ يتشدد مع أصحابه في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج، بقدر ما كان يفسح لهم في الرأي والتجربة في شئون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة كشئون الزرع، وخطط القتال، وأمثالها في المسائل العملية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي، ولا بالنظام الاجتماعي، ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان.. وفرق بين هذا وذلك بيّن، فمنهج الحياة شيء، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر.

والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهج الله، هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مادي في نطاق منهجه للحياة.

روي الإمام أحمد قال: جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أني أمرت بأخ يهودي من بني قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة. ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله، قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا ترى ما وجه رسول الله؟ قال عمر: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. قال: فُري عن النبي ﷺ، وقال: هو الذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين.

هؤلاء هم أهل الكتاب، وهذا هو هدي رسول الله ﷺ في التلقي عنهم في أي أمر يختص

بالعقيدة والتصور، أو بالشريعة والمنهج.. ولا ضير - وفق روح الإسلام وتوجيهه - من الانتفاع بجهود البشر كلهم في غير هذا من العلوم البحتة علماً وتطبيقاً.. مع ربطها بالمنهج الإيماني: من ناحية الشعور بها، وكونها من تسخير الله للإنسان.. ومن ناحية توجيهها والانتفاع بها في خير البشرية، وتوفير الأمن لها وتحقيق الرخاء.

وشكر الله على نعمة المعرفة ونعمة تسخير القوى والطاقات الكونية.. شكره بالعبادة، وشكره بتوجيه هذه المعرفة وهذا التسخير لخير البشرية.

فأما التلقي عنهم في التصور الإيماني، وفي تفسير الوجود، وغاية الوجود الإنساني، وفي منهج الحياة وأنظمتها وشرائعها، وفي منهج الأخلاق والسلوك أيضاً.. أما التلقي في شيء من هذا كله فهو الذي تغير وجه رسول الله ﷺ لأيسر شيء منه، وهو الذي حذر الله الأمة المسلمة عاقبته، وهي الكفر الصراح^(١).

دخل في الإسلام حديثاً

رئيس الأساقفة التتازي «جون موايوبو» الذي أقنع خمسة آلاف شخص بالدخول في الإسلام من الذين كانوا يترددون على الكنيسة، وسمى نفسه أبو بكر، وحدث أن قام بعض المتطرفين النصارى بإحراق منزله، وراح ضحية لهذا الحريق طفلة التوأم، كما تعرض منزله لحريق آخر تم خلاله إحراق جميع الأشرطة التي سجل عليها مراحل حياته من الرهبانية إلى الإسلام، وتعرض للموت أكثر من ثلاث مرات، ومع ذلك يردد قائلاً: «أنا أشعر براحة واطمئنان، لأنني أشعر - الآن - أن الله معي»^(٢).

أسلم بعقيدة سليمة

الدبلوماسي الألماني السفير د. مراد هوفمان سفير ألمانيا في الجزائر بدأت فطرة الحق التي فطر الله عز وجل الناس عليها تستيقظ داخل نفسه، وتاقت إلى الإيمان الصحيح بالله عز وجل، ولا سيما أنه يذكر حادثين مؤثرين، أحدهما: عندما كان يعمل في قنصلية بلاده في الجزائر عام ١٩٦١.. فبينما كانت شوارع العاصمة الجزائرية تموج بطلقات الرصاص لتخمد

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٤٣٩، ٤٤٠.

(٢) صحيفة المسلمين، ١٩/ ٦/ ١٩٩٢، (السر الخفي وراء إسلام هؤلاء، ١/ ١٥٨).

المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، فاجأت آلام المخاض زوجته، فخرج مهرولاً ليجث عن سيارة تقل زوجته إلى المستشفى، واليأس يعصر نفسه، كيف سيجد سيارة إسعاف وسط هذا الجو الملبد بدخان البنادق وطلقاتها، وأجساد القتلى والجرحى.

غير أنه يذكر أن هاتفًا كان يصرخ داخله: ثق بالله.. ثق بالله، ولم يصدق نفسه وهو يرى أمامه سيارة إسعاف، وكأنها أرسلتها العناية الإلهية لإنقاذ زوجته التي كتبت لها حياة جديدة من حيث لا يدري.

والحادث الآخر:

وقع في العام نفسه في أثناء سيره في أحد شوارع الجزائر يرافقه شخص فرنسي، إذ انطلق فجأة وابل من الرصاص نحوهما سقط رفيقه على إثره غارقاً في دمائه في حين لم يصب هو بأي أذى. وبالفعل عزم على إعلان إسلامه عام ١٩٨٠^(١).

المسلم على يقين دائم بأن الله سينصره وسيدافع عنه، وسيقف معه في وقت المحن، فلا يحزن ولا يخاف.

اعتراف الغرب

يقول سميت -أحد الباحثين الغربيين المنصفين: تكمن قوة الإسلام في قوة العقيدة التي يمنحها، فالمسلم يعتقد في إله واحد، وتتردد صدى الإعلان المؤثر عن الإيمان في الدعوة إلى الصلاة «الله أكبر».

الله ينتقم لدينه

تقول صحيفة «جسكياتاف كويو» النيجيرية العدد رقم ٤٠٠٧ في الصفحة الأولى: إن واعظاً مسيحياً من المكذبين بالقرآن وقف ساخراً من القرآن في تحدٍ سافر فقال: «إن كان القرآن والدين الإسلامي حقاً فأنا أسأل الله ألا أرجع إلى بيتي حياً» ويشاء رب العالمين أن يثبت له أن القرآن ودينه الإسلامي الذي ارتضاه لعباده حق وصدق، حيث حدث بمجرد خروجه من الكنيسة وبينما هو في طريقة إلى بيته إذ عثر برخام قناة صغيرة حينما أراد أن

(١) السر الخفي وراء إسلام هؤلاء، ٣٦/١.

يعبرها، فوقع ميتاً في القناة الصغيرة، وحينما تدخل رجل لإنقاذه مات هو الآخر في اليوم التالي مباشرة، والغريب حين حمله أتباعه وأشياعه بعد الحادث وذهبوا به إلى المستشفى، وهناك أخبرهم الطبيب بأنه مات، فلم يقتنعوا بتشخيصه، فأخذوه إلى مستشفى آخر، فأخبروهم بأنه مات بالفعل، فلم يصدقوا، وأخيراً انتهى بهم المطاف إلى مستشفى خاص بالجماعة التنصيرية، حيث أثبت الأطباء المنصرون بأنه قد مات فعلاً.

وبمجرد انتشار الخبر في ولاية «جونجولي» شمالي نيجيريا اعتنق سكان أربع قرى الإسلام.

صحيح العبادة

لابد من تصحيح المفاهيم الخاطئة عن العبادة، ومطاردة الأفكار الضالة، ومعرفة معنى العبادة، وهي الخضوع والذل، يقال: طريق معبد، والتعبيد بمعنى التذليل، ولذا فالعبادة هي الإذعان الكلي والخضوع الكامل، والطاعة المطلقة لله تبارك وتعالى.

الفهم الشامل

يقول البنا: قد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعاً متبتلاً يبكي ويتذلل، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرّساً يقرع الآذان بزواج الوعظ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً أنيقاً يرمي بالكرة أو يتدرب على العدو أو يمارس السباحة، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص.

هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الإسلام ويأمر بها ويحض عليها، لتحقيقوا أن فيها مظاهر الالتئام ومعاني الانسجام^(١).

روح الصلاة

كان الإمام حسن البنا في رحلة في صعيد مصر، وفي المساء جاء وقت العشاء، قال البنا للشيخ إسماعيل حمدي: «إحنا تعبانين وعاوزينك تصلي بنا» فتقدم الشيخ إسماعيل للصلاة ولكنه صلى بالسور القصيرة فلما انتهت الصلاة قال له حسن البنا: كيف تصلي بنا بالسور القصيرة؟ قال: لأن فضيلتكم قلت: إننا تعبانين، ولهذا رأيت أن أخفف عنكم.

قال الأستاذ البنا: يا أخي سيدنا رسول الله ﷺ قال لبلال ؓ: «أرحنا بها يا بلال» ولم يقل: أرحنا منها يا بلال^(٢).

(١) الرسائل، ص ١٢٣.

(٢) حكايات عن الإخوان، ١/ ٧٨.

الخوف من فساد الأعمال

كان أكثر كلام الحسن في خواطر القلوب، وفساد الأعمال، ووساوس النفس، والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس، وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك، فمن أين أخذته؟ قال: من حذيفة بن اليمان، وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: خصني به رسول الله: كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه^(١).

العلم طريق الوصول

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قبض رسول الله ﷺ وأنا شاب قلت لشاب من الأنصار: يا فلان، هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ولنتعلم منهم، فإنهم اليوم كثير.

قال: العجب لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله؟ قال: فتركت ذلك وأقبلت على المسألة، وتتبع أصحاب رسول الله، فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله، فأجده قائلاً (راقداً في وقت القيلولة) فأتوسد رداً على بابه، تسفي الريح على وجهي حتى يخرج، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله: مالك؟

فاقول: بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله، فأحببت أن أسمعه منك.

قال: فيقول: أنا أحق أن آتيك. فكان الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله واحتاج الناس إليّ فيقول: كنت أعقل مني^(٢).

قال إسماعيل بن يحيى المزني: قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟

قال: أسمع بالحرف مما لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثلما تنعمت به أذناي.

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١/ ١٣١.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٢/ ٣٦٨.

قيل له: فكيف حرصك عليه؟

قال: حرص الجمع المتنوع في بلوغ لذته للمال.

قيل له: فكيف طلبك له؟

قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره^(١).

يقول البنا: نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة، تنتظم شئون الناس في الدنيا وفي الآخرة، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف.

والقرآن الكريم ينطق بذلك كله، ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جميعه، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]^(٢).

العبادة الصحيحة

كان علي بن الحسين يقول: إن قومًا عبدوا الله عز وجل رهبة؛ فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة؛ فتلك عبادة التجار، وقومًا عبدوا الله شكرًا؛ فتلك عبادة الأحرار^(٣).

ويقول البنا: هل رأيت منشورًا عسكريًا في كتاب مقدس يتلى في الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذي يتدعى بالأمر المنجز في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ثم يبين الجزاء بعد ذلك ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤] ثم يتلو ذلك باستشارة أنبل العواطف في النفوس، وهي استنفاذ الأهل والوطن فيقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

(١) علو الهمة، ص ٥٥.

(٢) الرسائل، ص ١١٩.

(٣) صفة الصفة، ابن الجوزي، ١/ ٣٨٦.

ثم يوضح لهم شرف غايتهم، ودناءة غاية عدوهم، ليبين لهم أنهم يجدون بضمن غال هو الحياة، على سلعة غالية تستحقه وتربو عليه، وهي رضوان الله، على حين يقاتل غيرهم لغير غاية، فهي أضعف نفوساً وأخزى أفئدة، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب، وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة، ويبين لهم خطأ موقفهم هذا، وأن الإقدام لن يضرهم شيئاً بل سيكسبون به الجزاء الأكبر، والإحجام لا يغنيهم شيئاً، فالموت من ورائهم لا محالة، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلُمُونَ فِتْيَلًا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧، ٧٨].

بربك أي منشور عسكري في هذه القوة، وفي هذا الوضع يبعث في نفس الجندي كل ما يريد القائد من همة وعزة وإيمان؟ وإذا كان قوام الحياة العسكرية في عرفهم أمرين، هما النظام والطاعة، فقد جمعها الله في آيتين في كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، كما قال تعالى: ﴿فَأُولَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١]^(١).

ومن أنواع العبادات:

العدل عبادة

مشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة في سكك المدينة، فإذا بصبية تطيش هزلاً، تقوم مرة وتقع أخرى، فقال عمر: أي حوبتها! يا بؤسها! من يعرف هذه منك؟

فقال ابنه عبد الله: أما تعرفها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: هذه إحدى بناتك!

قال عمر: وأي بناتي هذه؟

قال: هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر (أي ابنته).

فقال عمر: ويحك وما صيرها إلى ما أرى؟ قال له ابنه: منعك ما عندك.

فقال عمر: إنك والله ما لك عندي غير سهمك في المسلمين وسعك أو أعجزك! هذا كتاب الله بيني وبينكم^(١).

غض البصر عبادة

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ مِنَ اللَّتَبْعِيضِ؛ لأن من النظر ما يباح.

وكره الشعبي أن يديم الرجل النظر إلى ابنته أو أمه أو أخته، وزمانه خير من زماننا هذا!! وحرام على الرجل أن ينظر إلى ذات محرم نظر شهوة يرددها^(٢).

وخرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة، ومعهم أصحاب لهم حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً.

فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجاتهم، وبقي عطاء قائماً في المنزل يصلي، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة، فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟

قالت: نعم.

قال: ما هي؟

قالت: قم فأصب مني.

فقال: إليك عني لا تحرقيني ونفسي بالنار.

ونظر إليها فوجدها امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه، وتأبى إلا ما تريد.

(١) من روائع حضارتنا، ص ٥١، ٥٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/ ٢٩٢.

وظل عطاء يبكي ويقول: ويحك! إليك عني، واشتد بكاءه، فلما نظرت المرأة إليه وما دخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي.

فبينما هو كذلك جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء يبكي، والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت، بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتاها رجل فرأهما يبكيان جلس يبكي لبكائهما، لا يسألها عن أمرهما حتى كثر البكاء وعلا الصوت.

فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت وهي نادمة تائبة^(١).

هل تحرص على غض البصر؟

الصبر عبادة

روى ابن شداد أن صلاح الدين كان له ابن اسمه (إسماعيل)، فجاءه خبر وفاته فتجلد وصبر واحتسب، ولم يحدث أحداً، ولم يظهر عليه شيء من الألم سوى دمعة ذرفت من عينيه، يقول ابن شداد: فانظر إلى هذا الصبر والاحتساب، وإلى أي غاية بلغ هذا الرجل، اللهم إنك ألهمته الصبر والاحتساب، ووفقته فلا تحرمه ثوابه يا أرحم الراحمين^(٢).

العلم عبادة

يروى ابن شداد أنه حدث أثناء الصراع بين صلاح الدين وريتشارد حول يافا أن عصي بعض عساكر صلاح الدين الأوامر، وانصرف كالمغضب حتى خيل لمن رآه أنه قاتل جماعة من العساكر في ذلك، لما أتوه من أعمال وأقوال، ولم يزل صلاح الدين سائراً حتى وصل إلى قيادته وحوله الأمراء يرددون خيفة، وكل منهم يعتقد أنه مسخوط عليه، حتى ابن شداد مع عظم مكانته عند صلاح الدين، يقول ابن شداد: لم تحدثني نفسي بالدخول عليه خيفة منه حتى استدعاني، فلما دخل ابن شداد على صلاح الدين طلب منه أن يجمع الأمراء ليشاركوه في أكل كمية من فاكهة كانت قد وصلته من دمشق، فحضر الأمراء وهم خائفون، فوجدوا من بشره وانبساطه ما أحدث لهم الطمأنينة والأمن والسرور، وانصرفوا على عزم الرحيل

(١) غض البصر، ص ٧٥، ٧٦.

(٢) صلاح الدين الأيوبي، عبد الله ناصح علوان، ص ١١٥.

للقتال كأن لم يحدث شيء أصلاً^(١).

الصدق عبادة

روى ابن عيينة عن رجل قال: كلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء، فقال له: كذبت، فقال عمر: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه^(٢).

الورع عبادة

عن وهب بن الورد قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز اتخذ داراً لطعام المساكين والفقراء وابن السبيل. وتقدم إلى أهله وقال: إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئاً من طعامها، فإنها هي للفقراء والمساكين وابن السبيل.

فجاء يوماً فإذا مولاة له معها صحيفة فيها غرفة من لبن فقال لها: ما هذا؟

قالت: زوجتك فلانة حامل كما قد علمت، واشتهدت غرفة من لبن، والمرأة إذا كانت حاملاً فاشتهدت شيئاً فلم تؤت به تخوفت على ما في بطنها أن يسقط، فأخذت هذه الغرفة من هذه الدار.

فأخذ عمر بيدها فتوجه بها إلى زوجته وهو عالي الصوت وهو يقول: إن لم يمسك ما في بطنها إلا طعام المساكين والفقراء فلا أمسكه الله. فدخل على زوجته فقالت له: مالك؟ قال: تزعم هذه أنه لا يمسك ما في بطنك إلا طعام المساكين والفقراء، فإن لم يمسكه إلا ذلك فلا أمسكه الله.

قالت زوجته: رديه ويحك، والله لا أذوقه. قال: فردته^(٣).

هل تحرص على المال الحلال في رزقك؟

التقوى عبادة

كان عمر بن عبد العزيز يقول: ليس تقوى الله بصيام النهار، وقيام الليل، والتخليط

(١) صلاح الدين الأيوبي، عبد الله ناصح علوان، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ١٣٧.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٧٩.

فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله: ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا، فهو خير إلى خير^(١).

تقديم النصيحة عبادة

جاء أن أبا مسلم الخولاني دخل على معاوية، فرآه يتصدر مجلسًا من مجالسه العامة. وقد حف به رجال دولته، وقادة جيشه، ووجوه قومه، ورأى الناس يبالغون في إعظامه وإجلاله، فخشي عليه من ذلك أشد الخشية، وبادره قائلاً: السلام عليك يا أجير المؤمنين. فالتفت إليه الناس وقالوا: أمير المؤمنين يا أبا مسلم، فلم يأبه لهم وقال: السلام عليك يا أجير المؤمنين. فقال الناس: أمير المؤمنين يا أبا مسلم، فلم يعرهم سمعه، ولم يرم نحوهم بطرفه وقال: السلام عليك يا أجير المؤمنين. فلما هم الناس بمراجعتهم؛ التفت إليهم معاوية وقال: دعوا أبا مسلم، فهو أعلم بما يقول.

فمال أبو مسلم إلى معاوية وقال له: إنما مثلك بعد أن ولاك الله أمر الناس كمثل من استأجر أجيرًا وأوكل إليه أمر غنمه، وجعل له الأجر على أن يحسن رعيها، ويحفظ أبدانها، ويوفر أصوافها وألبانها، فإن هو قام بما عهد إليه حتى تكبر الصغيرة وتسمن العجفاء، وتصح السقيمة أعطاه أجره، وزاده، وإن هو لم يحسن رعيها وغفل عنها، حتى هلكت عجافها، وهزلت سماتها، وضاعت أصوافها وألبانها منع الأجر عنه، وغضب عليه وعاقبه، فاختر لنفسك ما فيه خيرك وأجرك.

فرفع معاوية رأسه وكان مطرقًا إلى الأرض، وقال: جزاك الله عنا وعن الرعية خيرًا يا أبا مسلم، فما علمناك إلا ناصحًا لله ولرسوله، ولعامة المسلمين^(٢).

طلب العلم عبادة

حفظ أحمد بن حنبل القرآن الكريم، ولما بلغ أربع عشرة سنة، درس اللغة العربية، وتعلم الكتابة، وكان يحب العلم كثيرًا حتى إن أمه كانت تخاف عليه من التعب والمجهود الكبير الذي يبذله في التعلم، وقد حدث ذات يوم أنه أراد أن يخرج للمكان الذي يتعلم فيه الصبية

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص ٩٦.

(٢) صور من حياة التابعين، ص ٣٥٤.

قبل طلوع الفجر، فجذبته أمه من ثوبه، وقالت له: يا أحمد انتظر حتى يستيقظ الناس. ومضت الأيام حتى بلغ أحمد الخامسة عشرة من عمره فأراد أن يتعلم أحاديث رسول الله ﷺ من كبار العلماء والشيوخ، فلم يترك شيخاً في بغداد إلا وقد استفاد منه، ومن شيوخه: أبو يوسف، وهشيم بن مشير.

وكان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث^(١).

النهي عن المنكر عبادة

عن الأصمعي قال: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سرير، وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به قام إليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟

فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم.

فقال له: أجل أفعل، ثم نهض وقام. فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حاجة لغيرك. وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟

فقال: مالى إلى مخلوق حاجة، ثم خرج فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف^(٢).

حوار حول اللحية

كان الإمام الشهيد البنا راکباً الترام ذات مرة عائداً إلى بيته، فحرص أحد الشباب الذين يهزأون بالسنين والملتحين من الدعاة والوعاظ، أن يكون جلوسه إلى جانب الإمام الشهيد.

وبدأ الشاب في استئذانه بسؤال محرج، ورجا الأستاذ أن يجيئه معذراً عن

هذا السؤال!

(١) أعلام المسلمين، ص ١٠١، ١٠٠.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ٣٤٥.

فأجاب الإمام الشهيد مرحباً كل الترحيب بما يسأل الشاب، ووعدته ألا يكون لسؤاله من أثر في نفسه غير الرضا والارتياح.

فبدأ الشاب سؤاله بقوله: لماذا أطلقت لحيتك يا أستاذ؟

فأجاب الأستاذ: اسمح لي أن أقول لك بأن سؤالك ليس في موضعه، وما كان لك أن تسأل هذا السؤال، وإنما الذي من حقه هذا السؤال هو أنا: لماذا حلقت لحيتك أنت يا أخي؟

وهكذا تحول الأستاذ من موقع المدافع إلى موقف المهاجم!

فعجب الشاب من براعة الأستاذ في إجابته التي لم يكن يتوقعها من المشايخ والوعاظ، وأجاب الشاب: إني أحلق لحيتي لأني أعتبرها قذارة يجب التخلص منها.

فقال الأستاذ: ولماذا لا تحلق بقية شعرك؟ شعر الرأس والحاجبين والشارب ما دام الشعر في نظرك قذارة؟

فأجاب الشاب: لا يا أستاذ ليس كل الشعر في مستوى واحد، فأنا أحلق شعر عانتي وإبطي بحكم الشرع الشريف باعتباره قذارة.

فقال الإمام: الحمد لله.. فقد اعتبرت لحيتي من نوع شعر الرأس والشارب، وأما لحيتك فقد اعتبرت من نوع عانتك!!

وهكذا كان هذا الجواب البارع صفقة أخرى لهذا الشاب الساخر، ما كان ينتظرها، وشعر بالحزني والخلج، وقال: حقاً إنك أظرف سني رأيته في حياتي.. لقد أردت أن أسخر منك فسخرت أنت مني.

فأجابه الأستاذ قائلاً: إن الإسلام قضيته أكبر من اللحية التي تتكلم عنها، وأنتم معشر الشباب لا تفهمون من الإسلام إلا اللحية والصلاة والصيام، ولكن الإسلام رسالة عامة، تناول الدين والدنيا، ونظام الحياة، ومنهاجها الكامل في كل شئون الحياة.. وتحدث له الأستاذ عن عظمة الإسلام وآفاقه العليا بصورة موجزة.. فأعجب الشاب من هذا التصوير الجديد^(١).

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة، ص ١٦٠، ١٦١.

رد الجميل عبادة

كان من نعم الله عز وجل على عليّ بن أبي طالب، وما وضع الله له، وأراد به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم - يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس في هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، أخذ من بنيه واحداً وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه. فقال العباس: نعم.. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله عليّاً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا ﷺ فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب ﷺ مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه عليّ، فأقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

ونلاحظ أن الرسول أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعد وفاة جده عبد المطلب^(١).

(١) علي بن أبي طالب، الصلابي، ص ٣٨.

الانتفاع بالوقت

إن الإحساس بالوقت يلدغ الذين توهّموا الخلود في الأرض وربطوا مصيرهم بترابها، ولكنه إحساس مخدوع مضلل لمن مرت به الأيام والشهور والدهور وغدا وراح، وتعب واستراح، ومع ذلك فهو في غفلة عن يومه وغده، ظل يعبث ويسترسل في عبثه حتى إذا استرخت أجفانه على عينيه، ودخل ظلام الموت تيقظ بعنف، وهيهات!! لقد صحا بعد فوات الأوان.

إن من الخداع أن يحسب المرء نفسه واقفا والزمن يسير، إنه خداع النظر كما يخيل لراكب القطار أن الأشياء تجري من حوله وهو جالس، والواقع أن الزمن يسير بالإنسان إلى مصيره المحتوم.

صديق ودود أو عدو لدود

إن عمرك رأس مالك الضخم، ولسوف تسأل عن إنفاقك منه لقول رسول الله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟»^(١).

ومن الحكم التي تغيب عن بال الناس: «الواجبات أكثر من الأوقات» الزمن لا يقف محايدا فهو إما صديق ودود أو عدو لدود.

جريمة سرقة

من المؤسف أن العوام لا يبالون بإضاعة أوقاتهم سدى ويضمون إلى هذه الجريمة السطو على أوقات الآخرين لإراقتها على التراب، وقد قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيها كثير

(١) الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرفائق والورع، باب: في القيامة، ح (٢٤١٧)، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

من الناس: الصحة والفراغ»^(١).

ومن وسائل الإسلام لاستغلال الوقت الحث على مداومة العمل وإن كان قليلاً، وكراهيته للكثير المنقطع، وذلك أن استدامة العمل القليل مع اطراد الزمن وسيره المتواصل يجعل من التافه الضئيل زنة الجبال من حيث لا يشعر المرء.

البركة في البكور

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التكبير ورغبته في أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطاً طيب النفس مكتمل العزم، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في ألا يضيع سائرته سدى.

ونظام الحياة الإسلامية يجعل ابتداء اليوم من الفجر، ويفترض اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس، ويمنع السهر الذي يؤخر صلاة الصبح عن وقتها المسنون، وفي حديث الرسول ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٢).

نظرة خاطئة

والناس ينظرون إلى الأحداث ويذهلون عن مرسلها، ويذوقون السراء والضراء، ويجهلون من يذيقهم طعومها، فإذا ضاقوا ذرعاً بأمرها لعنوا الأيام، وذلك ضرب من الجهل بالله والغفلة عن أقداره، قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»^(٣).

والسفهاء من الناس تمر بهم الأحوال الحسنة والسيئة، فلا يستفيدون من اختلافها شيئاً وقد قال رسول الله ﷺ: «إن المنافق إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير، عقله أهله ثم أرسلوه، فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم أرسلوه»^(٤).

(١) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، ح(٦٠٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: في الابتكار في السفر، ح(٢٦٠٢)، عن صخر بن وداعة الغامدي رضي الله عنه، قال الألباني: صحيح.

(٣) البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة حم الجاثية، ح(٤٥٤٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أبو داود، كتاب: الجنائز، باب: الأمراض المكفرة للذنوب، ح(٣٠٨٩)، قال الألباني: ضعيف.

وطبيعة البشر أن يعرفوا ربهم ساعة الشدة وأن يلجأوا إليه عندما تستحكم الأزمات قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَاتِلًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

الوقت في القرآن

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] أي جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، فمن فاتته عمل في أحدهما، حاول أن يتداركه في الآخر، وأقسم الله تعالى في مطالع سور عديدة من القرآن المكّي بأجزاء معينة من الوقت مثل: الليل والنهار والفجر والضحي والعصر.. ومن المعروف لدى المفسرين أن الله إذا أقسم بشيء من خلقه فذلك ليلفت أنظارهم إليه.

خصائص الوقت

١ - سرعة انقضائه:

فهو يمر مر السحاب ويمرّ جري الرياح، سواء أكان زمن مسرة وفرح أم كان زمن اكتئاب وترح، وإن كانت أيام السرور تمر أسرع، وأيام الهموم تسير ببطء، لا في الحقيقة ولكن في شعور صاحبها، ومهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا فهو قصير، ما دام الموت هو نهاية كل حي، ورحم الله الشاعر الذي قال:

وإذا كان آخر العمر موتاً فسواء قصيره والطويل

ويحكى عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام أنه جاءه ملك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده، فسأله: يا أطول الأنبياء عمراً، كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان؛ دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر^(١).

يا من باع الدرر واشترى الخزف!

يقول ابن الجوزي: كأنك بالموت وقد خطف ثم عاد إلى الباقي وعطف، فتنبه لنفسك يا ابن النطف، فقد حاذى الرامي الهدف، إلى كم تسير في أسف؟ ليت هذا العزم وقف، تؤخر

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ٢٠٤.

الصلاة ثم تسينها كالبرق إذا خطف، أنجمع سوء كيلة مع حشف؟ الجسد أتى والقلب انصرف، يا من باع الدرر واشترى الخزف، ابسط بساط الحزن على رماد الأسف، عليك حافظ وضابط، ليس بناس ولا غالط، يكتب الألفاظ السواقط، وأنت في ليل الظلام خابط^(١).

٢- أن ما مضى منه لا يعود ولا يعوض:

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب
الزمان أنصح المؤذنين، وأفصح المؤذنين، فانتبهوا بإيقاظه، واعتبروا بألفاظه.

٣- أنفس ما يملك الإنسان:

يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته، حيث لا ينفع الندم.
الموقف الأول: ساعة الاحتضار ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المتفون: ١٠] وكان الرد على هذه الأمنية الفارغة قاطعا: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المتفون: ١١].

الموقف الثاني: في الآخرة حيث توفي كل نفس ما عملت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وانقطعت حجتهم بهذا السؤال التقريعي: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧].

إذا كان عمر الإنسان ستين عاما فانظر كيف نقضي بعضها:

النشاط	الوقت الكلي في ٦٠ عاما
ربطة الأحذية	٨ أيام
انتظار إشارات المرور	شهر
الوقت الذي تقضيه عند الحلاق	شهر
ركوب المصاعد في المدن الكبرى	٣ شهور
تنظيف الأسنان بالفرشاة	٣ شهور

(١) المدهش، ابن الجوزي، ص ١٧٤.

النشاط	الوقت الكلي في ٦٠ عاماً
انتظار الحافلات في المدن	٥ شهور
الوقت الذي تقضيه في الحمام	٦ شهور
قراءة الكتب	سنتان
وقت الأكل	٤ سنوات
اكتساب الرزق	٩ سنوات
النوم	٢٠ سنة

سواء اتفقنا على هذا الجدول أم لم نتفق إلا أننا ندرك جيداً أن الوقت يمر سريعاً^(١).

من علامات المقت إضاعة الوقت

يقول أحدهم: من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون، ويقول ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسهُ نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي! وقال آخر: كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم، وقال الشاعر:

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

جريمة انتحار

ما يدري هؤلاء المساكين أن من قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه، فهي جريمة انتحار ترتكب على مرأى ومسمع من الناس، ولا يعاقبهم عليها أحد، وكيف يعاقب عليها من لا يشعر بها ولا يدري مدى خطورها؟

انتبه!

الفراغ لا يبقى فراغاً أبداً، فلا بد أن يملأ بخير أو شر، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل، فطوبى لمن ملأه بالخير والصلاح! وويل لمن ملأه بالشر والفساد! ويقول بعض الصالحين: فراغ الوقت من الأشغال نعمة عظيمة، فإذا كفر العبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قيادة الشهوات، شوش الله عليه نعمة قلبه، وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه.

(١) انظر كتاب: كيف تدبر وقتك.

البدار البدار: قال الشاعر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل إلى غد، إن يوم العاجزين غد!!

أمر القرآن الكريم باستباق الخيرات والمسارة إليها ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] ويقول معقبا على أهل الكتاب وما أنزل عليهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيُنْزِلَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وأثنى الله على بعض أنبيائه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]، وذم الله المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا﴾ [النساء: ١٤٢].

الاعتبار بمرور الأيام

في كل يوم يمر، بل في كل ساعة تمضي، بل في كل لحظة تنقضي، تقع في الكون والحياة أحداث شتى، منها ما يرى ومنها ما لا يرى، من أرض تحيا، وحبّة تنبت، ونبات يزهر، وزهر يثمر، وثمر يقطف، وزرع يصبح هشيما تذروه الرياح، أم من جنين يتكون، وطفل يولد، ووليد يشب، وشاب يكتهل، وكهل يشيخ، وشيخ يموت!

لكل وقت عمله

جاء في وصية أبي بكر رضي الله عنه لعمر حين استخلفه: اعلم أن الله عملا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار^(١).

وليس المهم -إذن- أن يعمل الإنسان أي شيء في أي زمان، بل المهم أن يعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، ولذلك وقت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة، لا يجوز التقدم عليها، ولا التأخر عنها ليعلمنا بذلك أن الشيء لا يقبل قبل أوانه، ولا

بعد أوانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] وفي الصوم: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي الزكاة: ﴿وَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفي الحج: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فضل الله بعض الأيام على بعض

فكما فضل الله بعض الأشخاص على بعض، وبعض الأنواع على بعض، وبعض الأمكنة على بعض، فضل كذلك بعض الأزمنة على بعض: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال بعض السلف: عجبت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق، وعن أبي حارثة الحشني قال رسول الله ﷺ: «وإن من ورائكم أياما، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله»، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»^(١).

احذر هؤلاء

عن حذيفة بن اليمان ؓ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، قال: قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله: صفهم لنا، فقال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»...^(٢).

كم عمرك؟

يقول القرضاوي: العمر الحقيقي للإنسان ليس هو السنوات التي يقضيها من يوم الولادة إلى يوم الوفاة، إنما عمره الحقيقي بقدر ما يكتب له في رصيده عند الله من عمل الصالحات وفعل الخيرات.

(١) الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة المائدة، ح (٣٠٥٨)، قال الترمذي: حسن غريب، وقال الألباني: ضعيف لكن بعضه صحيح.

(٢) البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٤١١).

فقد تجد إنسانا عاش أكثر من مائة سنة، ولكن رصيده من تقوى الله ونفع عباده صفر أو ما دون الصفر، أي أن رصيده مدين إذا تحدثنا بلغة المصارف.

وقد يموت إنسان آخر شابا، ولكن رصيده في سنيته القلائل بعد سن التكليف حافل عامر بجلال الأعمال، وإذن يستطيع الإنسان أن يطيل عمره بمقدار ما يوفق إليه من عبادة الله تعالى، والإحسان إلى خلقه، وكلما توافر لعمله الإخلاص والإتقان كان فضله وأجره كبيرا، وعلى قدر ما يكون لعمله من الفائدة والتأثير في حياة الآخرين تكون قيمته ومنزلته، كأن يدهم على هدى أو ينقذهم من ردى، أو يفرج عنهم كربة أو يرفع عنهم ظلما، أو يدفع عنهم عدوا أو غير ذلك من الأعمال التي يتعدى نفعها إلى أفراد أو جماعات من الناس أو إلى أمة بأسرها ومن هنا كان عمل مثل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله في قمة الأعمال مكانة عند الله تعالى^(١).

ماذا فعلت لما بعد الموت؟

يستطيع الإنسان الذي رزق التوفيق في إنفاق وقته أن يطيل عمره، ويمد حياته إلى ما شاء الله بعد موته، فيحيا وهو ميت، ويؤدي رسالة الأحياء وهو مقبور، وإنما يكون ذلك إذا ترك وراءه ما ينتفع الناس به بعده من علم نافع أو عمل صالح أو أثر طيب أو سنة حسنة اقتدى بها أو مؤسسة خيرية ظلت تؤتي ثمارها من بعده أو ذرية صالحة أحسن تربيتها فكانت امتدادا لحياته وحسن سيرته، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

دقات قلب المرء قائمة له: إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

وقفه

فرق كبير بين من يموت والقلوب عليه وهى، والأعين عليه باكية، والألسنة كلها تشني عليه بالخير وتدعو له بالرحمة، ومن يموت ولا تبكي عليه عين، ولا يحزن لفراقه قلب، ولا

(١) الوقت في حياة المسلم.

(٢) مسلم، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح (١٦٣١).

يترحم عليه إنسان، شأن الذين عاشوا في الحياة سلبين، أو ظالمين متجبرين، كذلك الذي قال فيه الشاعر:

فذاك الذي إن عاش لم ينتفع به وإن مات لم تحزن عليه أقاربه
وإذا كان من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فإن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، وإذا كان من ترك علما نافعا لم ينقطع عمله الصالح، فإن من ترك أثرا سيئا وفكرا مضللاً لم ينقطع أيضا عمله الطالح.

طوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه،
وويل لمن يموت وذنوبه باقية من بعده.

هكذا استغلوا أوقاتهم

نقل عن ابن الجوزي أن براية أقلامه التي كتب بها الحديث جمعت فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها.
وهذا ابن تيمية، كان لا يفوت ساعة من وقته دون تعليم أو تأليف أو عبادة، حتى بلغت مؤلفاته المئات، بل لم يمكن حصرها.

وقال ابن شاكِر: إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلد، وقال الذهبي: وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد.

قال ابن القيم: وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه، وإقدامه، وكتابته أمرا عجا فکان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، قال ابن العطار تلميذ النووي: ذكر لي شيخي - رحمه الله تعالى - أنه كان لا يضيع له وقتا، لا في ليل ولا في نهار، إلا في الاشتغال بالعلم حتى في الطريق يكرر أو يطالع، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق، وكان لا يأكل في اليوم والليل إلا أكلة بعد عشاء الآخرة، ويشرب شربة واحدة عند السحر، ويمتنع عن أكل الفواكه والخيار، ويقول: أخاف أن يرطب جسمي ويجلب لي النوم.

أما الإمام الفقيه مكتشف الدورة الدموية ابن النفيس فقال عنه الإمام برهان الدين

إبراهيم الرشيدى: كان العلاء بن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كَلَّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره، لثلا يضيع عليه الزمان في بري الأقلام.

أخي الحبيب: هكذا كانت الهمم العالية في استغلال أوقاتهم
فأين هممتك؟!

تربية الأبناء

قال عبد الملك بن مروان -رحمه الله: كنا مع أبينا في موكبه فقال: سبحوا حتى تأتوا تلك الشجرة، فنسبح حتى نأتيها، فإذا رفعت لنا شجرة أخرى، قال: كبروا حتى تأتوا تلك الشجرة، فكان يصنع ذلك بنا^(١).

وروي في مقدمة ابن خلدون أن هارون الرشيد -رحمه الله- لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: «أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته».

ثم قال له موجهًا: «ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه»^(٢).

أنت والمصحف

يقول صاحب القصة:

طفلي الصغير صحته ليست على ما يرام، عندما عدت مساء هذا اليوم من عملي قررت الذهاب به إلى المستشفى، رغم التعب والإرهاق، إلا أن التعب لأجله راحة. حملته وذهبت، لقد كان المنتظرون كثيرًا.. ربما نتأخر أكثر من ساعة.. أخذت رقبها للدخول على الطبيب وتوجهت للجلوس في غرفة الانتظار.

وجوه كثيرة مختلفة.. فيهم الصغير وفيهم الكبير.. الصمت يخيم على الجميع، يوجد عدد من الكتيبات الصغيرة استأثر بها بعض الإخوة.

(١) الزهد، أحمد بن حنبل، ص ٢٢٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ١/ ٥٤١.

أجلت طرفي في الحاضرين.. البعض مغمض العينين لا تعرف فيم يفكر، وآخر يتابع نظرات الجميع، وآخرون تحس على وجوههم القلق والملل من الانتظار.

يقطع السكون الطويل صوت المنادي برقم كذا، الفرحة على وجه المنادي عليه يسير بخطوات سريعة، ثم يرجع الصمت للجميع.

لفت نظري شاب في مقتبل العمر لا يعنيه أي شيء حوله، لقد كان معه مصحف جيب صغير يقرأ فيه، لا يرفع طرفه.. نظرت إليه ولم أفكر في حاله كثيرًا لكنني عندما طال انتظاري لساعة كاملة تحول مجرد نظري إليه إلى تفكير عميق في أسلوب حياته ومحافظته على الوقت.

ساعة كاملة من عمري ماذا استفدت منها وأنا فارغ بلا عمل ولا شغل، بل انتظار ممل.

أذن المؤذن لصلاة المغرب.. ذهبنا للصلاة.

في مصلى المستشفى حاولت أن أكون بجوار صاحب المصحف.. بعد أن أتمنا الصلاة، سرت معه وأخبرته مباشرة بإعجابي به من محافظته على وقته.

وكان حديثه يتركز على كثرة الأوقات التي لا نستفيد منها إطلاقاً وهي أيام وليال تنقضي من أعمارنا دون أن نحس أو نندم.

قال: إنه أخذ مصحف الجيب هذا منذ سنة واحدة فقط عندما حثه صديق له على المحافظة على الوقت.

وأخبرني أنه يقرأ في الأوقات التي لا يستفاد منها كثيراً أضعاف ما يقرأ في المسجد أو في المنزل، بل إن قراءته في المصحف -زيادة على الأجر والمثوبة إن شاء الله- تقطع عليه الملل والتوتر، وأضاف محدثي قائلاً: إنه الآن في مكان الانتظار منذ ما يزيد على الساعة والنصف.

وسألني: متى ستجد ساعة ونصفاً لتقرأ فيها القرآن؟

تأملت كم من الأوقات تذهب سدى! كم لحظة في حياتك تمر ولا تحسب لها حساباً!

بل كم من شهر يمر عليك ولا تقرأ القرآن!

أجلت نظري.. وجدت أي محاسب والزمن ليس بيدي.. قطع تفكيري صوت المنادي.. ذهبت إلى البيت.

أريد أن أحقق شيئاً الآن، بعد أن خرجت من المستشفى، أسرع إلى المكتبة، اشتريت مصحفاً صغيراً، قررت أن أحافظ على وقتي.. فكرت وأنا أضع المصحف في جيبتي. كم من شخص سيفعل ذلك، وكم من الأجر العظيم للدال على ذلك! ^(١)

إضاعة الوقت

يقول ابن الجوزي: رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة ^(٢).

ليس لدي فراغ

سئل الشيخ أحمد ياسين يوما: كيف تقضي وقتك؟

فأجاب: طوال عمري في العمل حتى حينما أكون في بيتي فأنا في العمل، ليس لدي ساعة فراغ واحدة، يأتيني المسلم يشكو من شيء فأسعى لحل شكواه، يأتيني الفقير يشكو، ويأتيني أبو السجين أو أهله يشكون، تأتيني المطلقة تشكو شكواها، فيأتي مفتوح لكل الناس، وعلى كل مستوياتهم، للأرملة والفقير والتعبان والمريض والذي يريد العلاج، والذي لديه مشكلة، والذي يريد أن يزور منطقة، والذي يبحث عن عمل.. العمل يأخذ كل وقتي.

(١) مائة قصة وقصة، ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص ١٩٠.

النظام

يقول تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

هل فكرت يوماً في هذه السيارات المنطلقة، أعني هذه الكواكب، التي تخرق أعماق الجو والتي تلتزم مداراً واحداً ولا تنحرف عنه؟ أليس هذا من تنظيم الله لهذا الكون؟ والله قد نظم لنا كيفية الموازنة بين الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

خلية النحل

انظر إلى خلية النحل الذي هو مخلوق صغير ضئيل من مخلوقات الله الكثيرة الجميلة، ستجد نظاماً جميلاً، فيصنع هذا المخلوق الصغير أشكالاً جميلة من الشمع، من علمه هذا؟ إنه الله، ولو علمت كيف يقوم النحل داخل الخلية بالعمل لوجدت أن كل نحلة تقوم بواجبها من أجل نظافة الخلية وإنتاج العسل الشهى، والدفاع عنها، ستعرف أن الله أبدع ونظم كل شيء في الدنيا حتى خلية النحل الصغيرة، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[النحل: ٦٨، ٦٩].

النمل

ربما لم تتمكن من رؤية النحل ولكنك بالتأكيد رأيت النمل، رأيت كيف يتحرك النمل في نظام وخطوط شبه مستقيمة؟ كل نملة تعرف دورها وتعمل بنظام من أجل جمع الغذاء وتخزينه لفصل الشتاء، فيخرج النمل في فصل الصيف يبحث عن غذائه ثم يأتي النمل في نظام وترتيب عجيب فيحمل الغذاء ويتعاون معاً عندما يكون الغذاء كبير الحجم يحتاج

لمجهود مجموعة كبيرة من النمل، وتستمر جماعات النمل المنظمة حتى ينتهي فصل الصيف ويدخل الشتاء فينعم النمل بحصيلة ما جمعه طوال الصيف، ألا يدل ذلك على أن الله يريد أن يعلمنا أنه بالنظام والعمل الجاد تستطيع مخلوقات الله أن تعيش.

من علم النملة الفرق بين الصيف والشتاء؟ ومن علمها أن تحسب حاجاتها في الصيف وتدخرها في الشتاء؟ ومن علمها أن تستكشف أماكن الطعام؟ ومن علمها أن ترتب حركتها وهي تنقل الطعام؟ إننا نتعلم من هذا المخلوق الصغير النظام والادخار^(١).

الله يحب النظام

والنظام يبدو في الصفوف، ومن الصفوف التي يحبها الله صفوف القتال المتراسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصَةٌ﴾ [الصف: ٤] و صفوف الملائكة: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصف: ١٦٥] أي المصفين للطاعة.

هجرة الرسول ﷺ

- انظر إلى التخطيط الدقيق من النبي ﷺ للهجرة:

* جاء الرسول ﷺ إلى بيت أبي بكر في وقت شدة الحر حتى لا يراه أحد.

* إخفاء شخصيته أثناء مجيئه فقد جاء الرسول ملثما.

* أمر أبا بكر أن يخرج من عنده.

* لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

* كان الخروج ليلا.

* كان الخروج من باب خلفي في بيت أبي بكر.

* اتخذوا طرقا غير مألوفة للقوم.

* استعان الرسول ﷺ بالمشارك عبد الله بن أريقط لأنه كان واثقا منه وعلى خلق، وكان

الرسول ﷺ لا يحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها.

(١) تربية الأبناء على التخطيط والنظام، ص ٢٤، ٢٥.

* انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة وكلها ترتبط برباط القرابة.

* وضع كل فرد من الأفراد في عمله المناسب: عبد الله بن أبي بكر صاحب المخابرات الصادقة، وأسماء بنت أبي بكر حاملة التموين من مكة إلى الغار، وعامر ابن فهيرة الراعي البسيط يبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه كي لا يتفرسها القوم.

إن رسول الله ﷺ أعد كل الأسباب، ولكنه في الوقت نفسه يدعو ربه فانصرف القوم عن الغار، ورسخت فرس سراقه في الأرض.

اعلم أخي الحبيب أننا إذا أخذنا بكل الأسباب لنصرة دين الله فإن الله سينصرنا لا محالة. فكرة نوم علي بن أبي طالب ﷺ في فراشه فكرة جيدة ضللت القوم، فلقد ظلت أبصارهم معلقة بفراش الرسول ﷺ، وما كانوا يشكون أن الرسول ﷺ مازال نائماً، والنائم هو علي بن أبي طالب.

هل تقوم بتنظيم شئون حياتك؟

في غزوة بدر

دفع الرسول ﷺ لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير القرشي العبدري ﷺ، وكان هذا اللواء أبيض وقسم جيشه إلى كتيبتين:

١ - كتيبة المهاجرين، وأعطى علمها علي بن أبي طالب.

٢ - كتيبة الأنصار، وأعطى علمها سعد بن معاذ.

وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام، وعلى المسيرة المقداد بن عمرو، وكانا هما الفارسين الوحيدين في الجيش، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة وظلت القيادة العامة في يده ﷺ كقائد أعلى للجيش^(١).

كان الرسول ﷺ يعدل الصفوف في غزوة بدر، وبينما هو يعدلها وقع أمر عجيب، فقد كان في يده قذح يعدل به، وكان سواد بن غزية مستنصلاً من الصف، فطعن في بطنه بالقذح وقال: «استويا سواد»، فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني فأقطني، فكشف عن بطنه، وقال:

(١) الرحيق المختوم، المباركفوري، ١٩٥.

«استقد»، فاعتنقه سواد، وقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير^(١).

وانظر إلى حرص الرسول على النظام وتسوية الصفوف.

في غزوة أحد

قسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب:

- ١ - كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدري.
- ٢ - كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير
- ٣ - كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر.

في اليرموك

خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه بأسلوب جديد لم يستخدمه العرب من قبل ذلك هو الكراديس فخرج في ستة وثلاثين كردوسا إلى أربعين ورتب جيشه كالتالي:

فرقا: وفيها من عشرة إلى عشرين كردوسا ولها قائد وأمير.

كراديس: ألف مقاتل وله قائد وأمير.

وقسم جيشه إلى أربعين كردوسا كما يلي:

فرقة القلب مؤلفة من ١٨ كردوسا بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ومعه عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو.

فرقة الميمنة مؤلفة من ١٠ كراديس بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة.

فرقة الميسرة مؤلفة من ١٠ كراديس بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

فرقة الطليعة (المقدمة) من الخيالة.

فرقة المؤخرة مؤلفة من ٥٠٠٠ مقاتل (٥ كراديس) بقيادة سعيد بن زيد ومهمتها قيادة

(الأمور الإدارية) وكان القاضي (أبو الدرداء)، وعبد الله بن مسعود مهمته تأمين أمور الإعاشة وجمع الغنائم، والمقداد بن الأسود يدور على الناس ويقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد لرفع المعنويات، وخطيب الجيش أبو سفيان بن حرب وهو يطوف على الصفوف يحث الجند على القتال.

إنه النظام المحكم قبل المعركة.

عدم النظام من عوامل الهزيمة

خالف بعض المسلمين النظام وأوامر النبي ﷺ وكان ذلك في غزوة أحد عندما كان الرسول ﷺ يعد أرض المعركة لقتال الكفار، وأمر النبي ﷺ مجموعة من الرماة بأن يظلوا فوق جبل أحد ويرموا الكفار بالنبال وألا يتركوا أماكنهم مهما كانت الأسباب حتى يأمرهم النبي ﷺ بالنزول، ماذا حدث؟ لم يلتزم بعض الرماة بالنظام وعصوا أمر الرسول ﷺ فنزلوا من فوق الجبل وتركوا أماكنهم لجمع ما تركه الكفار وهم يفرون من المعركة، واستغل خالد بن الوليد الفرصة -وكان يومها لا يزال مشركا- وهاجم المسلمين من الخلف، وخسر المسلمون وأصيب الرسول بسبب أن بعض المسلمين خالفوا النظام الذي وضعه الرسول ﷺ في المعركة.

نظام أبي بكر

انظر إلى سيرة أول الخلفاء الراشدين الصديق أبي بكر ؓ؛ عندما تولى الخلافة وجد أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية قد ارتدت أو قررت منع الزكاة بسبب أن الإيمان لم يستقر في قلوبهم، وكان أبو بكر مثالا في النظام قال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. وأرسل أبو بكر الجيوش لقتال المرتدين ومانعي الزكاة للمحافظة على نظام وأحكام الإسلام.

وكان عمر بن الخطاب ؓ عبقرية فذة في الإدارة والنظام، فقد استطاع أن يبني دولة إسلامية منظمة، ودون الدواوين.

ووضع التقويم الهجري ليكون للمسلمين تاريخهم الذي يحسبون به السنين بدءا من الهجرة.

لا تخف من الفشل، كثير من الناس يتجنب التخطيط ووضع الأهداف مخافة الفشل،

ولو حاولوا لنجحوا، بل إن من يحاول تزداد خبرته ولو لم ينجح، فالمعرفة والخبرة التي ستكتسبها في سعيك لتحقيق هدف ما يمكن أن تساعد على تحقيق هدف ربما أكبر من السابق.

الأسقف الأمريكي الذي أسلم بسبب النظام

كان مسئولاً عن إعداد برامج التوجيه الديني في ولاية نيوجرسي..

يقول: حين حضرت إلى مصر في شهر رمضان شاهدت المجتمع المصري منتظماً في أسلوب حياته القائم على أساس من الدين فالناس يذهبون إلى المسجد عند سماع الأذان، ويتطهرون بماء الوضوء ثم يقفون في صفوف منتظمة، وعند الإفطار تخلو الشوارع من المارة، وظننت في بداية الأمر أن هناك قانوناً يقضي بحظر التجوال بعد الغروب، ولكنني عرفت السبب بعد ذلك.

فالمجتمع إذن منظم على أساس الدين، يكفي أنه قد شد انتباهي الأمن والأمان السائدان في شوارع القاهرة، فالناس يسرون في أمان في حين أن عندنا في نيويورك مثلاً يوجد كل يوم ثمانية قتلى في الشوارع، مع أن الأمريكيين لا يسرون في الشوارع ليلاً خوفاً على حياتهم. إنه برغم اقتناعي الكامل بالإسلام كدين خاتم يجب أن يؤمن به الناس جميعاً، فإنني ترددت أربعة أشهر قبل أن أعلن إسلامي، لأنه من الصعب على الإنسان أن يغير دينه.

وفي نبذة سعادة خفية قال: وفي لحظة اعتناقي للإسلام شعرت أنني أدخل عالماً نورانياً يسمو بالروح والنفس وذلك حينما تسلمت شهادة إشهادي للإسلام، فقد شعرت بأنني حصلت على أعلى شهادة في الدنيا وأحسست في الوقت ذاته أنني أُلقي عن كاهلي عبئاً ثقيلاً من الهموم والقلق والشكوك والشقاء.. نعم شعرت بسعادة غامرة لم أشعر بها من قبل^(١).

انضباط في المواعيد

في عام ١٩٥٣م زار الأستاذ الهضيبي طهطا بسوهاج وكان في البرنامج زيارة المعهد الديني، وكان موعد حضور السيارة الساعة الثامنة صباحاً، وفي تمام الثامنة كان الأستاذ المرشد عند البوابة، فقال الإخوان: إن السيارة لم تأت يا أستاذ، فأجاب: هيا إلى المعهد، وسار

(١) صحيفة اللواء الإسلامي ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨، (الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ١/ ١٥٠).

على قدمه مع كبر سنه ليحضر في مواعده ^(١).

هكذا كانوا

أبو بكر بن الأنباري قال: كان أبو عبيد القاسم بن سلام يقسم الليل ثلاثاً: فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتاب ثلثه ^(٢).

وكان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام ^(٣).

خط رسول الله الخندق وجعل لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا، بل سلمان منا، فقال رسول الله: «سلمان منا أهل البيت» ^(٤).

آفات قاتلة للنظام

الغفلة:

يدين القرآن أولئك الذين يهتمون بظاهر العلم دون حقيقته فيقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿[الروم: ٦، ٧].

التسويق:

لأنك لا تضمن أن تعيش إلى غد.. دعا أحد الأمراء رجلاً إلى الطعام فاعتذر بأنه صائم فقال الأمير: أفطر وصم غداً، قال: وهل تضمن لي أن أعيش إلى الغد؟

تزود من التقوى فإنك لا تدري	إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة	وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً	وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

(١) مائة موقف من حياة المرشدين، ص ١١٣، ١١٤.

(٢) مرآة الزمان، اليافعي، ١/ ٢٤٥.

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، ٣/ ١٦٥.

(٤) المعجم الكبير، الطبراني، ٦/ ٢١٢.

إياك والعقوق!

اعلم أن لكل وقت واجباته. قيل لعمر بن عبد العزيز وقد بدا عليه الإرهاق من العمل: آخر هذا إلى الغد، فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين؟! واعلم أخي الحبيب أن العمل هو مهمة الإنسان الحي فالمرء الذي لا يعمل لا يستحق الحياة.

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان بنا هجانا

يقول الحسن البصري: أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه^(١)، وقال حكيم: من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاء أو فرض أداه أو مجد أثله (ورثه) أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عقى يومه وظلم نفسه^(٢).

فن الراحة

من تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول الجد، والقلوب تمل كما تمل الأبدان، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح كما قال علي: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمي.

ينبغي للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوباً بصفة عاجلة يجب أن يبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته.

وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من الناس من أصحاب المسؤوليات، لتزاحم الأعباء عليهم، حتى إنهم ليشعرون أن الواجبات أكثر من الأوقات.

ولا يحسن بالإنسان أن يرهق نفسه بالعمل إرهاقاً يضعف من قوته، ويحول دون استمرار مسيرته، ويحيف عن حق نفسه، وحق أهله، وحق مجتمعه، ولو كان هذا الإرهاق في

(١) الزهد، عبد الله بن المبارك، ص ٤.

(٢) آفات على الطريق، السيد نوح، ٣/ ٥٩.

عبادة الله تعالى صياما وقيامًا وتنسكا وزهدًا.

حوار مع لحظة

جلست يوما بين يدي الله تعالى نادما على أوقات قد سلفت من عمري واستدعيت لحظة من لحظات حياتي..

قلت لها: أريدك أن ترجعي إليّ حتى أستغلك بالخير.

قالت: إن الزمان لا يقف محايذا أبدا.

قلت: يا لحظة، أرجوك ارجعي إليّ حتى أنتفع بك، وأعوض تقصيري فيك.

قالت: وكيف أرجع وقد غطتني صفحات أعمالك.

قلت: افعلي المستحيل وارجعي، فكم من اللحظات قد ضيعتها بعدك؟

قالت: لو كان الأمر بيدي لرجعت، ولكن لا حياة لمن تنادي، وقد طويت صحائف أعمالك، ورفعت إلى الله تعالى.

قلت: وهل يستحيل رجوعك إليّ وأنت تخاطبينني؟

قالت: إن اللحظات في الحياة إما صديقة ودودة تشهد لصاحبها وإما عدوة لدودة تشهد عليه، وأنا من اللحظات التي هي من أعدائك والتي تشهد عليك يوم القيامة، فكيف يجتمع الأعداء؟

قلت: يا حسرتي على ما ضيعت من عمري من لحظات! ولكنني أرجوك ارجعي إليّ حتى أعمل فيك صالحا فيما تركت..

وسكتت اللحظة.

فقلت: يا لحظة، ألا تسمعينني؟ أجيبي أرجوك.

قالت: يا غافلا عن نفسه، يا مضيعا لأوقاته، ألا تعلم أنك الآن من أجل إرجاع لحظة قد ضيعت لحظات من عمرك، فهل عساك أن ترجعها كذلك، ولكن لا أقول إلا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فبادر يا... واعمل واجتهد واتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن^(١).

(١) الوقت عمار أو دمار، ج ٢.

كيف تنظم وقتك

- ١- ضع خطتك الأسبوعية في متناول يدك وأنت تعد قائمة أعمالك اليومية.
- ٢- ضع قائمتك في نفس الوقت من كل يوم.. اقض بضع دقائق بعد نهاية اليوم أو قبل ابتداء العمل في اليوم التالي في وضع القائمة.
- ٣- لا تضع أكثر من قائمة، قائمة واحدة فقط تكفي واجعل القائمة صغيرة يمكن الاحتفاظ بها في جيبك.
- ٤- الصيغة التي تكتب بها القائمة لا تهم كثيرا، المهم إعداد القائمة.
- ٥- يجب أن تحتوي القائمة على كل مهامك التي تريد إنجازها.
- ٦- قسم وقتك على مهامك اليوم حسب الأولوية.
- ٧- خصص لكل مهمة وقتا محددا لإنجازها.
- ٨- راجع مهامك اليومية مرة أخرى بإلغاء غير الضروري وتفويض ما يمكن تفويضه.
- ٩- لا تجدد كل دقيقة في وقتك، لابد أن تكون خطتك مرنة.
- ١٠- تعامل جيدا مع الأمور الطارئة.
- ١١- اترك وقتا في برنامجك اليومي للراحة والاسترخاء.
- ١٢- تذكر في النهاية، لا تفرط كثيرا في التنظيم، أنت تضع القائمة لتحافظ على وقتك لا لتضيعه.

نصائح لتنظيم مكان العمل

- ١- حافظ على تنظيم جيد للحجرة لا تضع على مكتبك إلا ما تقوم به الآن أو ما ستحتاجه خلال اليوم.
- ٢- حافظ على إضاءة جيدة فوق مكتبك.
- ٣- تأكد من ترتيب الكتب بشكل جيد في مكتبك.
- ٤- رتب أدواتك في أماكنها.
- ٥- رتب خزانةك جيدا.
- ٦- سلة المهملات مهمة جدا للتخلص من أي شيء ليس له أهمية ولن تحتاجه بعد ذلك.

نفع الآخرين

حث الإسلام على تقديم النفع للآخرين، وجعله قرينة لله عز وجل، وإرضاء له، وبلوغ أعلى المنازل في الجنة، بهذا أخبرنا الصادق المصدوق عليه السلام عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزيناً؟ فقال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلان عليّ حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، فقال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ - يقصد الاعتكاف - قال: لا، ولكنني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب - ودمعت عيناه - يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد ما بين الخافقين»^(١).

أحب الناس إلى الله

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى يقضيها له، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام»^(٢).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرض الله له ثواباً دون الجنة»^(٣).

(١) شعب الإيمان، البيهقي، ٤٢٤/٣.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ٤٥٣/١٢.

(٣) المعجم الصغير، الطبراني، ١٣٢/٢.

وقال ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١).

الرسول قدوة

عندما نزل الوحي على الرسول ﷺ وعاد إلى السيدة خديجة وقال لها: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل^(٢).

هل تحرص على صلة الرحم، ومساعدة الضعيف، والإحسان إلى الفقراء؟

الصديق يحلب للحلي:

كان أبو بكر رضي الله عنه يحلب للحلي أغنامهم، فلما استخلف - أي أصبح خليفة للمسلمين - قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها، فقال أبو بكر: بلى وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله^(٣)، وكانت عادة العرب أن يحلب الرجال الأغنام وغيرها، ويرون عيياً أن يحلب النساء.

هجرة أبي بكر

قالت عائشة - رضي الله عنها: خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى برك الغماد فلقه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج، ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص ٣٤١.

(٤) البخاري، كتاب: الكفالة، باب: جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، ح (٢١٧٥).

لفتات طبية

في يوم تلقى الأستاذ البنا برقية من أحد الإخوان يخبره فيها بأنه رزق بمولودة بعد عقم دام سنين، وأنه يرغب من الأستاذ في اختيار اسم لها، وقرأ الأستاذ البرقية على أعضاء مكتب الإرشاد فقال بعض الحاضرين: احنا فاضيين للكلام ده.

فما كان من الإمام إلا أن قال: هذا من صميم دعوتنا. ثم تناول ورقة وقلماً وحرر برقية نصها: الأخ فلان بارك الله لك في مريم وأنبثها نباتاً حسناً وأمر بإبلاغها على الفور^(١). هل تحرص على الوقوف مع إخوانك وقت الشدة والفرح؟ اجعل منصبك لنفع الناس جميعاً.

فكرة للأستاذ مصطفى أمين حول الأستاذ الهضيبي

عرفت الأستاذ حسن الهضيبي أول ما عرفته في عام ١٩٣٩ وكنت رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة، وأرسلت المفوضية الألمانية بالقاهرة خطاباً إلى وزير الخارجية تحتج عليّ لأنني كتبت مقالا قلت فيه: إن هتلر ديكتاتور، وإن هذه إهانة للفوهرر، وقانون العقوبات المصري يمنع مهاجمة رؤساء الدول الأجنبية، وطلب الوزير الألماني تقديمي إلى محكمة الجنايات، واتصل وزير الخارجية بوزير العدل، واتصل وزير العدل بالنائب العام، وقرر النائب العام تكليف رئيس النيابة الأستاذ الهضيبي بمقابلتي، واستقبلني رئيس النيابة مقابلة ودية لم أعود أن ألقاها من رؤساء النيابة الذين يحققون معي في قضايا الصحف.

وبدأ حديثه وسألني عن أي نوع من القهوة أود أن أشرب، وطلبت «قهوة مضبوط» فطلب لي رئيس النيابة القهوة، ثم طلب واحد ليمون وبعد ذلك قال لي: أنت متهم بأنك أهنت الهر أدولف هتلر رئيس دولة ألمانيا، قالها بهدوء، وبنفس النبرة التي طلب بها واحد قهوة وواحد ليمون، وكأنه يقول: أهلا وسهلا وحشتنا وآستنا، قلت له: أنا لم أهن هتلر، أنا قلت عنه الحقيقة.

قال الهضيبي: أنت قلت إنه ديكتاتور وطاغية وأنه قضى على حقوق الإنسان في ألمانيا؟

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة، ص ٣٥٠، ٣٥١.

وسألت رئيس النيابة: وهل هو ديكتاتور أم لا؟ قال ضاحكاً: المفروض أنني أنا الذي أسألك لا أنت تسألني!

قلت: المفروض أن يقول وزير ألمانيا المفوض أنني نسبت إلى هتلر أنه قضى على حرية الصحافة بينما أن الصحافة حرة في ألمانيا، وأنه ملأ بلاده بالمعتقلات، وأنشأ المحاكم الاستثنائية بينما الحقيقة أنه لا معتقلات هناك ولا محاكم استثنائية.

قال الأستاذ الهضيبي: اطمئن إنني لن أقدمك لمحكمة الجنايات لأنني أعتقد معك أنه ديكتاتور، وذمتي لا تقبل أن أقدم بريئاً إلى المحاكمة، وكل المطلوب منك أن تقول في التحقيق أنك لا تقصد إهانة هتلر.

وأمر الأستاذ حسن الهضيبي بفتح المحضر، وسألني هذا السؤال وأملى على كاتب التحقيق الإجابة، وأمرني بالانصراف ولم يطلب مني أن أدفع كفالة كما طلب النائب العام.

ولاحظت وأنا أتحدث إلى الهضيبي أنه رجل قليل الكلام، نتوهم أنه صارم بينما هو رجل رقيق، هادئ، فيه طيبة ممتزجة بالذكاء الحاد، قوي الملاحظة، ثم عرفته بعد ذلك في سجن لبيان طره، حيث كانت زنراته بجوار زنزانتني.

جذبني صموده وقوة احتماله، يقابل البطش بابتسامة سخرية، ويرد على الظلم بالإيمان، يناقشك بهدوء، لا يغضب، ولا يحتد ولا يشكو، حرموه عدة شهور من أن يتلقي أي خطاب من زوجته وبناته، وكان أولاده مسجونين في سجن آخر، وكلفت إحدى تلميذاتي أن تتصل بابنته المدرسة بكلية طب القصر العيني لتقول لها: إن والدها بخير، وهذه هي الرسالة الوحيدة التي رضي أن أحملها لأسرته^(١).

من المواقف المؤثرة

كان ذلك عام ١٩٤٥ قبل عيد الفطر بأسابيع، إذ تقدم أخ فقال لإخوانه: أيكم يحتاج إلى أي شيء بمناسبة العيد؟

(١) حكايات عن الإخوان، ١٧/٢ - ١٩.

فقال له الأخ: أنا أحتاج إلى بدلة وأريد أن ترشدني إلى ترزي يفصل لي بدلة بالتقسيط.
فقال له الأخ: غدا أرشدك، ثم ذهب الأخ المسئول إلى ترزي له صلة بالإخوان وقال له:
إن الأخ سوف يأتيك كي تقوم بتفصيل بدلة له، فلا تأخذ منه أي شيء، وسوف أقوم أنا
بتسديد قيمة البدلة لك، ولبس الأخ البدلة في العيد.

وسأله الإخوان من أين اشتريت القماش ومن الذي قام بالتفصيل، فيقول: من عند
الترزي فلان، فيذهب الإخوان لهذا الترزي ويطلبون مثل ما طلب الأخ، ولكنهم يكتشفون
أن هذا الترزي لا يفصل بالتقسيط، وأن الأخ المسئول قام بدفع القيمة كاملة ثم أخذ من الأخ
المبلغ على دفعات دون أن يعرف حقيقة الأمر، وكانت هذه القصة دليلاً صارخاً على أسـمى
معاني الحب والإيثـار^(١).

فهل تحرص على إيثـار إخوانك بمالك؟

كريم رغم الفقر

كان العز بن عبد السلام رغم فقره كريماً كثير الصدقات، فيحكى أنه لما كان بدمشق،
وحدثت ضائقة، وعانى الناس من قلة المال، وانخفضت أسعار البساتين فأعطته زوجته
مصاعها، وقالت: اشتر لنا بـثمنه بستاناً نصيف فيه، فأخذ المصاغ وباعه وتصدق بـثمنه، فسألته
زوجه: هل اشتريت لنا بستاناً؟

قال: نعم، بستاناً في الجنة، إني وجدت الناس في شدة فتصدقت بـثمنه.

فـقالت: جزاك الله خيراً^(٢).

مساعدة عاجلة

يقول أحد تلامذة الشيخ أحمد ياسين (د. عبد الله محمد):

كنت أزوره في بيته يوماً مع بعض الزملاء، وقد كان مجلسه ممتلئاً بالضيوف كالعادة،
يطرقون بابه باستمرار لزيارته أو استشارته في أمورهم الخاصة والعامة أو الفصل بينهم فيما

(١) حكايات عن الإخوان، ٢٤/١، بتصرف.

(٢) أعلام المسلمين، ص ١٢١.

اختلفوا فيه من مسائل، واستمرت الجلسة إلى ساعة متأخرة من الليل، وقد بدا على الشيخ التعب والإرهاق، فهو يستقبل الناس من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد منتصف الليل أحياناً، وإذا بالباب يطرق بشدة ويدخل بعض الأشخاص يستنجدون بالشيخ أن يساعدهم لأن قريباً لهم في حاجة إلى عملية جراحية عاجلة، وليس لهم إلا الشيخ ليتوسط لدى الطبيب المختص الموجود في مدينة خان يونس، ويستأذن الشيخ من الحضور ويذهب معهم ليطمئنهم ويواسيهم، وكان بإمكانه أن يرسل معهم ورقة توصية للطبيب أو أن يدعو لهم ويتركهم يذهبون وحدهم، وهو المريض الذي يحمله أصحابه للركوب في السيارة أو النزول منها.

الخاتمة ويوم القيامة

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»^(١).
وكان أئمة السلف يخافون من مكر الله تعالى بهم، ويسألونه حسن الخاتمة، ويستعيذونه من سوء الخاتمة.

قال الحافظ ابن رجب: وكان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق.

وقال سفيان الثوري لبعض الصالحين: هل أبكاك قط علم الله فيك؟

فقال الرجل: تركني لا أفرح أبداً..!!

وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان.

وكان مالك بن دينار يظل طول ليله قابضاً على لحيته ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين دار مالك^(٢).

وقال ابن القيم: أما خوف أوليائه من مكره فحق، فإنهم يخافون أن يخذلهم بذنوبهم وخطاياهم فيصيروا إلى الشقاء، فخوفهم من ذنوبهم ورجاؤهم لرحمته. وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] إنما هو في حق الفجار والكفار، ومعنى الآية: فلا يعص ويأمن مقابلة الله له على مكر السيئات بمكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال، فيحصل منهم نوع الاغترار، فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم العذاب على غرة^(٣).

(١) البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ح (٣٩٦٦)، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص ٥٧.

(٣) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص ٢١٤.

فهذه رسالة مختصرة في حسن وسوء الخاتمة، ليعمل كل منا لآخرته، ونسأل الله أن يحسن خاتمتنا.

وفاة الرسول:

الرسول ﷺ في اللحظة الأخيرة يقول: «بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى»^(١)، عندما خيره ملك الموت بين الدنيا وبين لقاء الله.

وفاة أبي بكر الصديق:

أبو بكر الصديق ؓ عندما جاءه الموت بكّت السيدة عائشة وأخذت تقول الشعر، فقال لها: ما هكذا يا بنتي، بل اقربي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩]. يعني يقدم النصيحة وقت موته.

وفاة عمر بن الخطاب:

عمر بن الخطاب ؓ قال: ضعوا خدي على التراب لعل رب عمر يرحم عمر، ويدخل شاب يجر جر ملابسه، وكان النبي ﷺ نهى عن ذلك.. فنصحه عمر: يا بني ارفع ثوبك فإنه أتقى لربك وأطهر لثوبك^(٢).

وفاة عثمان بن عفان:

رأى عثمان بن عفان ؓ رؤيا قال له الرسول ﷺ: «أتحب أن تفطر عندنا الليلة»، فقال: نعم يا رسول الله، فأصبح صائماً ويموت وهو يقرأ القرآن.

وفاة علي بن أبي طالب:

استشهد علي بن أبي طالب ؓ في صلاة الفجر وقال عن قاتله: أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت^(٣).

(١) أحمد، من حديث عائشة رضي الله عنها، ح(٢٦٣٨٩)، تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) السنن الكبرى، البيهقي، ٥٦/٨.

وفاة معاوية بن أبي سفيان:

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يبكي ويقول: أتذكر الله الآن يا معاوية، اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي^(١).

وفاة معاذ بن جبل:

لما حضرت معاذ بن جبل رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً لهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء عند حلق الذكر. ولما اشتد به المنزع قال: اللهم إنك تعلم أن قلبي يحبك^(٢).

وفاة بلال بن رباح:

لما حضرت بلال الوفاة: قالت امرأته: واحزنانه. فقال: بل واطرباه! غداً ألقى الأحبة؛ محمداً وصحبه^(٣).

وفاة الأصيرم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟

فيقول: أصيرم بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش. قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟

قال: كان يأبى الإسلام على قومه. فلما كان يوم خرج رسول الله إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراح. وقال: فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؛ فقالوا: ما

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤/ ٤٨٠.

(٢) السابق، ٤/ ٤٨١.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ٢/ ٢٣.

جاء بك يا عمرو؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي، فغدوت مع رسول الله، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله، فقال: «إنه لمن أهل الجنة»^(١).
الله أكبر، ما جاء بك يا أصيرم؟ جاء بي أني أعلنت الحق وصرت جندياً من جنوده، فجئت للموت في سبيله، فاستحق ﷺ هذا الوسام من سيد الأولين والآخرين: «إنه لمن أهل الجنة».

وفاة سعد بن أبي وقاص:

سعد بن أبي وقاص ﷺ عمّر طويلاً وأفاء الله عليه من المال الشيء الكثير، لكنه حين أدركته الوفاة دعا بجبة من صوف بالية وقال: كفنوني بها، فإني لقيت بها المشركين يوم بدر، وإني أريد أن ألقى بها الله عز وجل أيضاً.

وفاة عروة بن الزبير:

عاش عروة بن الزبير واحداً وسبعين عاماً مترعة بالخير، حافلة بالبر، مكلمة بالتقى، فلما جاءه الأجل المحتوم أدركه وهو صائم، ولقد ألح عليه أهله أن يفطر فأبى، لأنه كان يرجو أن يكون فطره على شربة من نهر الكوثر في قوارير من فضة بأيدي الحور العين.

وفاة أبي هريرة:

لما مرض أبو هريرة ﷺ مرض الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكنني أبكي لبعد السفر وقلة الزاد، لقد وقفت في نهاية طريق يفضي بي إلى الجنة أو النار، ولا أدري في أيهما أكون.
وقد عادته مروان بن الحكم، فقال له: شفاك الله يا أبا هريرة.
فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي، وعجل لي فيه. فما كاد يغادر مروان حتى فارق الحياة^(٢).

(١) أحمد، مسند أبي هريرة ﷺ، ح (٢٣٦٨٤)، تعليق شعيب الأرناؤوط: حسن.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٦٩٤.

وفاة عبد الملك بن مروان:

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق فقال عبد الملك: ليتني كنت غسالا أكل من كسب يدي يوماً بيوم، ولم أل من أمر الدنيا شيئاً، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه.

وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه: كيف تجددك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]^(١)

وفاة عمر بن عبد العزيز:

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً!

فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ألا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقتها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعناه، وفاضت عيناه.

ولما قرب موته، قال: أجلسوني! فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت.. ثلاث مرات^(٢)

وفاة هارون الرشيد:

حكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند موته، وكان ينظر إليها ويقول: ما أغنى عني ماله، هلك عني سلطانيه^(٣)

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤/ ٤٨٠.

(٢) السابق، ٤/ ٤٨١.

(٣) السابق.

وفاة المأمون:

قال المأمون عندما حضرته المنية: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه^(١)

وفاة ابن المنكدر:

لما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى، فقليل له: ما يبكيك؟

فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أي أتيته، ولكني أخاف أي أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم^(٢)

وفاة عامر بن عبد القيس:

لما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى، فقليل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكني أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء^(٣)

وفاة الجنيد:

قيل للجنيد: قل لا إله إلا الله.

قال: ما نسيته فأذكره^(٤)

قال الجريري واصفاً وفاة الإمام الجنيد: كنت واقفاً على رأس «الجنيد» في وقت وفاته وهو يقرأ القرآن فقلت له: ارفق بنفسك.

فقال لي: يا أبا محمد، أرأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، وها أنا ذا تطوى صحيفتي وكان قد ختم القرآن الكريم ثم بدأ بالبقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله^(٥)

وفاة أحد التابعين:

أحد التابعين وهو يموت قال: وضئوني ثم نسوا خلخلة الماء في لحيته، وهي سنة، فقال:

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤ / ٤٨١.

(٢) السابق.

(٣) السابق، ٤ / ٤٨٢.

(٤) السابق.

(٥) شعب الإيثار، البيهقي، ٣ / ١٧٢.

انتظروا واثثوني بالماء، وخلل الماء في لحيته ليحافظ على سنة النبي ﷺ.

وقيل لبعض الصالحين عند موته: ما يبكيك؟

قال: إنما يتقبل الله من المتقين^(١).

وفاة أثناء السجود

توفي أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد الفقيه وهو ساجد في صلاة الفجر في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

احرص على كثرة السجود لعل الله يكرمك فتموت بعدها أو خلالها

وفاة أثناء الصيام

قال أبو إسحاق النيسابوري لابنه إسحاق حين وفاته: يا إسحاق، ارفع الستر. قال: يا أبت الستر مرفوع. قال: أنا عطشان، فجاءه بياء. قال: غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فردوه ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت روحه^(٢).

احرص على صيام النوافل

أحسن باقتراب أجله

روي أن أحد الصالحين حين أحس بدنو أجله قام فاغتسل وتطيب وصلى ركعتين، وما هي إلا برهة حتى دخلوا عليه فوجدوه قد مات مستقبل القبلة، وعند رأسه ورقة كتب فيها هذه الأبيات:

قل لإخوان رأوني ميتاً	فكـوني ورثـوني حزناً
أتظنون بأنـي ميتكم؟	ليس هذا الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي	كان ثوبي وقميصي زمناً
أنا عصفور وهذا قفصي	طرت عنه وبقى مرثناً
أحمد الله الذي خلصني	وبنى لي في المعالي سكناً
لا تظنوا الموت موتاً	إنه ليس إلا نقلة من هاهنا!

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤/ ٤٨٢.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٦/ ٢٠٤.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد^(١)
رحم الله من كانت خاتمة في الصلاة في المسجد.

وفاة محمد بن واسع:

لما مرض محمد بن واسع الأزدي مرض الموت، تكاثر الناس على عيادته حتى غص منزله بالداخلين عليه والخارجين، والقائمين في منزله والقاعدين، فمال بشقه على أحد خواصه وقال: أخبرني ما يغني عني هؤلاء إذا أخذنا غداً بالنواصي والأقدام؟ وما ينفعوني إذا ألقيت في النار؟

ثم أقبل على ربه وجعل يقول: اللهم إني أستغفرك من كل مقام سوء قمته، ومن كل مقعد سوء قعدته، ومن كل مدخل سوء دخلته، ومن كل مخرج سوء خرجته، ومن كل عمل سوء عملته، ومن كل قول سوء قلته، اللهم إني أستغفرك من ذلك كله، فاغفره لي وأتوب لك منه، فتُبَّ عليّ، وألقى إليك السلام قبل أن يكون لزاماً، ثم فاضت روحه^(٢)

خاتمة الصالحين:

أبو شامة صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، توضاً ثم تشهد وهو جالس، وقال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، لقنني الله حجتي وأقال عثرتي ورحم غربتي. ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرت الملائكة، ثم انقلب ميتاً^(٣)

وهذا الربيع بن زياد يتولى أمر خراسان بأمر معاوية بن أبي سفيان، وهو غير منشرح الصدر، وبعد إحدى المعارك يرسل إليه زياد بن أبيه أحد ولاة بني أمية كتاباً يقول: إن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان يأمرك أن تستبقي الأصفر والأبيض من غنائم الحرب لبيت مال المسلمين، وتقسم ما سوى ذلك بين المجاهدين.

فكتب إليه يقول: إني وجدت كتاب الله عز وجل يأمر بغير ما أمرتني به على لسان أمير المؤمنين، ثم نادى في الناس: أن اغدوا على غنائمكم فخذوها، ثم أرسل الخمس إلى دار

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٤٨/٧.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ١٧٣/٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٨٩/٢٢.

الخلافة في «دمشق».

ولما كان يوم الجمعة الذي تلا وصول هذا الكتاب، خرج الربيع بن زياد إلى الصلاة في ثياب بيض، وخطب الناس خطبة الجمعة، ثم قال: أيها الناس إني قد مللت الحياة، وإني داع بدعوة، فأمنوا على دعائي، ثم قال: اللهم إن كنت تريد بي خيرًا فاقبضني إليك عاجلاً غير آجل، فأمن الناس على دعائه، فلم تغب شمس ذلك اليوم حتى لحق الربيع ابن زياد بجوار ربه^(١).

وها هو الشيخ أحمد ياسين استشهد بعد أداء صلاة الفجر في المسجد جماعة بالرغم من مرضه الشديد والشلل الكامل، وهكذا رزقه الله حسن الخاتمة.

وفي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة خرج السلطان مظفر الحلیم الكجراتي على مصلى العيد للاستسقاء وتصدق، وتفقد ذوي الحاجة على طبقاتهم، وسألهم الدعاء، ثم تقدم للصلاة، وكان آخر ما دعا به: اللهم إني عبدك ولا أملك لنفسي شيئاً، فإن تكن ذنوبي حبست القطر عن خلقك فهذه ناصيتي بيدك! فأغثنا يا أرحم الراحمين، قال هذا ووضع جبهته على الأرض واستمر ساجداً يكرر قوله: يا أرحم الراحمين، فما رفع رأسه إلا وهاجت ريح، ونشأت بحرية ببرق ورعد ومطر، ثم سجد لله شكراً، ورجع من صلاته بدعاء الخلق له وهو يتصدق بالمال يميناً وشمالاً.

وكان رحمه الله يقول: نظرت فيما أوتر به أولى الاستحقاق من الإنفاق، فإذا أنا بين إفراط في صرف بيت المال وتفريط في منع أهله، فلم أدر إذا سئلت عنهما بم أجيب.

وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قال: أما صلاة الظهر فأصليها عندكم، وأما صلاة العصر فعند ربي في الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أذن للحاضرين في صلاة الجمعة واستدعى مصلاه وصلى، ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليه وقلب منيب إليه، دعاء من هو مفارق القصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

بِالصَّالِحِينَ ﴿يوسف: ١٠١﴾، وقام من مصلاه وهو يقول: أستودعك الله، واضطجع على سريرته وهو مجتمع الحواس ووجهه يلتفت إلى القبلة وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له، وفي ذلك عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد^(١).

سوء الخاتمة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله رجل لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقليل: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان! فقال الرسول: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه.. قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل على نفسه، فقتل نفسه، فخرج الرجل رفيقه إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال الرسول: «ما ذاك» قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه^(٢).

وقد ارتد عن الإسلام في زمن النبي ﷺ بعض من آمن، ومنهم عبيد الله بن جحش، الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة مع أوائل من هاجروا، فارتد عن دينه، وتنصر ومات على نصرانيته.

وربيعة بن أمية بن خلف وكان من عداد الصحابة، ثم شرب الخمر فحده عمر ثم نفاه إلى خيبر، ففر هارباً إلى هرقل، وارتد عن دينه ودخل في النصرانية.

وفاة مرتد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه،

(١) من يظلمهم الله، ٢٢٦/١.

(٢) سبق تخريجه.

فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه^(١).

خاتمة عبيد الله بن جحش

تقول أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة، إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية.

فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأت له، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات، فأري في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت فأولتها أن رسول الله يتزوجني^(٢).

وفاة العصاة

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقي الشهادة لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: أنا كافر بما تقول ثم مات على ذلك. قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر. قيل لآخر: قل لا إله إلا الله فجعل يغني.

ومن سنوات جرت حادثة في القصيم بالسعودية، وحاصلها أن رجلاً في حال احتضاره ظهر عليه من الاعتراض على ربه ما ظهر، فجاء بعض أصحابه ممن كان يصلي معهم في المسجد والله أعلم بما في القلوب، وقال: يا عبد الله، هذا المصحف الذي كنت تقرأ فيه، فاتق الله في نفسك، ولقنه كلمة التوحيد، فقال: أنا كافر بالمصحف وبلا إله إلا الله، وختم له على ذلك الحال.

وفاة الزناة

يقول راوي القصة: صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلباً للرزق شاب

(١) البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٤٢١).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٩٧/٨.

صالح، نقي السريرة، طيب الخلق، كنا نرى التقوى في قسما ت وجهه، والنور والبشر يرتسمان على محياه، لا تراه إلا متوضئاً مصلئاً، أو ناصحاً مرشدأ، وإن حانت الصلاة أذن لنا وصلى بنا، فإن تخلف أحد عنها أو تأخر عاتبه وأرشدته.

وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند فنزلنا إليها، وكان مما تعود عليه البحارة أن يستقروا أياماً يرتاحون فيه، ويستجمون بعد عناء السفر الطويل، يتجولون في أسواق المدينة ليشترؤا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم ثم يرجعون إلى السفينة في الليل، وكان منهم نفر ممن وقع في الضلال، يتيم بأماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبداً، بل يقضي هذه الأيام يصلح في السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح، فيقتل الحبال ويلفها، ويقدم الأخشاب ويشدها ويشغل بالذكر والقرآن والصلاة وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته.

وفي إحدى السفرات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له في السفينة ممن اتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول: صاحبي، لم أنت جالس في السفينة لا تفارقها؟ لم لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك؟ ترى ما يشرح خاطر ويؤنس النفس! أنا لم أقل لك تعال إلى أماكن البغاء وسخط الله، ولا إلى البارات وغضب الله، هيهات يا صاحبي، لكن تعال؛ فانظر إلى مُلاعب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطوم له سلماً ثم يصعد برجليه ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة، وآه لو رأيت من يمشي على المسامير أنى له الصبر، ومن يلقم الجمر كأنها هو تمر، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسبغ الماء الفرات، يا أخي انزل وانظر الناس!

فتحركت نفس الشاب شوقاً لما سمع، فقال: وهل في هذه الدنيا ما تقول.

قال صاحب السوء: نعم، وفي هذه الجزيرة، فانزل تر ما يسرك، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه، وتجولا في أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة، فأنتهى بهما الطريق إلى بيت صغير فدخل الرجل البيت وطلب من الشاب أن ينتظره وقال: سأتيك بعد قليل ولكن! إياك إياك أن تقترب من الدار. جلس الشاب بعيداً عن الباب يقطع الوقت

قراءة وذكرًا، وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية ليفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة، أواه إنه الباب نفسه الذي دخل فيه الرجل.

تحركت نفس الرجل فدنا من الباب ويصيح سمعه لما يدور في البيت، إذا به يسمع صيح أخرى، فنظر من شق الباب ويتبع النظر أختها لتواصل النظرات منه وتتوالى، وهو يرى شيئاً لم يألفه ولم يره من قبل، ثم رجع إلى مكانه ولما خرج صاحبه بادره الشاب مستنكراً: ما هذا؟! ويحك، هذا أمر يغضب الله ولا يرضيه.

فقال الرجل: اسكت يا أعمى يا مغفل، هذا أمر لا يعينك.

ورجعا إلى السفينة في ساعة متأخرة من الليل، وبقي الشاب ساهراً ليلته تلك، مشتغل الفكر فيما رآه، قد استحكم سهم الشيطان من قلبه، وامتلكت النظرة زمام فؤاده، فما إن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة، وما في باله إلا أن ينظر فقط، ولا شيء غير أن ينظر، وذهب إلى ذلك المكان، فما أن نظر نظرتة الأولى وأتبعها الثانية، حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك، واليوم الذي بعده كذلك، فافتقده ريان السفينة وسأله عنه: أين المؤذن؟ أين إمامنا في الصلاة؟ أين ذلك الشاب الصالح، فلم يجبه من البحارة أحد، فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه فوصل إلى علم الریان ممن ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له: ألا تتقي الله؟ ألا تخشى عقابه؟ عجل اذهب فأحضره، فذهب إليه مرة دون مرة ولكن دون جدوى، فلم يستطع إحضاره لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة رجال أن يحضروه قسراً، فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة.

وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد ومضى البحارة إلى أعمالهم، وأخذ ذلك الشاب في زاوية من السفينة يبكي ويئن حتى لتكاد نياط قلبه أن تنقطع من شدة البكاء، ويقدمون له الطعام فلا يأكل، وبقي على حاله البائسة هذه بضعة أيام، وفي ليلة من الليالي ازداد بكاءه ونحيبه، ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام، فجاءه ريان السفينة وقال له: يا هذا اتق الله، ماذا أصابك؟ لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام، ويحك ما الذي بدل حالك؟ وملك ما الذي دهاك؟

فرد عليه الشاب وهو يتحسر: دعني فإنك لا تدري ما الذي أصابني؟

فقال الريان: وما الذي أصابك؟ عند ذلك كشف الشاب عن عورته، وإذا الدود يتساقط من سواته، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى وقال: أعوذ بالله من هذا، وقام عنه الربان، وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات وهو ممسك خشب السفينة بأسنانه، استرجع القوم وسألوا الله حسن الخاتمة، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر.

وفاة أليمة

شاب كان يلهو مع أصدقائه فاکتشفوا أنهم نسوا الخمر، فقال لهم: أنا ذاهب لأحضرها، وتأخر كثيرًا، فذهب آخر فوجد الشاب في سكرات الموت بعد أن اصطدم بسيارته في حادث.

ورجل على طائرة جاءت سكرات الموت، والراكب بجواره يقول له: قل لا إله إلا الله. فيرد عليه: هات الشنطة.

فيقول له: قل لا إله إلا الله فيكرر عليه نفس الرد، حتى صرخ فيه بعنف وقال له: قل لا إله إلا الله أنت تموت. قال: البتة دي مش عارف أقولها.

وفاة مدخن

قال محمد بن البرزنجي المدني الشافعي: رأيت من يشرب الدخان يقولون أمامه عند النزاع أي عند الموت وخروج الروح: لا إله إلا الله.

فيقول: هذا تن حار!! والتتن: هو الدخان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أحسن ختامنا وتوفنا مسلمين^(١).

وعن محمد الفلاني المغربي: أن رجلاً في المدينة المنورة أخبره أن أخاه احتضر، فجعل يلقنه الشهادة، فقال له: يا أخي إن الملك أمسك بلسانك ويقول: لا أدعك تنطق بالشهادة، لأنك كنت تؤذيني بالتتن (السجائر).

(١) السجارة مقبرة المدخنين، ص ٣٤.

فاعمل أخي المدخن ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين^(١).

وفاة المفسدين

في سنة ٥٥٠ هـ كان أحمد بن الحريري يعذب الناس بين يديه، يعلق الرجال بأرجلهم والنساء بأثدائهن، ويومئ إلى الجلاد: الرأس والوجه.

فهذه هي أعماله السيئة، فقد كان في سباق إلى الشيطان، الذي يخطط له ويزين له أعماله، فينفذ هذا الظالم تلك المخططات ويحسب أنه يحسن صنعاً، حتى توفي وفاة سيئة، وخسف الله بقبوره.

ودخل أحمد الحريري الحمام فدخل عليه ثلاثة فضربوه بالسيف حتى قطعوه، فحمل إلى بغداد ودفن بها، فأصبح وقد خسف بقبوره^(٢).

أي موة هذه؟

في الكويت كان شاب همه الكأس والغانية، ثم تطور حاله إلى الحشيش والمخدرات، فجاء اليوم الذي ودع فيه الحياة، فشرّب في ذلك اليوم شرباً كثيراً حتى سكر، فلم يكذب يميز بين سماء أو أرض، وزاد في شربه حتى تناول المخدر، وأخذ يلتهم منه حتى تقيأ ما في بطنه كله، ومات بعد ذلك. فأأي موة هذه؟!^(٣)

وجهه أسود

شخصية كويتية دائمة السفر إلى بلاد جنوب آسيا كل صيف، وبالأخص إلى دولة «تايلاند» وقد كان متزوجاً ولديه أطفال، وعمره لم يناهز الثلاثين عاماً.. إلا أنه ما زال على عادته القديمة، لا يفكر إلا في شهوته وملذاته، سواء أكانت في الحلال أم في الحرام.. لقد سافر من دولة الكويت ووجهه أبيض من بياض البيض، وكله شباب وقوة، وفي إحدى الليالي الساهرة هناك تعرف على راقصة عاهرة فرافقها إلى إحدى الشقق وكان بانتظاره «ملك الموت»، فما إن قرب منها وجاءت اللحظة الحاسمة. نادى المنادي: الرحيل.. الرحيل..

(١) السجارة مقبرة المدخنين، ص ٣٥.

(٢) شذرات الذهب، ابن العماد، ١٥٥/٥.

(٣) الوقت عمار أو دمار، ٩٠/٢.

فقبضه ملك الموت ورجع إلى بلده محملاً بالتأبوت، وفتح التأبوت وإذا بالمفاجأة الكبرى.. وهي أن وجهه أصبح لونه أسود من سواد القار^(١).

وفاة تارك الصلاة

قال أحد الفضلاء: كنا في رحلة دعوية إلى الأردن، وفي ذات يوم وقد صلينا الجمعة في أحد مساجد مدينة الزرقاء، وكان معنا بعض طلبة العلم، وعالم من الكويت، وبينما نحن جلوس في المسجد وقد انصرف الناس، إذا بقوم يدخلون باب المسجد بشكل غير طبيعي، وهم يصيحون: أين الشيخ؟! أين الشيخ!!!

وجاءوا إلى الشيخ الكويتي، فقالوا له: يا شيخ، عندنا شاب توفي صباح هذا اليوم عن طريق حادث مروري، وإننا عندما حفرنا قبره ووضعناه فيه إذا بنا نفاجأ بوجود ثعبان عظيم في القبر. ونحن الآن لم نضع الشاب وما ندري كيف نتصرف؟

يقول الراوي: فقام الشيخ وقمنا معه، وذهبنا إلى المقبرة، ونظرنا في القبر فوجدنا فيه ثعباناً عظيماً قد التوى رأسه من الداخل وذنبه من الخارج، عينه بارزة يطالع الناس.

يقول الراوي: فقال الشيخ: دعوه، واحفروا له مكاناً آخر، يقول: فذهبنا إلى مكان آخر بعد القبر الأول ببائتي متر تقريباً، فحفرناه، وبينما نحن في نهايته إذا بالثعبان يخرج، فقال الشيخ: انظروا القبر الأول، فذهبنا إلى الأول فإذا بالثعبان قد اخترق الأرض وخرج من القبر الأول مرة أخرى.

قال الشيخ: لو حفرنا ثالثاً ورابعاً، سيخرج الثعبان، فما لنا حيلة إلا أن نحاول إخراجه. فجننا بأسياخ وعصى فانحمل معنا، وخرج من القبر، وجلس على شفيره، والناس كلهم ينظرون إليه، وأصاب الناس ذعر وخوف، حتى إن بعضهم حصل له إغماء، فحملته سيارة الإسعاف.

وحضر رجال الأمن ومنعوا الاتصال بالقبر إلا عن طريق العلماء وذوي الميت. يقول الراوي: وبينما جيء بالجنازة، وأدخلت القبر إذا بذلك الثعبان يتحرك حركة

عظيمة ثار على أثرها الغبار، ثم دخل من أسفل القبر، فهرب الذين داخل القبر من شدة الخوف، والتوى الثعبان على ذلك الميت، بدأ من رجله حتى وصل إلى رأسه، ثم اشتد عليه فحطمه، يقول الراوي: إنا كنا نسمع تحطيم عظامه كما تحطم حزمة الكراث.

ثم لما هدأت العبرة وسكن الأمر جئنا للنظر في القبر، وإذا الحال كما هي عليه من تلوي ذلك الثعبان على الميت، وما استطعنا أن نفعل شيئاً، وقال الشيخ: اردموه، فدفناه، ثم ذهبنا إلى والده فسألناه عن حال ابنه الشاب؟ فقال: إنه كان طيباً مطيعاً إلا أنه كان لا يصلي!! نعوذ بالله تعالى من سوء الخاتمة.

وفاة اثناء سماع الأغاني

قال الراوي: حدثني أحدهم قال: كنت مسافراً في دراسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كان شأني شأن كثير من الشباب الذين يقضون الليل في الملهى والرقص، وذات يوم كنا آيين من لهونا وعشنا، وتقدم بعضنا إلى الإسكان، أما واحد منا فقد استبطأناه وقلنا: لعله يأتي بعد سويعة، ولم نزل ننتظره لكنه لم يأت، فنزلنا نبحث عنه يميناً وشمالاً، ثم قلنا أخيراً: لا بد أنه في الموقف الذي يجعل للسيارة تحت البناء، فدخلنا الموقف فوجدنا أن محرك السيارة ما زال مشغلاً وصاحبنا ساكن لا يتحرك، والموسيقى لا تزال ترن منذ آخر الليل حتى اللحظة التي فتحنا فيها باب السيارة، فتحنا الباب، ونادينا: يا أخانا، يا صاحبنا، فإذا به قد انقطع عن الدنيا منذ اللحظة التي وقفت فيها سيارته في ذلك الموقف، وكانت هذه النهاية المحزنة لذلك الشاب قد أشعلت في قلوب الكثير من أولئك الشباب يقظة وتوبة وإنابة إلى الله تعالى، فعادوا إلى الله تائبين وما شربوا بعدها وما فجروا، بل استكانوا وأتابوا بفضل الله ثم بتدبرهم لحال صاحبهم الذي مات على معصية الله، وكانت نهايته موعظة لمن يريد الاتعاظ.

وفاة في سجدة باطلة

وها هو شاب من أولئك المنحرفين الذين كانوا يسافرون إلى «بانكوك» للفسق والدعارة، بينما كان في سكره وغيه ينتظر خليلته، وقد تأخرت عليه فما هي إلا لحظات حتى أقبلت عليه، فلما رآها خر ساجداً لها تعظيماً، ولم ينهض من تلك السجدة الباطلة إلا وهو محمول على الأكتاف قد فارق الحياة، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة.

وفاة في المرقص

وها هم أربعة من الشباب، كانوا يعملون في دائرة واحدة، مضت عليهم سنين وهم يجمعون رواتبهم، فإذا سمعوا ببلد يفعل الفجور طاروا إليه، وبينما هو في ذات يوم جالسين إذ سمعوا ببلاد لم يذهبوا إليها، وعقدوا العزم أن يجمعوا رواتبهم هذه المرة ليسافروا إلى تلك البلاد التي حددوها، وجاء وقت الرحلة وركبوا طائرهم ومضوا إلى ما يريدون، ومر عليهم أكثر من أسبوع في تلك البلاد وهم بين زنا وخمر، وفعال لا ترضى الرحمن، بينما هم في ليلة من الليالي، وفي ساعة متأخرة من الليل، يجاهرون الله تعالى بالمعصية والفجور، نعم بينما هم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشياً عليه، فيهرع إليه أصحابه الثلاثة فيقول له أحدهم في تلك الليلة الحمراء.. يقول له: يا أخي قل: لا إله إلا الله، فيرد عليه الشاب -عياداً بالله- إليك عني، زدني كأس الخمر، تعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه إلى الله على تلك الحال السيئة، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ثم كان حال الثلاثة الآخرين لما رأوا صاحبهم وما آل إليه أمره أنهم أخذوا ييكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا صاحبهم، وعادوا به إلا ببلاده محمولاً في تابوت، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد.

سوء خاتمة رجل عاص

كان يقف رجل بإزاء داره، وكان باب داره يواجه باب الحمام، فمرت جارية لها منظر، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب.

فدخلت الدار، ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشري والفرح باجتماعها معه، وقالت: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقرب به عيوننا.

فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم تحنه في شيء، فهام الرجل وأكثر الذكر لها، وجعل يمشي ويقول:

يارب قاتلة يومًا وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

فبينما هو يقول ذلك إذا بجارية أجابته:

هلا جعلت سريعاً إذ ظفرت بها حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب
فازداد هيمانه واشتد، ولم يزل على ذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا،
فعندما أتاه ملك الموت قيل له: قل: لا إله إلا الله، جعل يقول: أين الطريق إلى حمام
منجباب^(١).

نعوذ بالله من سوء الخاتمة

ذكر ابن كثير: أن عبده بن عبد الرحيم كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم، فلما
كان في بعض الغزوات والمسلمون يحاصرون بلدة من بلاد الروم، إذ نظر إلى امرأة من نساء
الروم في ذلك الحصن فهوها، فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟
فقالت: أن تنصر، وتصعد إليّ، فأجابها إلى ذلك، فما أراع المسلمين إلا وهو عندها،
فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمًا شديدًا، وشق عليهم مشقة عظيمة، فما كان بعد مدة مروا
عليه، وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان، ما فعل القرآن معك؟! ما فعل
صيامك؟! ما فعلت صلاتك؟! ما فعل قرآنك؟! ما فعل علمك؟! ما فعل جهادك؟!
فقال: اعلّموا أني أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ
﴿ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٢، ٣].
وقد صار لي فيهم مال وولد!!^(٢) توفي ذلك المرتد القبيح في سنة ثمان وسبعين ومائتين.

عاقبة تأخير الصلاة

يروى عمار بن دينار فيقول: كان رجل من أهل المدينة له أخت فماتت، فجهزها وحملها
إلى قبرها، فلما دفنت ورجع إلى أهله، تذكر أنه نسي كيسًا كان معه في القبر، فاستعان برجل
من أصحابه، فأتيا القبر، فنبشاه، فوجدوا الكيس.
فقال للرجل: تنح حتى أنظر على أي حال أختي؟

(١) الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١١ / ٧٤.

فرفع بعض ما على اللحد، فإذا القبر يشتعل نارًا، فردّه، وسوّى القبر، ورجع إلى أمه، فسألها عن حال أخته، فقالت: كانت تؤخر الصلاة عن وقتها، ولا تصلي فيها أظن بوضوء، وتأتي أبواب الجيران فلتقم أذنهم أبوابهم، فتخرج حديثهم^(١).
احذر تأخير الصلاة عن وقتها، وخاصة صلاة الفجر.

أهوال يوم القيامة

يقول الغزالي في الإحياء: تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وشيطان ووحش وسبع وطير، فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها، وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها، ثم أدنيت من رءوس العالمين كقاب قوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين، ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس، قد صهرته بحرها، واشتد كربه وغمه من وهجها، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضًا لشدة الزحام واختلاف الأقدام، وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحترق القلوب بنار الحياء والخوف، ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة، ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله، فبعضهم بلغ العرق ركبتيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، وبعضهم يكاد يغيب فيه، قال ابن عمر: قال رسول الله: «يوم يقول الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(٢)، وقال أبو هريرة: قال رسول الله: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعًا ويلجمهم ويبلغ أذقنهم»^(٣)...

واعلم أن كل عرق لم يخرجته التعب في سبيل الله - من حج وجهاد وصيام وقيام وقضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر - فسيخرجه الحياء والخوف في

(١) الكبائر، الذهبي، ص ٢٣.

(٢) البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة المطففين، ح (٤٦٥٤).

(٣) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾، ح (٦١٦٧).

صعيد القيامة ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيمة شدته، طويلة مدته^(١).

أرض المحشر

انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة على أرض بيضاء قاع صفصف، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد»^(٢) وعفراء: بياضها غير ناصع، وقوله: كقرص النقي: أي النقي عن القشر والنخالة، والمعلم: هو البناء.

من أسماء يوم القيامة: يوم الحسرة ويوم الزلزلة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الغاشية ويوم الراجفة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الجزاء ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الفصل...

الحساب

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(٣).

الميزان

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أنتكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٥١٤/٤.

(٢) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح (٦١٥٦)، عن سهل بن سعد ؓ.

(٣) مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ح (٢٥٨٢).

فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم، عليك فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضره، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم^(١).

الصراط

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] من استقام في الدنيا على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا، ومن ثقلت أوزاره في الدنيا فسوف يتعثر على الصراط في الآخرة، ويقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً! يا ليتني كنت نسياً منسياً! ليت أُمِّي لم تلدني. فتذكر هذه الأهوال واستعد لها من الآن.

(١) أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ح (٦٩٩٤)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الصحيح.

المراجع

القرآن وعلومه:

- (١) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: السيد محمد السيد، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.
- (٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.
- (٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة - السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- (٤) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة - السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- (٥) البضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.
- (٦) جلال الدين السيوطي: الدر المشور، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣.
- (٧) الحازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالحازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.
- (٨) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- (٩) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- (١٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.
- (١١) محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر - بيروت، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

السنة وعلومها:

- (١٢) ابن أبي شبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- (١٣) ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- (١٤) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- (١٥) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، السعودية - الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
- (١٦) ابن رجب، ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- (١٧) ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- (١٨) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني: مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- (١٩) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، د.ت.
- (٢٠) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- (٢١) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، د.ت.
- (٢٢) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- (٢٣) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
- (٢٤) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر: السنن الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- (٢٥) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي: معرفة السنن والآثار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفاء - مصر، ١٤١٢هـ.
- (٢٦) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: شعب الإبان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- (٢٧) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.
- (٢٨) الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.
- (٢٩) الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي: سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.
- (٣٠) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.
- (٣١) المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتصحيح

- بكري حياني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
- (٣٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٣٣) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن: سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

كتب الرفائق:

- (٣٤) ابن أبي الدنيا، حسن الظن بالله، مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- (٣٥) ابن أبي الدنيا، الورع، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، المكتبة السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- (٣٦) ابن أبي الدنيا، التهجد وقيام الليل، تحقيق: مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- (٣٧) ابن أبي الدنيا، التواضع والخمول، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
- (٣٨) ابن أبي الدنيا، العزلة والانفراد، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- (٣٩) التهجد وقيام الليل، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- (٤٠) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني: العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاوش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- (٤١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني: أمراض القلب وشفافها، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- (٤٢) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ = ١٩٧٥م.
- (٤٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.
- (٤٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ = ١٩٧٣م.
- (٤٥) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، د.ت.

كتب السير والشمال

- (٤٦) أبو بكر السيوطي: الخصائص الكبرى دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- (٤٧) أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلثة

الخلفاء، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، دار عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٤٨) ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى: عيون الأثر في فنون المغازي والشئائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ.

(٤٩) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار التقوى للتراث - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٥٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٦هـ = ١٩٧١م.

(٥١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، دار الحديث - القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٥٢) الحسن بن عمر بن حبيب: المقتنى من سيرة المصطفى تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، الطبعة: الأولى، دار الحديث - القاهرة، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

(٥٣) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن: الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(٥٤) علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٥٥) المباركفوري، صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

(٥٦) محمد بن يوسف الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

كتب التراجم والطبقات:

(٥٧) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

(٥٨) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٥٩) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطباعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

(٦٠) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: تهذيب التهذيب، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

(٦١) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع: الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

(٦٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت،

الطبعة الأولى، د.ت.

(٦٣) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

(٦٤) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

(٦٥) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

(٦٦) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

(٦٧) القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٧٨م.

(٦٨) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ = ١٩٧٥م.

(٦٩) محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

كتب التاريخ

(٧٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، دار الفجر للتراث-القاهرة، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

(٧١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر-دمشق، د.ت.

(٧٢) أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر-بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

(٧٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

مراجع عامة

(٧٤) مائه موقف من حياة العظماء- محمد سعيد مرسي، قاسم عبد الله- مؤسسة اقرأ- الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.

(٧٥) كبرى المعارك والفتوحات الإسلامية- محمد سعيد مرسي - مؤسسة اقرأ- الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.

(٧٦) عظماء الإسلام - محمد سعيد مرسي - مؤسسة اقرأ- ٢٠٠٣.

(٧٧) كل شيء عن اليهود - محمد سعيد مرسي - مؤسسة اقرأ- ٢٠٠٣.

(٧٨) عبقرية عمر - العقاد - دار الشعب.

(٧٩) صور من حياة التابعين - عبد الرحمن رأفت الباشا - دار الأدب الإسلامي - الطبعة الخامسة عشرة -

١٩٩٧ .

- (٨٠) أبو بكر الصديق - على محمد الصلابي - دار الإيمان - ٢٠٠٢ .
- (٨١) عمر بن الخطاب - على محمد الصلابي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ .
- (٨٢) عثمان بن عفان - على محمد الصلابي - دار الإيمان - ٢٠٠٢ .
- (٨٣) علي بن أبي طالب - على محمد الصلابي - دار الفجر - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ .
- (٨٤) الحركة السنوسية في ليبيا - علي محمد الصلابي - دار الإيمان - ٢٠٠٤ .
- (٨٥) الدولة العثمانية - على محمد الصلابي - دار الإيمان - ٢٠٠٣ .
- (٨٦) قصص الأنبياء - محمد بكر إسماعيل - دار المنار - الطبعة الثانية - ١٩٩٧ .
- (٨٧) قصص الأنبياء - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٩٩٧ .
- (٨٨) من ذاكرة الأمة - محمود سمير المنير - زهرة المدائن - الطبعة الأولى - ٢٠٠١ .
- (٨٩) رجال حول الرسول - خالد محمد خالد - دار المقطم - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ .
- (٩٠) وفيات تربوية مع السيرة النبوية - أحمد فريد - المكتبة التوفيقية - ٢٠٠٠ .
- (٩١) ليس لليهود حق في فلسطين - جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت - دار الوفاء .
- (٩٢) الطريق إلى بيت المقدس (القضية الفلسطينية) - جمال عبد الهادي - وفاء محمد رفعت - دار التوزيع والنشر - الثانية - ٢٠٠١ .
- (٩٣) فتح مصر - جمال عبد الهادي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٩ .
- (٩٤) إتحاف الأخصا بفنائل المسجد الأقصى - أحمد رمضان أحمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٤ .
- (٩٥) الثمار والرياحين في قصص القرآن الكريم - أحمد بن محمد طاحون - دار هجر - الأولى - ٢٠٠١ .
- (٩٦) الثلاثون المبشرون بالجنة - مصطفى مراد - دار الفجر - الأولى - ١٩٩٩ .
- (٩٧) أباطيل يجب أن تحمي من التاريخ - إبراهيم شعوط - ١٤٠٣ هـ .
- (٩٨) مسلمون ثوار - محمد عمارة - دار الشروق - الطبعة الثالثة - ١٩٨٨ .
- (٩٩) صلاح الدين الأيوبي - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة الثانية عشرة - ٢٠٠٢ .
- (١٠٠) أعلام المسلمين - أطفالنا - ١٩٩٨ .
- (١٠١) سيدنا يوسف - عمرو خالد - دار أريج - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ .
- (١٠٢) فتح القسطنطينية - فتحي شهاب الدين - دار البشير - الأولى - ١٩٩٨ .
- (١٠٣) عين جالوت - فتحي شهاب الدين - دار البشير - الأولى - ١٩٩٨ .
- (١٠٤) فلسطين والقلب - أسامة جادو - ٢٠٠٢ .
- (١٠٥) القدس - عبد الحميد الكاتب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨ .
- (١٠٦) رجال من التاريخ - علي الطنطاوي - دار البشير - الطبعة الأولى - ١٩٩٨ .
- (١٠٧) أبو حنيفة النعمان - حمزة النشري، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة .
- (١٠٨) عمر بن عبد العزيز - القرضاوي - مكتبة وهبة - الأولى - ٢٠٠١ .

- ١٠٩) حسن الهضيبي المرشد الثاني - نبيه عبد ربه - دار الضياء الأردن - الطبعة الأولى - ١٩٨٧.
- ١١٠) الإسلام والداعية - أسعد سيد أحمد - دار الأنصاري بالقاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٧٧.
- ١١١) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين - كامل الشريف ومصطفى السباعي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٨٦.
- ١١٢) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة - المستشار عبد الله العقيل - مكتبة المنار الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.
- ١١٣) مذكرات الشهيد الدكتور الرنتيسي - عامر شهاخ - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤.
- ١١٤) شهيد أيقظ أمة - عامر شهاخ - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤.
- ١١٥) معارك الرسول مع اليهود - محمد علي قطب - دار المسيرة - الأولى - ١٩٨٤.
- ١١٦) عندما ينطق الحجر - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم - ٢٠٠٢.
- ١١٧) روائع الأسحار - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم .
- ١١٨) انهم نفسك - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- ١١٩) الأماني والمنون - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم - ٢٠٠٢.
- ١٢٠) حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الثانية عشرة - ٢٠٠٢.
- ١٢١) دور الشباب في حل رسالة الإسلام - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة الرابعة - ١٩٩٢.
- ١٢٢) الإسلام شريعة الزمان والمكان - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة السادسة - ٢٠٠٢.
- ١٢٣) محاضرة تكون الشخصية الإنسانية - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة السادسة - ١٩٩٦.
- ١٢٤) الأخوة الإسلامية - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - السادسة - ١٩٩٧.
- ١٢٥) حتى يعلم الشباب - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة التاسعة - ١٩٩٨.
- ١٢٦) الصبر والثبات على الطريق - أحمد جاد - زهرة المدائن - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- ١٢٧) الطريق إلى الربانية - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- ١٢٨) فقه الأولويات في الإسلام - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٩٩٤.
- ١٢٩) ركائز الدعوة - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الثانية - ١٩٩٥.
- ١٣٠) حطم صنمك - مجدي الهلالي - مؤسسة اقرأ - ٢٠٠٤.
- ١٣١) رسالة إلى أخي في الله - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٣.
- ١٣٢) العودة إلى القرآن - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- ١٣٣) الإيمان أولا - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٠.
- ١٣٤) أضواء على طريق الدعوة - مجدي الهلالي - دار البشير - ١٩٩٠.
- ١٣٥) هلموا إلى ربكم - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤.
- ١٣٦) الإيمان والحياة - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة عشرة - ٢٠٠٢.

- (١٣٧) شمول الإسلام - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٣.
- (١٣٨) أولويات الحركة الإسلامية - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الرابعة - ١٩٩٢.
- (١٣٩) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام - مكتبة وهبة - الطبعة السادسة - ١٩٩٥.
- (١٤٠) الإسلام والفن - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٩٩٦.
- (١٤١) حقيقة التوحيد - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة السابعة - ١٩٩٨.
- (١٤٢) المبشرات بانتصار الإسلام - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٩٩٦.
- (١٤٣) طاهرة الغلو في التكفير - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة - ١٩٩٠.
- (١٤٤) أين الخلل؟ - القرضاوي - دار الرسالة - الطبعة السابعة - ١٩٩٣.
- (١٤٥) الرسول والعلم - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- (١٤٦) الحياة الربانية والعلم - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٩٩٥.
- (١٤٧) ملامح المجتمع المسلم - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٩٩٣.
- (١٤٨) مكانة المرأة في الإسلام - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٩٩٦.
- (١٤٩) الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٩٩٤.
- (١٥٠) العبادة في الإسلام - القرضاوي - مكتب وهبة - الطبعة الرابعة والعشرون - ١٩٩٥.
- (١٥١) حول ركن الإخلاص - القرضاوي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٣.
- (١٥٢) حكمة الابتلاء - ابن القيم - دار السلام - الطبعة الثانية - ١٩٨٤.
- (١٥٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - ابن القيم - دار القلم.
- (١٥٤) إيقاظ الغافلين - خالد عبد المعطي - مؤسسة اقرأ - ٢٠٠٤.
- (١٥٥) مواقف بكى فيها الرسول والصحابة - مجدي محمد الشهاوي - المكتبة التوفيقية .
- (١٥٦) الزيارة - اعتماد زغلول - سما للنشر - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- (١٥٧) التوهم - الحارث المحاسبي - مكتبة القدس - الطبعة الأولى - ١٩٩٤.
- (١٥٨) باطن الإثم - محمد سعيد البوطي - دار الأساء.
- (١٥٩) ٣٣ سبباً للخشوع في الصلاة - محمد صالح المنجد.
- (١٦٠) مفهوم الحكمة في الدعوة - صالح بن عبد الله.
- (١٦١) فضل الجهاد والمجاهدين - ابن باز - ١٤١١ هـ.
- (١٦٢) أخلاقنا - وحيد الدين خان - الطبعة الأولى - ١٩٩٢.
- (١٦٣) الإنفاق وأثره في بناء شخصية المسلم - أحمد عبد الخالق - القادسية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (١٦٤) قضية التوحيد - الخبر يوسف - دار النذير - الطبعة الأولى - ١٩٨٧.
- (١٦٥) الخائفون من الإسلام لماذا؟ - محمد نعيم ياسين - دار الوفاء - الطبعة الرابعة - ١٩٩٢.
- (١٦٦) من معجزات النبي - مصطفى العدوى - مكتبة الإيمان .

- (١٦٧) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨.
- (١٦٨) الجهاد الاقتصادي - حسين شحاتة - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٢.
- (١٦٩) شرعية العمل الجماعي - عصام البشير - دار النذير - الطبعة الأولى - ١٩٩٠.
- (١٧٠) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية - صادق أمين - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (١٧١) كيف تدير وقتك؟ - صلاح الدين محمود.
- (١٧٢) العائدون إلى الله - محمد بن عبد العزيز المسند - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ.
- (١٧٣) التفكير فريضة إسلامية - العقاد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨.
- (١٧٤) التدخين بين الطب والقرآن والسنة - محمد السيد أرناؤوط - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (١٧٥) المنطلق - محمد أحمد الراشد.
- (١٧٦) الدعاء المستجاب - أحمد عبد الجواد - مكتبة مصر.
- (١٧٧) صفات الداعية - زهرة المدائن - الطبعة الأولى - ١٩٩٤.
- (١٧٨) على الطريق - على القرني - مكتبة أولاد الشيخ - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (١٧٩) إدارة الأزمات الاقتصادية - حسين شحاتة - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (١٨٠) الرشوة في ميزان الشريعة الإسلامية - حسين شحاتة - دار المنار - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (١٨١) البعد الاقتصادي في حياة الرسول - حسين شحاتة - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (١٨٢) الاستدانة - عبد الخالق حسن الشريف - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (١٨٣) الصدق - وجدي غنيم - دار المنار - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (١٨٤) الأمانة - وجدي غنيم - دار المنار - ٢٠٠٢.
- (١٨٥) الوفاء - وجدي غنيم - دار المنار - ٢٠٠٢.
- (١٨٦) دعوة للتأمل - على القرني - مكتبة العلم - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (١٨٧) العادة السرية - محمد صالح المنجد - مكتبة العلم.
- (١٨٨) هناك حيث يطفأ نور الإيمان - عبد الملك القاسم - دار القاسم - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
- (١٨٩) الذوق سلوك الروح - عباس السيسي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٨.
- (١٩٠) احذر أقوالاً وأفعالاً واعتقادات خاطئة - طلعت زهران - دار العقيدة - الطبعة الثانية - ١٩٩٨.
- (١٩١) أخطاه كيف تنفقين؟ - أحمد عبد الخالق - دار القادسية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (١٩٢) محرمات استهان بها الناس - محمد صالح المنجد - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ.
- (١٩٣) إيقاظ الهمم قبل يوم الندم - عبد الحميد هندأوي - دار الهدى - الطبعة الأولى - ١٩٩٧.
- (١٩٤) قواعد الدعوة إلى الله - همام عبد الحميد سعيد - دار الوفاء - الطبعة الثالثة - ١٩٩٢.
- (١٩٥) فقه النصر والتمكين - على محمد الصلابي - دار الإيمان - ٢٠٠٢.
- (١٩٦) في واحة الإسلام - على متولي.
- (١٩٧) فقه المراقبة - أحمد جاد - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.

- ١٩٨ (١٩٨٨) فقه النصيحة - أحمد جاد - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- ١٩٩ (١٩٩٩) ربانية لا رهبانية - أبو الحسن الندوي - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- ٢٠٠ (٢٠٠٠) صلاة الفجر مصنع الرجال - عبد العظيم رمضان - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٢.
- ٢٠١ (٢٠٠١) مقاطعة اليهود - الشحات الطحان - دار الكلمة.
- ٢٠٢ (٢٠٠٢) صناعة الحياة - محمد أحمد الراشد - الطبعة الثالثة - ١٩٩٤.
- ٢٠٣ (٢٠٠٣) نحو المعالي - محمد أحمد الراشد - دار البشير - الطبعة الثالثة - ١٩٩٤.
- ٢٠٤ (٢٠٠٤) تقرير ميداني - محمد أحمد الراشد - دار البشير.
- ٢٠٥ (٢٠٠٥) هو الله - ياسين رشدي - نهضة مصر .
- ٢٠٦ (٢٠٠٦) صفات وسلوكيات تربوية - محمد عبد الحلیم حامد - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٨.
- ٢٠٧ (٢٠٠٧) أهوال جهنم ونعيم أهل الجنة - علي الطهطاوي - دار الروضة - ١٩٩٦.
- ٢٠٨ (٢٠٠٨) لقاء الجماهير - أكرم رضا - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الأولى - ٢٠٠١.
- ٢٠٩ (٢٠٠٩) الدعوة في موكب الأنبياء - علي متولي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢١٠ (٢٠١٠) شخصية المسلم بين الفردية والجماعية - محمد السيد نوح - دار الوفاء - الطبعة الرابعة - ١٩٩٣.
- ٢١١ (٢٠١١) المتغيرات الدولية - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٩٩٣.
- ٢١٢ (٢٠١٢) العالم الإسلامي والمكائد الدولية - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة.
- ٢١٣ (٢٠١٣) الحياة - فتحي عبد الستار - سما للنشر - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- ٢١٤ (٢٠١٤) الإسلام والعلم - أحمد عبد الحميد غراب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢١٥ (٢٠١٥) مع الله - حسن أيوب - دار الأنصار - الطبعة الخامسة - ١٩٨٢.
- ٢١٦ (٢٠١٦) الإيجابية في حياة الداعية - عادل الشويخ - دار البشير - الطبعة الثانية - ١٩٩٣.
- ٢١٧ (٢٠١٧) وهكذا أسلمن - وفاء سعداوي - دار الإبداع - الطبعة الثانية - ٢٠٠٣.
- ٢١٨ (٢٠١٨) صور من تسبيح الكائنات لله - زغلول النجار - نهضة مصر - الطبعة السادسة - ٢٠٠٣.
- ٢١٩ (٢٠١٩) معراج المؤمنين - علاء الدين محرم - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٣.
- ٢٢٠ (٢٠٢٠) معركة الوجود بين القرآن والتلمود - عبد الستار فتح الله - الطبعة السادسة - ١٤١٥ هـ.
- ٢٢١ (٢٠٢١) مبشرات النصر والتمكين - سيد العفاني - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- ٢٢٢ (٢٠٢٢) لا لن يمحي الأقصى - خيرى مكايي.
- ٢٢٣ (٢٠٢٣) صلاة الصالحين وقصص العابدين - أحمد مصطفى الطهطاوي - دار الفضيلة.
- ٢٢٤ (٢٠٢٤) مائة قصة وقصة في التوبة وحسن وسوء الخاتمة - محمد عبد الله الهندي - مكتبة الإيمان.
- ٢٢٥ (٢٠٢٥) ١٠٠ قصة من ذكاء الصحابييات - منصور عبد الحكيم - المكتبة التوفيقية.
- ٢٢٦ (٢٠٢٦) الوقت عمار أو دمار - جاسم محمد بدر المطوع - دار الوفاء - الطبعة السادسة - ١٩٩٢.
- ٢٢٧ (٢٠٢٧) فن التعامل مع الآخرين - محمد سعيد مرسى - دار البشير - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.
- ٢٢٨ (٢٠٢٨) المصطفى من صفات الدعاة - عبد الحميد البلالي - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.

- (٢٢٩) عقيدة المسلم - محمد الغزالي - دار الدعوة - الطبعة الثالثة.
- (٢٣٠) مختصر منهاج القاصدين - ابن قدامة المقدسي - دار التراث.
- (٢٣١) سمير الصالحين وأنيس المتقين - أحمد الشهاوي - سعد شرف الدين - المكتبة التوفيقية.
- (٢٣٢) البحر الرائق في الزهد والرفائق - أحمد فريد - المكتبة التوفيقية.
- (٢٣٣) تنبيه الغافلين - السمرقندي - مكتبة الصفا - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٢٣٤) لطائف المعارف - ابن رجب الحنبلي - مكتبة الإيوان - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- (٢٣٥) رحلتي مع الجماعة الصامدة - أحمد أبو شادي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٨.
- (٢٣٦) حكايات عن الإخوان - عباس السيبي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٨.
- (٢٣٧) الإعجاز العلمي في الإسلام - محمد كامل عبد الصمد - الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الثالثة - ١٩٩٦.
- (٢٣٨) الابتلاء والمحن - محمد عبد القادر أبو فارس - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (٢٣٩) النور الأسمر في شرح أساء الله الحسني - سليمان سامي - الطبعة الأولى - ١٩٩٥.
- (٢٤٠) أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثامنة - ١٩٩٨.
- (٢٤١) علو الهمة - محمد أحمد إسماعيل المقدم - المكتبة التوفيقية.
- (٢٤٢) لا تحزن - عائض القرني - مكتبة البلد الأمين - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٠.
- (٢٤٣) التضحية والفداء - جمعة أمين عبد العزيز - دار الدعوة - الطبعة الثانية - ٢٠٠١.
- (٢٤٤) رياض الصائمين - عبد الرحمن البر - دار الوفاء - الطبعة الأولى - ١٩٩٤.
- (٢٤٥) من مبادئ الإسلام - علي لبن - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (٢٤٦) مداواة النفوس - ابن حزم - دار الصحابة - الطبعة الثانية - ١٩٩٢.
- (٢٤٧) ومضات من النور - عصام أحمد خيرى - الطبعة الأولى - ١٩٩٦.
- (٢٤٨) مجالس الإيمان في رحاب القرآن - علاء الدين محرم - ٢٠٠٢.
- (٢٤٩) زادنا في رمضان - منير جمعة.
- (٢٥٠) رحلة البحث عن اليقين - خالد أبو شادي - دار الراية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٢٥١) الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات - حسين شحاتة - دار النشر للجامعات - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (٢٥٢) العبادات وأثرها في بناء الفرد والمجتمع - صلاح سلطان.
- (٢٥٣) مواقف إيمانية للنساء - محمد عبد العاطي بحيري - المكتبة التوفيقية - ٢٠٠٢.
- (٢٥٤) خير القرون (صور إيمانية من حياة الصحابة والتابعين) - مصطفى أبو المعاطي - شروق - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٢٥٥) العقل والإيمان في الإسلام - صابر طعيمة - دار الجبل - الطبعة الأولى - ١٩٧٩.
- (٢٥٦) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام - مصطفى حلمي - دار الدعوة - الطبعة الثانية - ١٩٩٣.

- (٢٥٧) المنافقون في القرآن الكريم - محمد يونس عبد بن حسن - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (٢٥٨) الولاء والبراء - سعيد القطحاني - المكتبة التوفيقية - ٢٠٠٣.
- (٢٥٩) تربيته الروحية - سعيد حوى - الطبعة الرابعة - ١٩٩٥.
- (٢٦٠) تيسير العزيز الحميد - سليمان عبد الله.
- (٢٦١) منهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري - مكتبة الدعوة - الطبعة الثامنة - ١٩٧٦.
- (٢٦٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (٢٦٣) الصحابة والصالحون على فراش الموت - مجدي فتحي السيد - المكتبة التوفيقية.
- (٢٦٤) بر الوالدين - رضا المصري - دار الدعوة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٢٦٥) ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله - سيد حسين العفاني - دار العفاني - الطبعة السادسة - ٢٠٠٣.
- (٢٦٦) كيف نحب رسول الله ؟ - نبيل حامد المعاز - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.
- (٢٦٧) الطراز الرباني - نبيل حامد المعاز - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.
- (٢٦٨) صفات ومقامات المسلم - محمد فوزي - دار المنار - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٢٦٩) مواقف بطولية من صنع الإسلام - زياد أبو غنيمه - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (٢٧٠) عدة المجاهدين - نبيل حامد المعاز - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (٢٧١) رجل المحراب - جمال حامد - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.
- (٢٧٢) كونوا على الخير أعواناً - محمد صالح المنجد - مكتبة العلم.
- (٢٧٣) القرآن شرعتنا - موسي السعيد جبارة .
- (٢٧٤) حقوق الإنسان في الإسلام - محمود غزلان - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٢.
- (٢٧٥) آفات على الطريق - السيد محمد نوح - دار الوفاء - الطبعة السادسة - ١٩٩٢.
- (٢٧٦) تذكرة دعاة الإسلام - المودودي - دار الكنوز - الطبعة الأولى - ١٩٩٤.
- (٢٧٧) الآفات العشرون - عبد القادر أحمد عبد القادر - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الثانية.
- (٢٧٨) غض البصر - عبد العزيز الغزولي - دار المنار - ٢٠٠١.
- (٢٧٩) حب النبي ودلائله - عبد الرحيم عبد السلام - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٢٨٠) التخطيط للهجرة - أحمد عبد العظيم - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (٢٨١) دروس تربوية من الهجرة النبوية - عبد الحفي الفرماوي - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (٢٨٢) كلكم راع - فؤاد الهجرسي - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- (٢٨٣) المؤمن القوي - طه الساعي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠١.
- (٢٨٤) التجرد - محمد الكاتب - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.
- (٢٨٥) رجل عفيف - جمال حامد - دار الكلمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.

- (٢٨٦) مراتع الخير - بلال وهب - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (٢٨٧) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أريدوا أهله - عبد الودود يوسف - دار السلام - ١٩٩٣.
- (٢٨٨) وقبل الوداع كانت حقوق الإنسان - أحمد عبد الخالق - القادسية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (٢٨٩) كفالة اليتيم - محمد خلف يوسف - مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤.
- (٢٩٠) الإيجابية - أحمد عبد الخالق - دار القادسية - الطبعة الثانية - ٢٠٠٢.
- (٢٩١) كيف نحافظ على صلاة الفجر؟ - راغب السرجاني - مؤسسة اقرأ - ٢٠٠٤.
- (٢٩٢) عداء اليهود للحركة الإسلامية - زياد أبو غنيمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (٢٩٣) مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب - دار الشروق.
- (٢٩٤) الطريق إلى جماعة المسلمين - حسين بن محسن بن علي - دار الوفاء - الطبعة السابعة - ٢٠٠٢.
- (٢٩٥) ماذا يعني انتهائي للإسلام؟ - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة والعشرون - ٢٠٠٣.
- (٢٩٦) بروتوكولات حكماء صهيون - ترجمة محمد خليفة التونسي - دار التراث.
- (٢٩٧) مائة موقف من حياة المرشدين - محمد عبد الحليم حامد - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٢.
- (٢٩٨) الدعوة الفردية بين النظرية والتطبيق - عبد الحليم الكناني - تقديم الشيخ محمد عبد الله الخطيب - مؤسسة اقرأ.
- (٢٩٩) رحلتي مع الإخوان المسلمين - أبو الفتوح عفيفي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (٣٠٠) شاهد على جهاد الإخوان المسلمين في حرب فلسطين - علي مصطفى نعمان - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٣٠١) مجموعة رسائل حسن البنا - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٢.
- (٣٠٢) حول أساسيات المشروع الإسلامي - عبد الحميد الغزالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٠.
- (٣٠٣) أيام من حياتي - زينب الغزالي - دار الشروق - الطبعة الثالثة عشرة - ١٩٩٢.
- (٣٠٤) خصائص التصور الإسلامي - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة التاسعة - ١٩٨٧.
- (٣٠٥) العدالة الاجتماعية في الإسلام - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة الحادية عشرة - ١٩٨٨.
- (٣٠٦) نحن والحضارة الغربية - أبو الأعلى المودودي - ١٩٨٧.
- (٣٠٧) تأملات إيمانية في سورة يوسف - ياسر برهامي - دار الإيمان - ٢٠٠٤.
- (٣٠٨) للعائلات فقط - جمال عبد الرحمن - دار طيبة - مكة - الطبعة الخامسة - ٢٠٠٣.
- (٣٠٩) عظماء الأطفال - جمال عبد الرحمن - دار طيبة - مكة - الطبعة الثانية - ٢٠٠٢.
- (٣١٠) مختصر عيش السعداء بين الخوف والرجاء - سيد عفاني - دار العفاني - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (٣١١) فضل الرضا وأخبار ساداته - سيد عفاني - دار العفاني - ٢٠٠٣.
- (٣١٢) عمارة الأوقات بعمل الصالحات - سيد عفاني - دار العفاني - ٢٠٠٣.
- (٣١٣) علاج الهموم - محمد صالح المنجد - المكتبة المحمودية - ٢٠٠٠.

- (٣١٤) أين نحن من الخاشعين والخاشعات؟ - أبو بكر فراج - الكتبة المحمودية - ٢٠٠٢.
- (٣١٥) مواقف إيمانية - أحمد عيد - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٩٩٣.
- (٣١٦) فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين - جمعة أمين عبد العزيز - دار الدعوة.
- (٣١٧) طريق السعادة - أحمد فريد - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- (٣١٨) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء - محمد كامل عبد الصمد - الطبعة الأولى - ١٩٩٥.
- البيت المسلم:**
- (٣١٩) تحفة العروس - محمود مهدي الاستانبولي - العالمية للنشر والتوزيع.
- (٣٢٠) صديق الأسرة السعيدة - شوقي محمد يوسف - دار الفضيلة.
- (٣٢١) آداب الخطبة في الإسلام - حسين شحاتة - دار المنار - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢.
- (٣٢٢) الأسرة المسلمة مشكلات وحلول - أحمد عبد الخالق - دار القادسية - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (٣٢٣) ١٠٠ حل للمشكلات الزوجية - محمد المصري - مؤسسة قرطبة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
- (٣٢٤) عوامل إصلاح المجتمع - ابن باز - الطبعة الأولى - ١٩٩٢.
- (٣٢٥) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة - عبد الرحمن بن ناصر - ١٩٩٨.
- (٣٢٦) أواصر المجتمع المسلم - محمود الجوهري - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (٣٢٧) الشباب في مرآة الإسلام - عبد الخالق حسن الشريف - ٢٠٠٢.
- (٣٢٨) الشباب ألم وأمل - إبراهيم الدويش - أولاد الشيخ - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- (٣٢٩) الإسلام والجنس - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة الخامسة - ١٩٩٥.
- (٣٣٠) إلى كل فتاة تؤمن بالله - محمد سعيد البوطي.
- (٣٣١) التبرج - نعمت صدقي - دار الاعتصام.
- (٣٣٢) مع الأخت المسلمة في واحة الحجاب - علي متولي - دار الأرقم - الطبعة الأولى - ١٩٩٣.
- (٣٣٣) ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت - محمد صالح المنجد - مكتبة العلم.
- (٣٣٤) فن التعامل مع الأزواج - عبد الجبار أحمد عبد الجبار - دار الطلائع - ١٩٩٦.
- (٣٣٥) كيف تعيش حياة زوجية سعيدة؟ - عادل فتحي عبد الله - دار الإيمان - الطبعة الأولى - ١٩٩٩.
- (٣٣٦) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - دار الوطن.
- (٣٣٧) آداب الزفاف - ناصر الألباني.
- (٣٣٨) البيت محراب عبادة - محمد حسين - سما للنشر - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (٣٣٩) كيف تسعد زوجتك؟ - محمد عبد الحليم حامد - دار المنار - الطبعة الثالثة - ١٩٩٦.
- (٣٤٠) كيف تسعين زوجك؟ - محمد عبد الحليم حامد - دار المنار - الطبعة الثالثة - ١٩٩٦.
- (٣٤١) الرجل والبيت - حسين شحاتة - دار المنار - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠.
- (٣٤٢) كيف تبني بيتاً سعيداً - أكرم رضا - سما للنشر - الطبعة الأولى - ٢٠٠١.
- (٣٤٣) فن صناعة الحب ومعاملة الرجال - خالد السيد عبد العال - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة

الأولى - ٢٠٠٠.

- (٣٤٤) العشرة الطيبة مع الرجل - محمد حسين - المدائن - الطبعة الثانية.
(٣٤٥) سلسلة البيت المسلم - محمد حسين - دار الدعوة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣.
(٣٤٦) خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي - محمود أبو السعود - الاتحاد الإسلامي العالمي - ١٩٩١.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
---------	--------

إهداء ٥

الشجاعة

أنواع الشجاعة	٥
الدفاع عن الدين	٦
حرق أعصاب الظالم	٧
هكذا كانوا	٧
ما حجتك عند الله ؟	٨
استحضر هيبة الله	٨
بين منذر بن سعيد وعبد الرحمن الناصر	٩
أبو العتاهية وهارون الرشيد	١٠
الترفع عن الذلة	١٠
شجاعة المعتصم	١١
لطمة على وجه اليهودي	١١
الشيخ الإنباني	١٢
شجاعة غلام	١٣

الاعتدال

الاعتدال في العبادة	١٧
ومن أمثلة الاعتدال في العبادة	١٨

النصيحة

معنى النصيحة	٢٠
أهمية النصيحة	٢٠

٢١	طلب النصيحة
٢١	أين من ينصحك؟
٢٢	وجوب النصيحة
٢٢	الفرق بين الغيبة والنصيحة
٢٣	نصيحة في السجن
٢٣	نصيحة مؤثرة
٢٤	آداب الناصح
٢٥	آداب المنصوح

بر الوالدين

٢٦	الأدب مع الوالدين
٢٧	طاعة لأمي
٢٧	أحمد بن حنبل
٢٨	موعظة
٢٨	البر
٢٩	مفاهيم تتصل ببر الوالدين
٢٩	حق الأم في البر أكثر
٢٩	من صور البر
٣٠	رجل يخاف من عقوق الوالدين
٣٠	موقف إسماعيل مع أبيه
٣١	البر مفتاح الفرج
٣١	صور من العقوق
٣٢	جريج العابد
٣٢	افعل ما شئت كما تدين تدان
٣٣	قصة شاب
٣٤	الجزاء
٣٥	تذكر أمك الحنون

أفعال تتنافى مع بر الوالدين ٣٦

الشورى

حتى في الأمور الخاصة ٣٨

تشكيل الحكومة الإسلامية بالانتخاب ٣٩

مجلس عسكري استشاري ٣٩

الحباب خير عسكري ٤٠

في سقيفة بني ساعدة ٤٠

الرسول ﷺ يستشير ٤١

رؤيا الرسول ﷺ ٤٢

بيت المقدس ٤٣

مفاوضات ٤٣

استشارة أم سلمة ٤٤

الشورى البناءة ٤٥

عدم الاستقلال بالرأي ٤٦

جمع القرآن الكريم ٤٧

شورى أبي بكر ٤٨

استخلاف الصديق للفاروق ٤٩

اختيار الولاية ٥٠

شورى خامس الخلفاء الراشدين ٥٠

التعاون

١- التعاون مع إخوانك ٥٢

٢- تعاون بين الزوجين ٥٤

٣- تعاون الملائكة في بدر ٥٥

٤- قضاء حوائج الناس ٥٥

٥- تعاون الأبناء مع الآباء ٥٩

٦- التعاون من أجل مصلحة الوطن ٥٩

تعاون مرفوض ٦٠

٦١ سبب إسلامه

صلة الرحم

٦٣ طريق الجنة

٦٣ من ثمارها

٦٤ تيسر الحساب وتدخل صاحبها الجنة

٦٤ ليس الواصل بالمكافئ

٦٥ احذر قطيعة الرحم

٦٥ مثل شائع خاطئ

العدل

٦٦ من أنواع العدل

٦٧ عدل عمر مع أهل الذمة

٦٨ عدل الرسول

٦٨ عدل الصحابة

٦٩ العبد الصالح

٦٩ ضربة وحجة

٧٠ موقف رائع

٧١ عدل يفوق الخيال

٧٢ عدل المسلمين

٧٢ المساواة من العدل

٧٣ عبادة بن الصامت

٧٣ عمر والعدل

٧٤ رد المظالم

٧٥ اشترى مظلمته

٧٦ رجل يضرب الأمير

٧٦ قميص عمر

٧٧ مجلس القضاء

٧٧ الرسالة

- دعوة المظلوم مستجابة..... ٧٨
- القاضي شريح وابنه ٧٨
- بين شريح وعلي بن أبي طالب ٧٩
- الراعي والرعية رحمة وعدل ٨٠
- عدل وثبات ٨٠

الولاء والبراء

- حكم الإسلام ٨١
- مظاهر الولاء للكفار ٨٣
- من قصص الولاء والبراء ٨٦

العزة

- عزة الرسول ﷺ ٩٣
- كن عزيزا ٩٤
- عزة ربعي بن عامر ٩٤
- فزع رستم ٩٥
- خوف قيصر ملك الروم ٩٦
- ما أعزكم آل الخطاب! ٩٦
- العز بن عبد السلام وعزة العلماء ٩٧
- إن الذي يمد رجله لا يمد يده ٩٩
- طاوس والخليفة ٩٩
- هذا الشبل من ذاك الأسد ١٠٠
- يسرني أن أكون آخرهم ١٠١
- دعهم لا يرون منا إلا البشاشة ١٠١
- الشهيد سيد قطب ١٠٢
- أخالف البروتوكول ١٠٢
- الهضيبي وفاروق ١٠٣
- حمية العرب في الجاهلية ١٠٤
- الأخ حافظ ١٠٥

- ١٠٧ وقفة قرآنية
- ١٠٨ الرنتيسي
- ١٠٩ من الطرائف

الذكاء

- ١١٠ دار الأرقم
- ١١٠ المناظرة بين خليل الله والنمرود
- ١١١ طريق اليمن في الهجرة
- ١١١ الإبل المذبوحة
- ١١١ الحجر الأسود
- ١١٢ حيلة يوسف
- ١١٢ داود وسليمان
- ١١٣ قصة الرجل الحكيم
- ١١٣ الفطنة
- ١١٣ خالد بن الوليد في مؤتة
- ١١٤ في غزوة الأحزاب
- ١١٤ حيلة أبي بصير
- ١١٥ الصنم والكلب
- ١١٥ الفتى الذكي
- ١١٦ صديق الوالي
- ١١٧ بيت أبي تمام
- ١١٧ الشاعر واللص
- ١١٨ الخياط الأعور
- ١١٨ القارب العجيب
- ١١٩ المال الضائع
- ١١٩ العاطس الساهي
- ١١٩ الرجل المجادل

الشكاك.....	١٢٠
الخليفة والقاضي.....	١٢٠
براءة.....	١٢١
القاضي والحلوى.....	١٢١
ما تقول في المسكر؟.....	١٢١
الفراسة.....	١٢٢
السارق الحقيقي.....	١٢٢
قمة في حسن التخلص.....	١٢٢
مروءة وذكاء.....	١٢٣
اتصال.....	١٢٤
مباحث.....	١٢٥
فطنة في الإجابة.....	١٢٥

سلامة الصدر

تحذيرات.....	١٢٧
ابن الحنفية وأخيه الحسن.....	١٢٧
التغافر خير من العتاب.....	١٢٧
الحسد.....	١٢٨
عاقبة حاسد.....	١٢٩
رجل من أهل الجنة.....	١٣٠
المصابون بالحسد.....	١٣١
فرق بين الحسد والغبطة والمنافسة.....	١٣١
نهاية مؤلمة.....	١٣٢
علاج مرض الحسد.....	١٣٣
موقف عظيم.....	١٣٣
مثل شائع خاطئ.....	١٣٣
الاعتذار عند الخطأ.....	١٣٤

- كيف تصلحان غيركما؟ ١٣٤
- الصلح بين عائلتين ١٣٤
- ما أراد إلا الحسد ١٣٥
- لفتة طيبة ١٣٦
- أمثلة رائعة ١٣٦
- سلامة الصدر عند قبول النصيحة ١٣٧
- حتى مع الخصوم ١٣٧
- من شيم الكرام ١٣٨
- خلق رفيع ١٣٨

حفظ اللسان

- آفات اللسان ١٤٠
- احذروا الغيبة ١٤٤
- قصة مؤثرة ١٤٤
- الأعداء المرخصة في الغيبة ١٤٥
- شر النمام عظيم ١٥٣

الدعوة إلى الله

- مهمة المسلم ١٥٤
- الأعداء يخططون ١٥٥
- الفعل قبل القول ١٥٥
- الرسول قدوة في الدعوة ١٥٥
- حب الخير للناس ١٥٧
- بائع أشرطة الفيديو ١٥٨
- تفسير آية ١٥٩
- أليس لها ثمن؟ ١٦٠
- تعرف على الآخرين ١٦٠
- رجل الدعوة ١٦١
- وصايا غالية ١٦٢

١٦٢ فن الدعوة إلى الله
١٦٦ أمنية
١٦٧ دعوة صادقة
١٦٨ طرفة غالية
١٦٩ كلمتان خفيفتان على اللسان
١٧٠ أكبر همه
١٧٠ يدعو وهو مريض
١٧١ حال الجامعة
١٧١ شبهات وردود

الفهم

١٧٧ القرآن يصحح المفاهيم
١٧٧ فهم خاطئ
١٧٨ فهم الرسول
١٧٨ فهم الأولويات
١٨٠ أولوية الأعمال
١٨١ رجل يفهم رسالته
١٨١ فهم مشقات الطريق
١٨٢ دعوتنا لكل الناس
١٨٣ ابحثوا عن لافتة أخرى
١٨٣ نعمة كبيرة
١٨٤ تربية واعية
١٨٤ تأخير الصلاة بعذر
١٨٥ الإسلام والأديان المعاصرة
١٨٦ فهم رائع
١٨٦ هكذا كان عبد الله بن المبارك
١٨٧ فهم علم من أعلام السلف

- ١٨٧ إمكانيات أعدائك ماذا أعددت لها
- ١٨٨ لا أنقد حكومتي خارج وطني

العمل للإسلام

- ١٨٩ الأعداء يعلمون لإنجاح مخططهم
- ١٩٢ احرص على العمل
- ١٩٢ من الذين هدى الله
- ١٩٣ إسلام المغول
- ١٩٤ إخلاص وعمل
- ١٩٦ الفهم الجيد للإسلام
- ١٩٧ العزيمة القوية
- ١٩٧ لو خرجنا بواحد لكفى

الجهاد

- ١٩٩ الجهاد في كتاب الله
- ٢٠٠ جهاد النفس
- ٢٠١ الجهاد بالمال
- ٢٠٢ تحويل شيك للمجاهدين
- ٢٠٢ الجهاد التعليمي
- ٢٠٣ الجهاد السياسي
- ٢٠٤ جهاد الأعداء
- ٢٠٥ ستار القدرة
- ٢٠٥ وقفة
- ٢٠٦ عزاء والد الشهيد
- ٢٠٦ الرحمة في الجهاد الإسلامي
- ٢٠٧ من جهاد الأبطال
- ٢٠٨ المسلمون = جهاد
- ٢٠٨ حب الشهادة
- ٢٠٩ نموذج المجاهد

٢٠٩	خطبة ثورية
٢١٠	حزن عميق
٢١٠	الخوف من الله دفعه للشهادة
٢١١	يا فلسطين
٢١٢	البطل الليبي
٢١٢	اللهم احشرنى من حواصل الطير
٢١٤	صور أخرى

التضحية

٢١٧	من أنواع التضحية
٢٢٢	أين التضحية؟!
٢٢٣	فهم خاطئ
٢٢٤	أريد أن أأطأ بعرجتي في الجنة
٢٢٤	وفاة خالد بن الوليد
٢٢٥	في وقعة البويب
٢٢٥	لا تفعل
٢٢٦	أستاذ جديد في فن التضحية
٢٢٦	عز الدين القسام
٢٢٦	الشيخ أحمد ياسين
٢٢٧	يحيى عياش

الثبات

٢٢٨	صور الثبات
٢٤٥	سنة الدعوات
٢٤٧	نتصر على الغرب بثباتنا

الأخوة في الله

٢٤٨	الأخوة طريق الجنة
٢٥٠	أمر إلهي
٢٥٠	حقوق الأخوة الخاصة

- ٢٥٢ موقف مؤثر
- ٢٦٥ نقاتل أعداءنا بالحب

الثقة

- ٢٦٧ أنواع الثقة
- ٢٧٥ لا تتعجل النصر
- ٢٧٦ سؤال

الجدية والانضباط

- ٢٧٨ الجدية في طلب العلم
- ٢٧٩ الجدية في تحمل المسئولية
- ٢٨٠ تنفيذ الأوامر
- ٢٨١ طاعة بعد الموت
- ٢٨١ العزيمة
- ٢٨١ فورية التنفيذ
- ٢٨٢ إذن ننشئ له مدرسة
- ٢٨٣ تسخير الإمكانيات
- ٢٨٤ الالتزام بالعبادة
- ٢٨٤ قطع شجرة الرضوان
- ٢٨٤ إلغاء الرحلة
- ٢٨٥ محاسبة النفس
- ٢٨٥ الانضباط المالي

القوة

- ٢٨٧ القوة في الحق
- ٢٨٨ استحضارية الجهاد
- ٢٨٨ قوة بدنية فائقة
- ٢٨٨ قوة في الرمي
- ٢٨٩ قوة لرد الحق لأهله
- ٢٨٩ الكلوب الخطير

٢٩٠	الجلوس المتعب
٢٩٠	نماذج للأقوياء
٢٩١	أسامة بن زيد
٢٩٢	مواقف بطولية
٢٩٢	في وقعة الجسر
٢٩٣	فتح مصر
٢٩٤	عبد الله بن الزبير
٢٩٥	أضرار عدم ممارسة الرياضة
٢٩٦	نصائح لقوة الجسم

قادر على الكسب

٢٩٨	الحث على العمل
٢٩٩	فهم خاطئ
٣٠١	اجتهاد الإمام أحمد
٣٠٢	معنى العبادة الشامل
٣٠٣	مكتب حمامة بالقاهرة
٣٠٣	استغل الإجازات
٣٠٣	هكذا كانوا
٣٠٥	شيخ يعمل
٣٠٥	الزهد والتجارة
٣٠٦	كن أميناً في كسبك
٣٠٧	دعابة
٣٠٧	التوازن
٣٠٨	بين الدنيا والآخرة

سليم العقيدة

٣٠٩	صبر علي عقيدته
٣١٠	الإيمان الحق
٣١٠	رجل من أهل خير

٣١١	إبليس الملعون
٣١١	آية ربانية
٣١٢	عاقبة الخوف من الله
٣١٣	يؤثرون على أنفسهم
٣١٤	توقف مع القرآن
٣١٥	احذر المعصية
٣١٦	زيادة الإيمان بالتفكير
٣١٦	التجرد لله
٣١٧	لا تحزن والله معك
٣١٨	صلاح الدين
٣١٨	ذاك هو الله
٣١٩	التمسك بالعقيدة الصحيحة
٣٢٠	دخل في الإسلام حديثاً
٣٢٠	أسلم بعقيدة سليمة
٣٢١	اعتراف الغرب
٣٢١	الله يتقم لدينه

صحيح العبادة

٣٢٣	الفهم الشامل
٣٢٣	روح الصلاة
٣٢٤	الخوف من فساد الأعمال
٣٢٤	العلم طريق الوصول
٣٢٥	العبادة الصحيحة
٣٢٦	ومن أنواع العبادات
٣٢٨	الحلم عبادة
٣٢٩	الصدق عبادة
٣٢٩	الورع عبادة

٣٣٠	تقديم النصيحة عبادة.....
٣٣٠	طلب العلم عبادة.....
٣٣١	النهي عن المنكر عبادة.....
٣٣٣	رد الجميل عبادة.....

الانتفاع بالوقت

٣٣٤	صديق ودود أو عدو لدود.....
٣٣٤	جريمة سرقة.....
٣٣٥	البركة في البكور.....
٣٣٥	نظرة خاطئة.....
٣٣٦	الوقت في القرآن.....
٣٣٦	خصائص الوقت.....
٣٣٨	من علامات المقت إضاعة الوقت.....
٣٣٨	جريمة انتحار.....
٣٣٩	البدار البدار.....
٣٣٩	الاعتبار بمرور الأيام.....
٣٣٩	لكل وقت عمله.....
٣٤٠	فضل الله بعض الأيام على بعض.....
٣٤٠	احذر هؤلاء.....
٣٤٠	كم عمرك؟.....
٣٤١	ماذا فعلت لما بعد الموت؟.....
٣٤٢	هكذا استغلوا أوقاتهم.....
٣٤٣	تربية الأبناء.....
٣٤٣	أنت والمصحف.....
٣٤٥	إضاعة الوقت.....
٣٤٥	ليس لدي فراغ.....

النظام

٣٤٦	خلية النحل.....
-----	-----------------

٣٤٦	النمل
٣٤٧	الله يحب النظام
٣٤٧	هجرة الرسول ﷺ
٣٤٨	في غزوة بدر
٣٤٩	في غزوة أحد
٣٤٩	في اليرموك
٣٥٠	عدم النظام من عوامل الهزيمة
٣٥٠	نظام أبي بكر
٣٥١	الأسقف الأمريكي الذي أسلم بسبب النظام
٣٥١	انضباط في المواعيد
٣٥٢	هكذا كانوا
٣٥٢	آفات قاتلة للنظام
٣٥٣	إياك والعقوق!
٣٥٣	فن الراحة
٣٥٤	حوار مع لحظة
٣٥٥	كيف تنظم وقتك
٣٥٥	نصائح لتنظيم مكان العمل

نفع الآخرين

٣٥٦	أحب الناس إلى الله
٣٥٧	الرسول قدوة
٣٥٧	الصديق يحلب للحبي
٣٥٧	هجرة أبي بكر
٣٥٨	لفتات طيبة
٣٥٨	فكرة للأستاذ مصطفى أمين حول الأستاذ الهضيبي
٣٥٩	من المواقف المؤثرة
٣٦٠	كريم رغم الفقر

٣٦٠ مساعدة عاجلة.

الخاتمة ويوم القيامة

- ٣٦٣ وفاة الرسول
- ٣٦٣ وفاة أبي بكر الصديق
- ٣٦٣ وفاة عمر بن الخطاب
- ٣٦٣ وفاة عثمان بن عفان
- ٣٦٣ وفاة علي بن أبي طالب
- ٣٦٤ وفاة معاوية بن أبي سفيان
- ٣٦٤ وفاة معاذ بن جبل
- ٣٦٤ وفاة بلال بن رباح
- ٣٦٤ وفاة الأصيرم
- ٣٦٥ وفاة سعد بن أبي وقاص
- ٣٦٥ وفاة عروة بن الزبير
- ٣٦٥ وفاة أبي هريرة
- ٣٦٦ وفاة عبد الملك بن مروان
- ٣٦٦ وفاة عمر بن عبد العزيز
- ٣٦٦ وفاة هارون الرشيد
- ٣٦٧ وفاة المأمون
- ٣٦٧ وفاة ابن المنكدر
- ٣٦٧ وفاة عامر بن عبد القيس
- ٣٦٧ وفاة الجنيد
- ٣٦٧ وفاة أحد التابعين
- ٣٦٨ أحس باقتراب أجله
- ٣٦٩ وفاة محمد بن واسع
- ٣٦٩ خاتمة الصالحين
- ٣٧١ سوء الخاتمة

٣٧١	وفاة مرتد
٣٧٢	خاتمة عبيد الله بن جحش
٣٧٢	وفاة العصاة
٣٧٢	وفاة الزناة
٣٧٥	وفاة أليمة
٣٧٥	وفاة مدخن
٣٧٦	وفاة المفسدين
٣٧٦	أي موة هذه ؟
٣٧٦	وجهه أسود
٣٧٧	وفاة تارك الصلاة
٣٧٨	وفاة أثناء سماع الأغاني
٣٧٨	وفاة في سجدة باطلة
٣٧٩	وفاة في المرقص
٣٧٩	سوء خاتمة رجل عاص
٣٨٠	نعوذ بالله من سوء الخاتمة
٣٨٠	عاقبة تأخير الصلاة
٣٨١	أهوال يوم القيامة
٣٨٢	أرض المحشر
٣٨٢	الحساب
٣٨٢	الميزان
٣٨٣	الصراط
٣٨٤	المراجع
٣٩٩	الفهرس

جامعة شاملة تحوى الأخلاق والزهد والرقائق
والصفات والشمائل.

هذه الموسوعة:

لجميع المسلمين وخاصة الخطباء والوعاظ والدعاة
والمربين والباحثين عن الزهد والرقائق وأحسن الأخلاق.

هذه الموسوعة:

فريدة فى طريقة تناول موضوعاتها حيث يستشهد المؤلف
بالإضافة إلى الآيات والأحاديث والأقوال بحوالى

هذه الموسوعة:

٢٠٠٠ قصة

عن الصحابة والسلف الصالح والعلماء والمصلحين
والدعاة والمربين والمجاهدين على مر العصور مما
يجعلها أفضل وأميز الموسوعات فى مجالها.



www.iqraakotob.com
Email: info@iqraakotob.com